اليسار

راية المستضعفين فى الأرض

الضغوط الأمريكية

العدد التاسع و الخمسون / يناير ١٩٩٥ م / رجب ١٤١٥ هـ / الثمن جنيهان مصريان

زيارة (وايزمان) وتصاعد التطبيع

كوبا.. تتحدى أطول حصار فى التاريخ

يلتسين فى دور إيڤان الهيب

حرب الفراولة وتوقف الحلم

١٩٩٥.. عام التصدى و التغيير

السعودية.. ما بعد الملك فهد؟!

فى هذا العدد

اليسار دم

أمل فى عام جديد

كل عام وأنتم بخير.. فها نحن نبدأ العام الميلادى الجديد، عام ١٩٩٥، تحدونا آمال عريضة بالنسبة للوطن والأمة، رغم كل السواد الذى يغلف حياتنا بعد هذه السنوات العجاف التى عشناها فى ظل الحكم القائم والنظام الدولى الجديد. ولعل آخر بصمات العام الذى مضى والتى ستؤثر علينا مع بداية هذا العام، هو ارتفاع اسعار الصحف والمجلات نتيجة لارتفاع أسعار الورق. فالأشهر الثلاثة الأخيرة من عام ١٩٩٤ شهدت ارتفاعا غير مسبوق فى أسعار ورق الصحف، نتيجة لقرار أمريكى كندى، أكبر منتجى الورق فى بورصة الورق العالمية. وهكذا ارتفع سعر طن ورق الصحف من ٣٠٠ دولار الى ٧٥٠ دولار. وقد رفعت الصحف والمجلات المصرية أسعارها بنسبة ٦٠٪، وستضطر خلال أشهر قليلة لرفعها مرة أخرى، فارتفاع سعر الورق تم بنسبة ٢٥٠٪ ورغم حرص «اليسار» على تجنب أى اجراء يمثل عبئا إضافيا على قرائها، فقد كان الارتفاع فى الأسعار أكبر من طاقتنا، ومنذ ٣ أشهر حاولت اليسار تجنب هذه الخطرة بتغيير نوعية الورق الداخلى، ولكنا وصلنا فى النهاية الى موقف يحتم اتخاذ هذا القرار الصعب. فاليسار لا تقف وراءها إمكانيات حكومة ولا شركات تجارية ولا حزب غنى، وتعتمد تماما على قروش القراء وتبرعات اليساريين سواء كانوا أعضاء فى حزبنا أم خارجه.

وهكذا إتخذ مجلس المستشارين قراراً إجماعيا برفع سعر العدد من مجلة «اليسار» الى جنيهين إعتبار من هذا العدد، أى زيادته بنسبة (٣٣٪) وهى توازى نصف النسبة التى رفعت بها أسعار الصحف والمجلات الأخرى. ونحن على ثقة ان القارئ اليسارى سيفهم ويتقبل هذا القرار.

.. يغيب عن هذا العدد باب «هوامش على دفتر الحياة» الذى يكتبه د. عبد العظيم أنيس لسفره للخارج. كما تغيب موضوعات «مدحت الزاهد» الذى حالت ظروف خاصة بينه وبين تسليم موضوعاته فى الموعد المحدد. ونأمل أن تستكمل «اليسار» مع العدد القادم كل كتابها ومحرريها.

اليسار

رئيس التحرير
حسين عبد الرازق

المشرف الفني
محمود الهندى

المستشارون:
إبراهيم بدراوى
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
د. عبد العظيم أنيس
عبد الغفار شكر
عبد الغنى أبو العينين
محمود أمين العالم

شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى
يصدر عن التجمع الوطنى
التقدمى الوحدوى فى اليوم
الأول من كل شهر

ALYASSAR 1 KARIM EL DAWLA St. TALAAT HARB SQ.
CAIRO / EGYPT

الاشتراكات (لمدة سنة واحدة)
مصر: ٤٢ جنيهاً للأفراد و٦٠ جنيهاً للهيئات
الوطن العربى: ٥٠ دولاراً أمريكياً أو مايعادلها
العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الإدارة والتحرير: ١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت: ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩٢٨١
فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨ - FAX 5786298

موقفنا

١٩٩٥.. هل هو عام التصدى والتغيير

لقد شهد عام ١٩٩٤ خاصة فى النصف الثانى منه تراجع عنف الجماعات الارهابية المتسترة بالدين وحصارها فى الصعيد (أسيوط ثم المنيا «ملوى»..)، بعد نجاح الضربات الأمنية المخططة واختراق أجهزة الأمن لهذه الجماعات، وان ظلت لديها القدرة على اقتراف بعض الجرائم المدوية، مثل محاولة اغتيال الكاتب الكبير **نجيب محفوظ** أو الاعتداء على بعض السياح فى الغردقة. وقد بلغ عدد القتلى من رجال الشرطة ٩٦ ضابطا وجنديا أبرزهم مسئول النشاط الدينى فى مباحث أمن الدولة.

وعلى عكس المتوقع والمنطقى فلم يصاحب تراجع العنف المتستر بالدين إنفراج ديمقراطى، بل أوغل حكامنا فى تضييق الحقوق الديمقراطية الناقصة والمحدودة التى تحققت فى سنوات سابقة. **فصدر قانون يلغى انتخاب العمد ويعود مرة أخرى** الى نظام تعيينهم من قبل وزارة الداخلية. ثم صدر قانون آخر **يفرض الوصاية على اساتذة الجامعات ويمنعهم من انتخاب عمداء الكلية، ويعطى لمجلس الجامعة** سلطة تعيينهم!

واذا كان أساتذة الجامعات فى مستوى لا يؤهلهم لانتخاب قياداتهم -فى نظر الحكم- فمن باب أولى فإن طلابهم قُصّر لا يستحقون ممارسة حق انتخاب اتحاداتهم. وهكذا تم شطب **أكثر من ١٢٠٠ طالب من رشحوا** أنفسهم فى انتخابات الاتحادات الطلابية، اغلبهم ممن ينتمون لتيار الاسلام السياسى، وان لم تخل القائمة من اليساريين والتقدميين

والقراءة الهادئة للأحداث الداخلية خلال عام ١٩٩٣، بعيدا عن الضجيج الاعلامى وحديث الانجازات والإجماع الوطنى، تقودنا الى ثلاثة عناوين أساسية:

العنف

العدوان على لقمة العيش وأرزاق الناس..

الفساد..»

كانت هذه الكلمات هى بداية افتتاحية الأهالى فى يناير ١٩٩٤.

فهل اختلف الحال خلال العام المنصرم؟

وماذا تقول اليوم عن عام ١٩٩٤؟!

للأسف فالصورة ما زالت مليئة بالسواد، رغم بعض الظواهر الايجابية هنا وهناك. ما زال الناس يشعرون انهم ينتقلون من سيء الى أسوأ. وقد بلغ ضيقهم بالحكم القائم حدا غير مسبوق، ويحملونه كل ما هم فيه من مصاعب ومتاعب وأزمات.

واذا حاولنا تحديد ملامح أساسية للعام الذى مضى، سنجد أمامنا أكثر من عنوان.

* **تضييق الهامش الديمقراطى** المحدود **واستمرار العنف..**
* **بارتفاع الاسعار، وتراجع مستوى معيشة الغالبية العظمى من الناس، وارتفاع موجة الهجوم على كافة جوانب حياة البشر..**
* **الفساد..**
* **موجة التطبيع والسوق الشرق أوسطية.**

يضاف اليها عنوان جديد..

تصاعد الحركة الجماهيرية
عدوان على الديمقراطية

رأصحاب المرقف المستقل عن الحكومة!

ولم تنس الحكومة العمال فأصابتهم بركاتها وغيره الديمقراطية. رتم بالاتفاق مع قيادات الاتحاد العام للعمال- طبخ **مشروع قانون العمل الموحد**، المرجود حاليا في مجلس الشعب. وهو قانون معاد للعمال.. يتيح لاصحاب الشركات فصلهم لأي سبب، ويزيد من ساعات العمل، ويخفض مدد الاجازة الاعتيادية، ويضع قيوداً مالية على لجوئهم للقضاء، ويلغى حقهم في العلاوة الدورية وحقهم في الترقي، بل ويخفض اجورهم، ويقر مبدأ حق الاضراب ثم يلغيه عمليا بقيود مانعة يوردها في المشروع. كما تم اعداد قانون جديد للنقابات العمالية يصفى ما بقى في الحركة النقابية العمالية من نبض.

وتعرضت الصحافة لهجمة جديدة من خلال المجلس الاعلى للصحافة الذى اتخذ قرارا بوضع قيود جديدة على اصدار الصحف الحزبية واستمرارها وفرض رقابة عليها من المجلس الاعلى الذى يتكون من اغلبية معينة من الحزب الحاكم.

ووجه الحكم اعلانا آخر باصراره على انتهاك الديمقراطية وحقوق الانسان، عندما اصدر الرئيس في شهر ابريل قراراً **بد العمل بحالة الطوارئ ٣ سنوات** أخرى (كان مقررا انتهاء العمل بحالة الطوارئ في ٣٠ مايو ١٩٩٤).

ولم يكن غريبا في ظل استمرار العمل بحالة الطوارئ ١٣ عاما متصلة، أن يعتقل «٢٥٥٥» من المشتبه بانتمائهم للجماعات الارهابية والمتهمين فى بعض جرائم الارهاب، بالاضافة الى عشرات من القيادات العمالية والحزبية النشطة، آخرهم عمال كفر الدوار والمحلة الكبرى. ولم يكن غريبا ايضا **أن تستمر جرائم التعذيب التى ترتكب** بصورة دائمة ضد المعتقلين والمسجونين السياسيين والمواطنين فى أقسام البوليس، وأماكن الحجز. وقد توالت تقارير منظمات حقوق الانسان المصرية والعربية والدولية التى تدين الحكم فى مصر بممارسته للتعذيب وانتهاك حقوق الانسان بصورة منهجية. وقد ضبط الحكم عاريا عقب وفاة المحامى «عبد **الحارث مدنى»** بعد القبض عليه بأربعة وعشرين ساعة (٢٧ أبريل ١٩٩٤). وأثارت هذه الجريمة حملة عنيفة من الإدانات من منظمات حقوق الانسان ومنظمات الحقوقيين الدولية.. وادت الى صدام بين المحامين والحكم.

لقمة العيش

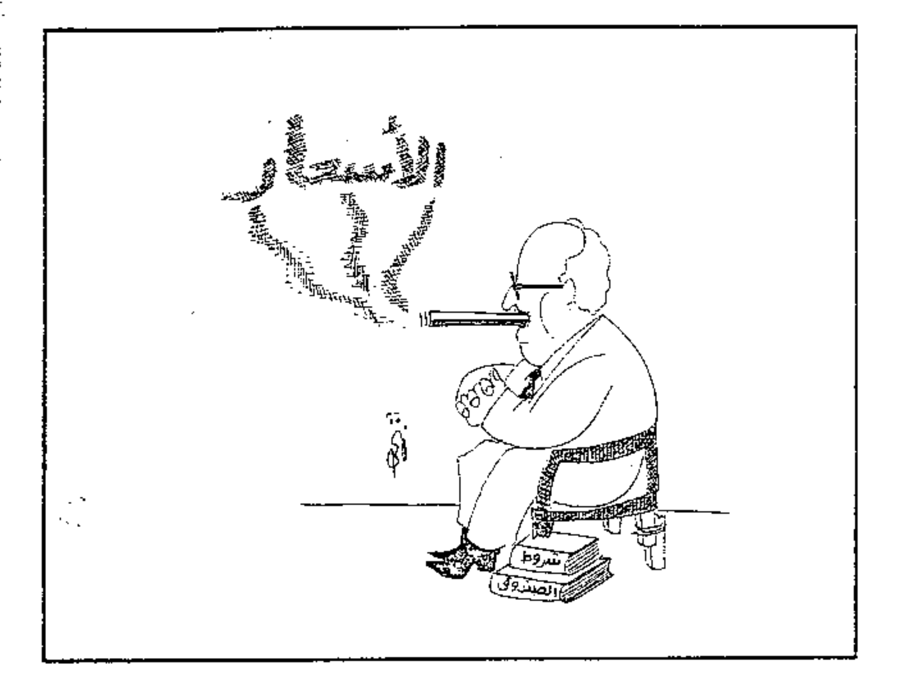
وواكب هذا العدوان المستمر على الحقوق الديمقراطية، عدوان الحكم على حياة الناس ولقمة عيشهم لقد انتهى العام والناس يصرخون من الارتفاعات الفلكية فى أسعار المواد الغذائية والمياة والكهرباء والعلاج، ومن غش المواد الغذائية، واختفاء السكر و.. و..

وقد حدثت هذه القفزة في الاسعار نتيجة للسياسات الحكومية المستمرة منذ سنوات، والتى ترتبط **بسياسة الخصخصة والسوق الرأسمالى وانسحاب الدولة من المشاركة فى التنمية وتوفير الخدمات الاساسية (التعليم -العلاج..)** وما يسمى **بحرية التجارة**. وقد اتخذت خلال عام ١٩٩٤ خطرات عديدة -بالاتفاق مع صندوق النقد الدولى والبنك الدولى- على هذا الطريق المعادى لمصالح الناس.. بدءا **بقانون الضريبة الموحدة** الذى يجافى العدالة الاجتماعية ويضر ضررا بالغا محدودى ومتوسطى الدخل، مرورا **بالارتفاع المخطط للاسعار** تنفيذاً لاتفاق الحكومة مع صندوق النقد الدولى والذى يشمل الكهرباء (يوليو ١٩٩٤) والدواء والمواد الغذائية والسكر والارز والمكالمات التليفونية والمواصلات والمياة، وصولا الى **الاندفاع فى الخصخصة** ببيع وتصفية شركات اساسية، **وتدمير الصناعة الوطنية** خاصة فى ظل فتح أبواب الاستيراد الذى هدد صناعات الملابس الجاهزة وحديد التسليح وغيرهما..

ولكن أهم وأخطر القرارات التى أتخذت عام ١٩٩٤ يتمثل فى خضوع الحكومة لطلبات صندوق النقد الدولى وخاصة الموافقة على وجود **رقابة أجنبية دائمة على التصرف فيما تملكه مصر من احتياجات العملة الصعبة**، والقبول بتخفيض أسعار الفائدة لتصل الى ٩٪ بداية عام ١٩٩٦، والغاء كل الرسوم المفروضة على الصادرات، وتعديل تدريجى فى سعر الصرف، **وخصخصة مرفق مياه الشرب والصرف الصحى** فى بورسعيد والاسماعيلية كخطوة لخصخصة مرافق القاهرة الكبرى فيما بعد، ورغم الاعلان عن رفض طلب الصندوق التخفيض الرسمى الفورى لقيمة الجنيه بحوالى ٢٥٪ من السعر الحالى، فقد مارست الحكومة تنفيذ هذا الطلب بصورة تدريجية وعن طريق البنك المركزى وبعض الادرات المالية دون اعلان.. وهو ما سيؤدى -حسب تصريحات المسئولين- الى **تراجع تحويلات المصريين العاملين بالخارج وعودة الدولرة (التعامل بالدولار) الى السوق المحلى، وارتفاع ثمن الواردات، وزيادة العجز فى الميزان التجارى، ومن ثم ارتفاع جنونى آخر للاسعار.**

وفى ظل غياب الديمقراطية والسياسات الاقتصادية الخاطئة ازدادت ظاهرة الفساد التى مثلت احد جوانب الازمة فى السنوات السابقة، فبالاضافة لما يتردد بين كبار رجال الدولة وفى دوائر الاعمال وما ينشر مجهلا فى بعض





الصحف حول«أين مصطول كميرة يكاد يكون عاملاً مشتركاً فى كل قضايا الفساد . فقد كشفت واقعة تهريب مليونير الكاوتشوك«جورج اسحاق حكيم» لاموالة للخارج ثم تهريبه شخصيا عن عمق الفساد فى اجهزة الحكم وفي الجهاز المصرفى(٨ بنوك ساندت وساعدت وسهلت نهبه للاموال قبل هروبه)

وزاد الطين بلة كارثة السيول وعجز الدولة وفسادها البارز في التعامل معها.

التطبيع

واذا كان عام ١٩٩٣ قد شهد فى نهايته اتجاها لتحويل ما يسمى بالسلام البارد إلى سلام ساخن، والتحرك على طريق التطبيع والسوق الشرق أوسطية ، فقد كان عام ١٩٩٤ هو عام **الهرولة للتطبيع والترويج للسوق الشرق اوسطية.**

فبعد اعلان الرئيس فى معرض الكتاب موافقته على بيع الغاز الطبيعى لاسرائيل عبر انابيب تمر شمال سيناء ، وعلى مشروع انشاء معمل لتكرير البترول تبلغ استثماراته ٨٥٠ مليون دولار وتساهم فيه اسرائيل، تبارى المسئولون فى الاندفاع على طريق التطبيع والذى يمنح اسرائيل وضع الدولة المتميزة فى مصر ، فأعلن وزير التعمير فى مجلس الشعب استراتيجية حكومية لتعمير سيناء عن طريق الاستثمارات الاسرائيلية. وقام وزير البترول بزيارة لاسرائيل (٩ و ١٠ أغسطس ١٩٩٤) ناقش فيها زيادة كمية البترول الخام المصدرة لاسرائيل لتبلغ ٥ ملايين طن سنويا (٦٠٪ من إنتاجنا القابل للتصدير) ، والشروع فى انشاء مصفاة التكرير المصرية الاسرائيلية (ميدور ايجيبت) فى بور سعيد، ثم قام عمرو موسى بزيارة لاسرائيل- أول زيارة رسمية- وتم الاتفاق من خلالها على احياء اللجنة التجارية المشتركة، وتلاه وزراء الاقتصاد والثقافة والسياحة بزيارات مماثلة، ثم دخل رجال الاعمال على الخط ، وقام وفد برئاسة محمد فريدخميس بزيارة اسرائيل، وعقد في القاهرة لقاء «المشاركة بين السوق الاوروبية والشرق الاوسط» والذي شاركت فيه ١٣٠٠ شركة من مصر واسرائيل والاردن وفلسطين (والاتحاد الاوروبى) بهدف دمج اسرائيل اقتصاديا فى المنطقة كخطوة فى فى طريق السوق الشرق اوسطية وقبل ايام تمت بزيارة (وايزمان) رئيس اسرائيل لمصر، وفتح الباب أمام زيارة مبارك لاسرائيل.

*****

ان هذه الصورة القاتمة للاوضاع الداخلية خلال عام ١٩٩٤ يجب ان لا تنسينا ثلاث ظواهر هامة:

الأولى ، هو نجاح القوى الوطنية فى دفع الحكومة لالغاء قانون حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى ، والغاء المسئولية السياسية الواردة فى قانون العيب وسلطة المدعى الاشتراكى فى الاعتراض على المرشحين فى الانتخابات النقابية ومجالس الادارات والنوادى.. الخ

لقد تحقق هذا الالغاء عقب مؤتمر الحوار . والذى حاولت الاحزاب ان تجعله نقطة بداية للاتفاق على الاصلاح الديمقراطى وخاصة اجراء انتخابات حرة نزيهة لمجلس الشعب باصدار قانون جديد لمباشرة الحقوق السياسية. ولكن الحكم ، فسد الحوار باصراره على الانفراد بتحديد المشاركين فيه وتشكيل لجانه ورئاستها ، وفرض جدول اعمال عليه وصياغة توصياته .. وإن أضطر فى النهاية الى تقديم تنازل محدد تمثل فى الغاء هذا القانون الذى ناضل التجمع والحركة الوطنية ضده طوال ١٦ عاما.

الثانى: هو صعود الحركة الجماهيرية الاحتجاجية للطبقة العاملة والتى تمثلت فى اعتصام عمال كفر الدوار دفاعا عن حق العمل وحق العمال فى أجر عادل... ثم تحرك عمال المحلة والسويس وحلوان.

الثالث: عودة الروح لحركة المقاومة ضد التطبيع وامتدادها الى رفض السوق الشرق اوسطية. ودخول المثقفين الوطنيين بقوة الى هذا الميدان، وانتشار هذه الحركة الى قطاعات عريضة فى المجتمع.

فهل تملك الاحزاب اليسارية والديمقراطية بزمام المبادرة ليكون عام ١٩٩٥ هو بداية التصدى والتغيير .. خاصة والحكم يجهز سلسلة من القوانين التى تصيب حياة الناس فى مقتل ، مثل قانون العلاقة بين المالك والمستأجر فى العقارات ، وقانون العمل الموحد، وقانون العملة ، وقانون النقابات ، وقانون القطن... الخ. كذلك فهذا العام- الذى نبدأه اليوم - سيشهد انتخابات مجلس الشعب ، وهى فرصة اذا أحسنت احزاب المعارضة الديمقراطية التعامل معها ، يمكن ان تعدل من توازن القوى داخل مجلس الشعب وفى الساحة السياسية بما يفتح بابا- ولو صغيرا- للتغيير.

رئيس التحرير



زيارة "عزرا وايزمان" وتصاعد وتيرة "التطبيع"

بعد ١٣ عاما من أول زيارة قام بها رئيس دولة اسرائيل لمصر (**اسحاق نافون**) عام ١٩٨١ وسط موجة عاتية من الرفض لسياسة الصلح المنفرد مع اسرائيل واتفاقيات كامب ديفيد، وصلت الي حد رفض عمال مجمع الحديد والصلب استقباله مما ادى الى الغاء زيارة «**نافون**» للمصنع .. أتت زيارة «**عزرا وايزمان**» الرئيس الاسرائيلى الحالى لمصر والتى استمرت الثلاثة أيام (١٩، ٢٠، ٢١ ديسمبر ١٩٩٤). وتتم الزيارة فى ظروف مختلفة تماما، حيث نجحت إسرائيل فى توقيع اتفاقيات مع منظمة التحرير والاردن، وأعلنت كافة الدول العربية قبولها لمبدأ التسوية تحت شعار «الارض مقابل السلام» والمقصود بها الاراضى العربية الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧- وبالتالى لم تعد مصر هى الدولة الوحيدة التى تنفرد بالصلح مع اسرائيل.

ورغم هذه التطورات فإن موجة المقاومة للتطبيع تكتسب فى مصر- والعالم العربى- نفسا وديناميكية جديدة فى ضوء الممارسات الاسرائيلية واستمرار الاحتلال للجولان وجنوب لبنان والضفة الغربية وغزة (رغم اتفاق غزة-أريحا أولا) ،والهجمة الشرق أوسطية.

وقد أعلنت اسرائيل موضوع، أهدافها فى هذه الزيارة، والتى قيل انها تتم بناء على دعوة من الرئيس مبارك **لوايزمان** عندما أتصل به الأخير تليفونيا عقب توقيع الاتفاق الاردنى -الاسرائيلى، وتتمثل هذه الاهداف فى:

١- **بحث تطورات عملية السلام فى الشرق الأوسط وسبل تذليل العقبات فى** المسارين السورى واللبنانى .. ودفع المفاوضات فى المسار الفلسطينى.

٢- انهاء «السلام **البارد**» بين مصر واسرائيل-حسب التعبير الاسرائيلى-والانطلاق فى التطبيع، وطبقا لتصريح مصدر اسرائيلى.. «فالوقت قد حان للانتقال الى علاقات أكثر حرارة نظرا للتقدم الذى حصل على طريق السلام مع بقية العالم العربى» مشيرا الي الاتفاق الموقع بين رابين **وعرفات** فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣، ومعاهدة السلام بين الاردن واسرائيل فى ٢٦ أكتوبر الماضى، وأضاف المصدر «**قبلت اسرائيل طويلا بالسلام البارد لكى لا تسيئ الى جهود اعادة اندماج مصر فى العالم العربى بعد ان علقت عضويتها فى الجامعة العربية على إثر توقيعها معاهدة السلام مع اسرائيل، إلا أنه لم يعد هناك من سبب اليوم لاستمرار ذلك.**

٣- فى هذا الإطار ومن أجل دفع التطبيع، نطبقا لما قاله «**أربيه شومر**» فإن «وايزمان» سيتطرق الى «توثيق العلاقات فى مجال الاتصالات والسياحة والثقافة .. موضوع **التعاون فى مكافحة الارهاب**» . كما سيناقش تفاصيل المشروعات المشتركة فى مجال النقل بين مصر واسرائيل، بما فى ذلك مراحل تنفيذ الطريق البرى الاقليمى الذى يربط مصر باسرائيل وعدد من دول المنطقة ، ومشروع خط السكك الحديدية المزمع انشاؤه بين الجانبين، ومن هنا فقد تمت لقاءاته بين **وايزمان** وكل من وزراء الدفاع **المشير** «حسين **طنطاوى**» والزراعة «**يوسف والى**» و«**صفوت الشريف**» (الاعلام) و«**فاروق حسنى**» (الثقافة) و «**عمرو موسى**» (الخارجية) «ود. **أسامة الباز**»(مدير مكتب الرئيس للشئون السياسية)، بالاضافة لمباحثات سياسية مع **الرئيس حسنى مبارك**.

٤- الإعداد لقمة عمان الاقتصادية والتى تعد استمرارا لقمة «**الدار البيضاء الاقتصادية**» والتى تمهد للعلاقات الشرق أوسطية وادماج اسرائيل فى المنطقة ، ويسعى **وايزمان** لاقناع الرئيس بضرورة حضوره شخصيا هذه القمة.

وتشير عديد من المصادر الى احتمال ان يتم خلال هذه الزيارة تحديد موعد لزيارة الرئيس مبارك -كرئيس لجمهورية مصر- لاسرائيل. ورغم ان وايزمان أعلن فى لقائه مع رؤساء تحرير الصحف المصرية فى أول أيام زيارته بأنه قبل دعوة الرئيس مبارك لزيارة

مصر بدون شروط مسبقة، وانه لا علاقة لهذه الزيارة بقيام الرئيس بزيارة اسرائيل، وأن ما يتردد حول وجود وعد من الرئيس مبارك بزيارة اسرائيل مقابل قيامه بزيارة مصر ما هو إلا اشاعات، كما أعلن كل من «عمرو موسى» ود. اسامة الباز» ان موعد زيارة الرئيس مبارك لاسرائيل لم يتحدد بعد، الا ان مصادر مصرية واسرائيلية أكدت ان الزيارة ستتم في أوائل العام القادم، وحدد التليفزيون الاسرائيلي مارس ١٩٩٥ موعداً لهذه الزيارة .. كما اشارت المصادر الاسرائيلية لاحتمال عقد قمة ثلاثية اثناء زيارة مبارك لاسرائيل تضمه ووايز مان والملك حسين.

ولا تتعارض الاهداف المصرية من هذه الزيارة مع الاهداف الاسرائيلية وان كان هناك اختلاف في اولويات وفي بعض التفاصيل، فالادارة المصرية تعطى اهمية لموضوع تصديق اسرائيل على معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية، وأكد عمرو موسى في تصريحاته ان الرئيسين سيبحثان خلال لقائهما في موضوعات عدة منها قضية التسلح النووي، سواء طرحها هو أم طرحناها نحن، انها إحدى القضايا التي تجب مناقشاتها. وقد حدد «موسى» ايضا ان علي اسرائيل اتخاذ ثلاث خطوات لتحقيق السلام ، وهي«دفع المسار السوري» ، وازالة المناخ غير الطيب المحيط بالمسار الفلسطيني، وتصديق اسرائيل على معاهدة منع الانتشار النووي».

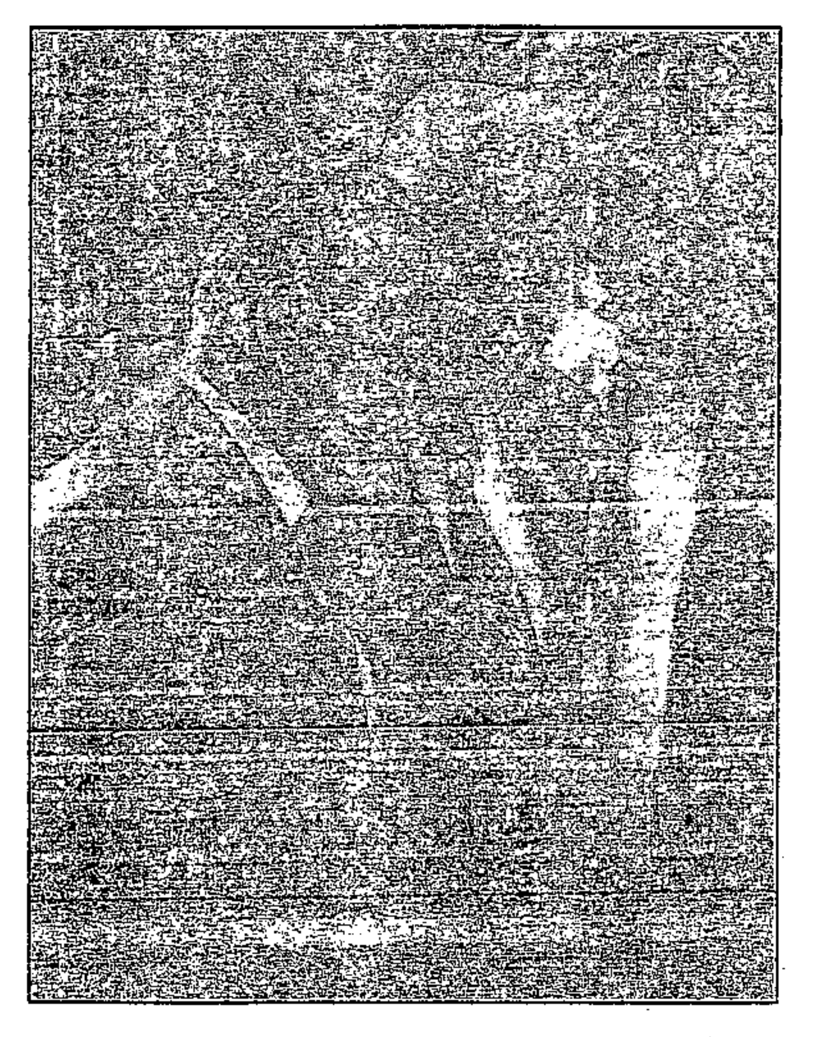
وقد حرص الرئيس حسني مبارك علي اجراء اتصال تليفوني مع الرئيس السوري حافظ الاسد قبل لقاء «مبارك –وايزمان» لمناقشة الموقف السوري من الافكار المطروحة لتحقيق تقدم على هذا المسار ، وقالت مصادر سورية ان الرئيس مبارك أكد للأسد «دعم الحكومة المصرية لمطالب سوريا بانسحاب اسرائيلي كامل من مرتفعات الجولان مقابل السلام»، ولوحظ ان الرئيس السوري أكد خلال لقائه بوفد اتحاد المحامين العرب التزامه بتحقيق السلام العادل والشامل منتقداً «الاطراف العربية التي سقطت في اتفاقات منفردة مع اسرائيل. وفي نفس الوقت أصدر السفير السوري لدى مصر «عيسى درويش» بيانا

عشية وصول رئيس اسرائيل الى القاهرة أعلن فيه رفض حضور حفل الاستقبال الذي يقام لوايزمان، وقال فيه«ما زلنا في حالة حرب مع اسرائيل وأرضنا محتلة بالقوة خلافا للقوانين الدولية، ولا يمكن ان يكون هناك تكافؤ أو تساو على الاطلاق لان اسرائيل معتدية ، الانسان لا يساق سوقا ليرحب بمعتد غاصب يجثم بقوة السلاح على أرضه» كما اعتذر د.عصمت عبد المجيد أمين الجامعة العربية عن لقاء وايزمان وقال ان الجامعة العربية لا تعقد أي لقاءات مع أي مسئول اسرائيلي، إلا بعد الانسحاب الاسرائيلي من جميع الاراضي العربية المحتلة.

الا ان أهم الاعتذارات كان اعتذار شيخ الازهر عن لقاء وايزمان بناء على طلب الأخير وذكرت مصادر الازهر ان الرفض جاء بسبب عدم ملائمة المناخ واستمرار احتلال اسرائيل للأراضي العربية والقدس الشريف.

ورغم ان مصادر عديدة لا تتوقع اي نتائج هامة لهذه الزيارة حيث لا توجد سلطات حقيقية لرئيس الدولة في اسرائيل ، وتتركز سلطة اتخاذ القرار في يد رئيس الحكومة والكنيست.. إلا أن هناك ترقبا بتصاعد وتيرة التطبيع الحكومي ،والذي اتخذ اتجاها متسارعا منذ نوفمبر ١٩٩٣.

وقد لاحظت الدوائر السياسية حرص د. مصطفى خليل نائب رئيس الحزب الوطني زعيم«اللوبي» الاسرائيلي في مصر على اقامة حفل غذاء على شرف وايزمان ، الذي تربطه صداقة بكل افراد «اللوبي» الاسرائيلي منذ اتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح بين السادات وبيجين، وسبق له ان زار مصر –كوزير للدفاع– خمس مرات من قبل.



مصر .. في الاتحاد المغاربي

اهتمت الدوائر السياسية بمفاجأة حضور «عمرو موسى» وزير الخارجية اجتماع وزراء خارجية «اتحاد المغرب العربي» واعلان ان مصر تقدمت بطلب لقبولها كعضو «مراقب» في الاتحاد ، وأن هذا الطلب سيعرض على قمة الاتحاد في ابريل القادم ١٩٩٥.

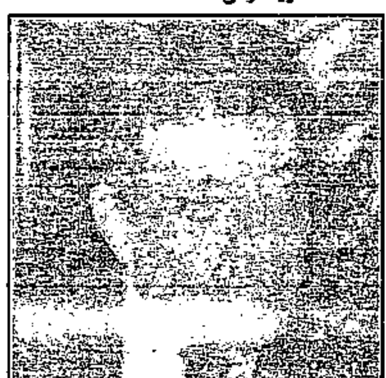
وقد اكتفى «عمرو موسى» في تفسير هذا التحرك المفاجئ بالقول بأن «مصر جزء من المغرب العربي كما هي جزء من المشرق العربي، وعلاقاتها قوية مع دول المغرب بحكم المصالح المشتركة ، وقد تأخرنا كثيرا في الانضمام لاتحادها، والآن حان الوقت» .. مما فتح الباب أمام عديد من التساؤلات حول اسباب تقدم مصر بهذا الطلب، والاهداف من الانضمام كمراقب ، والدافع وراء اختيار هذا التوقيت بالذات.

بعض الدوائر ارجعت هذا التوجه الجديد بأنه محاولة مصرية لاستعادة دور مصر السياسي والاقتصادي في المنطقة، ووقف محاولات تهميش هذا الدور من جانب اسرائيل من ناحية ومن جانب دول الخليج البترولية من ناحية أخرى، فهناك احساس مصري رسمي بأن التطورات الاخيرة في المنطقة قد تؤدي الى تقليل دور مصر ، فالترتيبات الاقليمية الشاملة برعاية الولايات المتحدة واسرائيل تحول مصر الى مجرد فاعل ضمن فاعلين آخرين، وقد تضاعف هذا الاحساس خلال «مؤتمر قمة الدار البيضاء الاقتصادية» التي مثلت خطوة لاقامة نظام شرق أوسطي ، وسبق ذلك انهيار «مجلس التعاون العربي» وانسحاب «ببيصر منه رسميا، وفشل «اعلان دمشق» والذي كانت مصر تأمل أن يوفر لها دعماً ماليا واقتصاديا ودوراً رئيسياً على الساحة العربية ، الا ان دول الخليج جمدت هذا الاعلان وأفشل كل الجهود المصرية السورية لاحيائه ، واستمرار عجز الجامعة الجامعة العربية عن القيام بدورها كاطار للنظام الاقليمي العربي بسبب الموقف السعودي الكويتي، وقدرت الدبلوماسية المصرية ان انضمامها للمجلس المغاربي يمثل سوقا اقتصادية واسعة (دول شمال افريقيا ثلثي سكان العالم العربي) ويسهل قيام مصر بدورها كحلقة وصل بين المغرب العربي ودول المشرق العربية واسرائيل وتركيا وايران) في اطار السوق الشرق أوسطية ، كما يساعد في العلاقات مع دول الاتحاد الاوروبي وتقوية دور مصر في اطار دول حوض البحر الابيض المتوسط في ضوء العلاقات التقليدية القوية بين دول المغرب،ودول اوروبا الغربية، وفي النهاية يمكن العلاقات الحالية بين مصر وليبيا ، وبين مصر والجزائر (خاصة أمنيا) وبين مصر والمغرب في نطاق الدور المتميز لكلا البلدين في موضوع التسوية والسوق الشرق أوسطية.

بينما ترى دوائر مصرية وعربية مختلفة خطأ الحسابات المصرية ، فانضمام مصر كمراقب وليس كعضو عامل يقلل من قيمة اي جوانب ايجابية لهذا التوجه ، وهناك احتمال ان يؤدي انضمام مصر الى التكتل المغاربي الى تأكيد انقسام العالم العربي الى مشرق يقوده مجلس التعاون الخليجي (بزعامة السعودية) ومغرب ، أو بين عرب آسيا وعرب أفريقيا ، وبالتالي عزل مصر عن المشرق وهو أمر في صالح اسرائيل، وتشير هذه الدوائر الى ان الاتحاد المغاربي يواجه العديد من الازمات ويتهدده الفشل نتيجة لوجود خلافات حادة بين دوله ، ومن ثم عجزه الواضح عن تحقيق اى من اهدافه المعلنة خاصة في مجال التكامل الاقتصادي ، كما أن دول المغرب العربي- باستثناء ليبيا حتى الآن- تقبل الطرح الامريكي الاسرائيلي للسوق الشرق أوسطية (خاصة المغرب)،والذي يهدف لتقزيم دور مصر وتهميشها.

الغريب ان الحكم لم يهتم بشرح او توضيح هذه الخطوة لا للرأي العام ولا للأحزاب السياسية ، ولا حتى داخل الحزب الوطني، ولم تجر حتى الآن أي مناقشة للموضوع في مجلس الشعب.

عمرو موسى



الشيوعيون يطالبون بمواجهة سياسات الحكم

استبقت السكرتارية المركزية للحزب الشيوعي المصري ، بيان رئيس الوزراء أمام مجلس الشعب، فأصدرت بيانا يوم ١٨ ديسمبر ١٩٩٤، تحت عنوان.. «فلنقاوم سياسات السلطة التي دمرت الوطن» .. أكدت فيه موقف الحزب الرافض لمجمل هذه السياسات، واستحالة ان يأتي رئيس الوزراء بجديد. قال البيان:

«في أواخر هذا الشهر ، سوف يلقى رئيس وزراء السلطة الحاكمة بيانا امام مجلس الشعب ، ولسنا ندري ماذا يمكن أن يقول في ظل الازمة الشاملة التي تغرق شعبنا، والتي يعيشها كل منا لحظة بلحظة بسبب سياسات هذه السلطة.

ماذا يقول عن مواجهة البطالة التي تتسع كل يوم ، وعن مواجهة الفساد الذي يطال قمم السلطة وأبناءهم وأسرهم، وعن الطعام الفاسد والماء الملوث والهواء الملوث الذي يأكله ويشربه ويتنفسه شعبنا وعن مواجهة الازدياد المجنون للأسعار وانخفاض الدخول والفقر الذي ينهش الناس، والتسول وجمع الطعام من صناديق القمامة الذي تحول الى ظاهرة، والغاء مجانية التعليم والعلاج والخدمات الرخيصة؟وماذا سيقول في مواجهة الركود وانخفاض معدل النمو الاقتصادي، وماذا يقول عن انتهاك الديمقراطية وتضييق هامشها الهش وفتح المعتقلات للمعارضين من العمال والسياسيين؟ وماذا سيقدم في مواجهة التطبيع مع العدو الاسرائيلي الذي تقوم به وزارات عديدة في حكومته؟

هل سيقدم رئيس الوزراء تصورات وخطط الحل للأمة الشاملة؟ أم يظل متمسكا

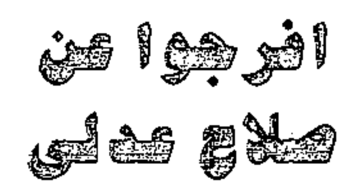
بخط التضليل والخداع الذى تتبناه السلطة دون حياء أو خجل؟

هل يعلن رئيس الوزراء عن سحب مشاريع القوانين الجاهزة وأهمها **قانون العمل الموحد وقانون النقابات وقانون الاسكان**، تلك القوانين التى ستؤدى الى سلب مكتسبات العمال والغاء حمايتهم من الظلم، والى الغاء أى فاعلية ولو محدودة للتنظيم النقابي، والى تشريد الملايين من المصريين وجعلهم بلا مأوى ؟أم سيعلن عن تقديم هذه القوانين الكارثة الى مجلس الشعب؟ ان رئيس الوزراء الذى ينفذ سياسة السلطة الحاكمة بدقة لم يعد يمتلك القدرة على المناورة، لقد اصبحت الامور واضحة، ولم يعد حكامنا يكترثون بمصلحة الوطن والشعب ومستقبلهما.

إن مقاومة سياسة السلطة الحاكمة هى الواجب الاسمى لكل الوطنيين، كما انها **مسئولية الاحزاب والقوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية المصرية.**

إن نقطة البدء فى المقاومة هى التحرك الجماهيرى بالاضرابات والاعتصامات والتظاهر السلمى وجميع اساليب الاحتجاج المتاحة.

فالسلطة الحاكمة لم تترك لنا سبيلا آخر».



أصدرت لجنة الحريات بحزب التجمع الوطنى التقدمي الوحدوي البيان التالي يوم الاحد ١٨ ديسمبر ١٩٩٤:

«تلقت لجنة الحريات بحزب التجمع الوطنى التقدمي معلومات تؤكد استمرار المعاملة غير الانسانية للمناضل الشيوعى **صلاح عدلى** فى محبسه بعنبر **التأديب** (١) بليمان طره، بما فى ذلك استمرار حبسه فى زنزانة انفرادية غير صالحة للحياة الآدمية واغلاقها عليه طوال الليل والنهار ومصادرة الملابس والأغطية الخارجية، رغم ان ادارة السجن لم توفر له غطاءا كافيا يعينه على مقاومة برد الشتاء. وتتم كل هذه الاجراءات بالمخالفة للائحة السجون والميثاق العالمي لحقوق الانسان والعهدين الدوليين.

وكانت هيئة الأمن القومى قد تقدمت ببلاغ الى نيابة أمن الدولة تتهم **صلاح عدلى** بالتخابر مع جهات أجنبية وتلقى أموالا منها بقصد الاضرار بالأمن القومى واستقرار البلاد. وقام أفراد من هيئة الأمن القومى بصحبة أحد رؤساء نيابة أمن الدولة العليا يوم الاربعاء ٣٠ نوفمبر ١٩٩٤ بتنفيذ قرار المحامى العام لنيابة أمن الدولة بضبط واحضار وتفتيش منزله. وقد اسفر التفتيش عن عدم وجود أى مضبوطات تفيد التحقيق.

وكشف التحقيق أمام نيابة أمن الدولة العليا والذى استمر حتى يوم الثلاثاء ١٣ ديسمبر ١٩٩٤، وبحضور المحامين الاساتذة **ونبيل الهلالى- سيد أبو زيد- عبد الله خليل- محمد الدماطى- عبير سيد اسحق»** وممثلى **المنظمة المصرية لحقوق الانسان ومركز المساعدة القانونية**، عن عدم وجود أى دليل أو شبهة التخابر، وأن أجهزة الأمن بنت اتهامها الغريب، على شروع **صلاح عدلى** بوصفه مديرا للمركز المصرى للتنمية والعمل الاجتماعى «تحت التأسيس» فى انشاء مركز شعبى للعلاج وعيادة طبية فى المعصرة، واتفاقه مع **اللجنة اليونانية للتضامن الدولى الديمقراطى والسوق الاوروبية المشتركة** على المساهمة فى مصاريف التأسيس، وتلقيه بالفعل لمبلغ ١٩ ألف دولار تمثل مساهمة السوق الاوروبية المشتركة واللجنة اليونانية.

وتبين من التحقيق ان **صلاح عدلى** قام بالفعل بإنفاق هذا المبلغ فى شراء الادوات الطبية الضرورية للمركز وتأسيس العيادة بالمعصرة.



صلاح عدلى

وقد ارسلت منسقة المشروع فى اللجنة اليونانية الدولية للتضامن الديمقراطي بمجرد نشر خبر القبض على **صلاح عدلى والاتهام** الموجه اليه رسالة عاجلة بالفاكس الى رئيس بعثة السوق الاوروبية المشتركة فى القاهرة **«السفير ماكجيفر»** يتضمن التقرير المقدم من اللجنة اليونانية ومنسق المشروع للسوق الاوروبية المشتركة والمتضمن الاتفاق على المساهمة فى تأسيس المركز بالمعصرة وشروطه ونسب المشاركة (٥٠٪ للسوق الاوروبية- ١٥٪ اللجنة اليونانية). وجاء فى رسالة اللجنة اليونانية للتضامن أن منسقة المشروع التقت عند زياراتها للقاهرة لمتابعة مشروع المركز وبصحبة صلاح عدلى المنسق المصرى للمشروع بالسيد **«نيكولاس جاريجيس»** بمقر بعثة السوق الاوروبية المشتركة لمناقشة خطة المشروع .. «وقد تم تحويل مبلغ ١٩ الف دولار الى الشريك المصرى على حساب ببنك القاهرة. وللأسف فقد علمنا ان السيد **صلاح عدلى عبد الحفيظ قد القى القبض** عليه بحجة انه تلقى أموالا من منظمة يونانية لاغراض منافية للقانون. ونستطيع ان نؤكد ان هذه الاموال قد استخدمت لشراء الاجهزة حيث ارسلت لنا الفواتير من شريكنا، وقمت بتفقد الاجهزة عند زيارة العيادة».

وقد طالبت اللجنة اليونانية من سفير السوق الاوروبية المشتركة وضع الحقائق أمام جهات التحقيق.

ان لجنة الحريات بحزب **التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى**، تناشد هيئات التحقيق سرعة الانتهاء من تحقيقاتها لكى يسقط هذا الاتهام الباطل المعلق على رقبة واحد من اشرف وأخلص أبناء هذا الوطن، ولنتأكد أن النيابة العامة الحريصة على حماية المجتمع وافراده ترفض اتهام الشرفاء، وتلفيق قضايا تمس الشرف والوطنية.

كما تطالبها بحماية **صلاح عدلى** فى محبسه ووقف هذه المعاملة غير الانسانية.

وتدعو منظمات الدفاع عن حقوق الانسان والمنظمات الديمقراطية ولجان الدفاع عن الحريات للتدخل لدى جهات الامن لوقف هذه المعاملة المنافية للدستور والقانون وحقوق الانسان التى يتعرض لها **صلاح عدلى** فى ليمان طره، وسرعة الافراج عنه ليعود الى ممارسة دوره السياسى والديمقراطى دفاعا عن الوطن».

أحزاب يسارية من ثلاث قارات تناقش أزمة النظام الدولي الجديد

حسين عبد الرازق

رسالة لارناكا

ما إن هبطت الطائرة في مطار «لارناكا» مساء الجمعة ٩ ديسمبر ١٩٩٤، حتى وجدتني أغرق في مقارنة الوضع اليوم بما كان عليه عشية زيارتي السابقة لقبرص منذ ٢٧ عاما (فبراير ١٩٦٧). ولم تشغلني طويلا الفروق الهائلة الحضارية بين قبرص اليوم وتلك التي رأيتها والطائرة تحلق في السماء، أو السيارة تحملني والصديق د. **الشفيع خيضر** عبر الطريق من المطار مرورا بمدينة لارناكا ثم الى الفندق الذي يقع على بعد عدة كيلو مترات من المدينة، ولكن ما شغلني هو الفرق الهائل بين حال الوطن والامة والعالم في بداية ١٩٦٧ (قبل العدوان والهزيمة والاحتلال في يونيه ١٩٦٧ واتفاقات كامب ديفيد وحرب الخليج. وقبل اختفاء الاتحاد السوفييتي وانظمة اوروبا الشرقية) وحاله مع نهاية ١٩٩٤. كانت المقارنة مفزعة تدعو لليأس وتكاد تدفع للتخلي عن القليل من الآمال والاحلام التي ما زلنا نقبض عليها ونتمسك بها.

ولكن ما ان وصلت الى فندق «البوريفاج» ودلفت الى القاعة التي تنعقد فيها «مناقشات المائدة المستديرة الدولية» -وكانت الجلسة الافتتاحية قد بدأت بالفعل-- ورأيت وجوه الرجال والنساء التي تجمعت حول «المائدة»، وبعضهم مألوف لدي والآخرون التقي بهم للمرة الأولى، حتى أحسست أنني قادر مرة أخرى على الإمساك بالحلم والأمل واستعادة روح التحدي من جديد. وتأكد لدي هذا الاحساس مع نهاية المناقشات التي استمرت طوال يومين ونصف يوم، وشارك فيها ٥٨ من قيادات وممثلي اثنين وعشرين حزبا شيوعيا وخمسة أحزاب اشتراكية.

لم يكن سبعث هذا التفاؤل الحذر هو مجرد التقاء هذه الاحزاب معا لأول مرة منذ سنوات عديدة- وهو حدث ايجابي في حد ذاته- وادعاء باتفاق رؤيتها حول كل القضايا المطروحة على بساط البحث، فالاختلاف في التفسير والتحليل والتصور كان كبيرا، ولكن ما اسعدني بحق هو تنوع الاجتهادات ومحاولة تأصيلها على أسس صحيحة، والشجاعة في نقد الذات ونقد الآخرين، والحرص على عدم تجاهل الاختلافات ومحاولة التعرف على الآخر وفهمه، ومواجهة الواقع وحقائقه مهما كانت مُرة وقاسية .. ثم بحث الجميع عن برنامج للخروج من الازمة والتنسيق والعمل المشترك لمواجهة الامبريالية والنظام العالمي الجديد.

لقد طرحت العديد من القضايا الدولية والاقليمية والمحلية تحت عنوان الندوة، وهو «الحاجة الى عمل مشترك **للقوى اليسارية والتقدمية والوطنية لمواجهة الموقف الجديد**»، ومن الصعب تناولها جميعا في هذه الرسالة.

ولذا سأكتفي بثلاث قضايا.

عالم جديد ... قديم

** القضية الأولى التي فرضت نفسها على أغلب المتحدثين، هي محاولة التوصل لملامح هذا «الموقف الجديد».

فماهر الشريف الذي مثل «**حزب الشعب الفلسطيني**» ركز على ظاهرة «**العولمة**» كظاهرة موضوعية، لم يعد بمقدور أي شعب من الشعوب أن ينأى عنها، واستفادة الولايات المتحدة من هذه الظاهرة. وانتهاء القطبية الثنائية التي ميزت الساحة الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، لتحول «العولمة» الى سيطرة وهيمنة في ظل «**النظام العالمي الجديد**» وفرض مفهوم ونموذج الحياة الامريكية على العالم كله، وابتداع عدو جديد يحل محل الشيوعية، وهو «**الجنوب**» وتحويل الصراع في الساحة الى صراع بين الحضارة الغربية والشعوب الاخرى، وبعبارة أخرى بين الشمال المتقدم وتكتل دول السبع الصناعية الكبرى، في مواجهة الجنوب. وتستخدم الولايات المتحدة في ذلك السبيل العديد من الاسلحة، من بينها **صندوق النقد الدولي والبنك الدولي** لفرض سياسة الخصخصة وحرية التجارة بما يحقق مصالح الولايات المتحدة. كما تستخدم مجلس الامن كغطاء لتنفيذ اهدافها، وكذلك غياب الديمقراطية وانتهاك حقوق الانسان في بعض البلدان، وأكد أن الفوضى التي تعم عالم اليوم لا يمكن فهمها بمعزل عن التوجه الامريكي وانكسار المشروع الاشتراكي.

ويوضح «**ميهالزمار كوليفيش**» -**الحزب** الاشتراكي الصربي- الطبيعة الخاصة



للاستعمار الامريكي في هذه المرحلة واعتماده على السيطرة الاقتصادية والسيطرة السياسية واحياء مشاعر التعصب القومي والديني والعنصرية والشوفينية وتشجيع الحركات الانفصالية لخلق كيانات صغيرة، كما حدث ويحدث في الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا. ويشير «دزياديس ثودوروس» -الحزب الشيوعي اليوناني- للدور الخاص لألمانيا في البلقان.

ويضيف «ديمتري كريستوفياس» سكرتير الحزب التقدمي للشعب العامل» (أكيل) .. ان انهيار المجتمع الاشتراكي والاتحاد السوفيتي قد خلق نزاعاً اقتصادياً وسياسياً في شرق أوروبا والبلقان ومنطقة القوقاز وآسيا الوسطى.. وقد برزت ألمانيا (الموحدة) كقوة كبرى سياسية واقتصادية وعسكرية في وسط وشرق أوروبا ، ويبدو النفوذ الالماني واضحاً في جمهوريات البلطيق والمجر والتشيك والسلوفاك والنمسا وكرواتيا وسلوفينيا»..

وتلفت «سلفيا مايير» -الحزب الشيوعي الفرنسي- النظر الى قضية الامن والعسكرة خاصة في أوروبا .. «فبالرغم من اختفاء الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، والسيطرة الواضحة للولايات المتحدة ، يعاد تقوية حلف الاطلنطي ، كما لاحظنا في الحرب الدائرة في يوغوسلافيا السابقة، ولا نشهد في اوروبا اي اتجاه لإنهاء عسكرة المجتمع، على العكس فالانفاق على الاسلحة المتطورة في فرنسا يتزايد بصورة مضطردة، وتأسيس القوة الاوروبية مجرد خطوة أولى في اقامة دفاع مشترك طبقا لمعاهدة «ماستريخت» ، وهناك تطورات جديدة في الاسلحة النووية وفي تجارة السلاح التي تنمو بصورة مضطردة » .وتحدد عناصر الخطر في النظام الدولي الجديد- بالاضافة لما سبق -في خطرين رئيسين:

-اختلاف درجات التطور والفجوة بين الشمال والجنوب وما تنتجه من صدام وتمرد وهجرة من اجل البقاء ، وتقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤ يشير إلى أنه من بين كل خمسة هناك شخص يعاني من الجوع، ومن بين كل اربعة هناك شخص لا يجد المياه، ومن بين كل ثلاثة هناك شخص يعاني من البؤس، وفي نفس الوقت فإن ما ينفق على التسلح في العالم يوازي نصف دخل سكان الكرة الأرضية.

-أدت علاقات السيطرة الى بروز التعصب القومي و الديني ، كما نرى في

*ماهر الشريف : لا يمكن فهم الفوضى التي تعم عالم اليوم بمعزل عن الهيمنة الامريكية وانكسار المشروع الاشتراكي.

ميهالومار كوفيتش:
الاستعمار الامريكي يعمل على احياء مشاعر التعصب القومي والديني والعنصرية وتشجيع الحركات الانفصالية لخلق كيانات صغيرة.

سلفيا مايير: ما ينفق على التسلح في عالم اليوم يوازي نصف دخل سكان الكرة الأرضية.

الشفيع خضر: مطلوب جبهة واسعة بين قوى اليسار والوطنية والتقدم.

يوغوسلافيا السابقة والجزائر وحتى رواندا».

ويبدو ان العسكرة وتجارة السلاح لا تقف عند حدود اوروبا ، فأحمد الاسعد- الحزب الشيوعى الاسرائيلى- يشير الى بعض الدراسات التى تقول ان الانفاق على التسلح فى الشرق الأوسط منذ نهاية حرب الخليج وحتى الآن قد وصل الى ٨٨ مليار دولار.

ويــرى «دزياديس ـ تردرروس» أن الامبريالية فى اتجاهها لاعادة ضبط التقسيم العالمى للانتاج الرأسمالى فى اطار عملية «العولمة» والتى تتحكم فيها المؤسسات متعددة الجنسية، تتجاهل المصالح القومية للدول الصغيرة (الرأسمالية) ، ويقدم نموذجا لما يقوم به الاتحاد الاوروبى فى اليونان- عبر مؤسساته التى أقامها : معاهدة ماستريخت أو الكتاب الأبيض واتفاق شينجى وكذلك المؤسسات الامبريالية الاخرى مثل اتفاقية الجات- حيث يتم القضاء على الصناعة وتخفيض الإنتاج الزراعى وتحويل اليونان إلى بلد خدمات وتفرض خصخصة كل المؤسسات الضخمة التى كونها الشعب اليونانى خلال عشرات السنين من العمل الشاق والتضحيات».

وقد حاولت فى بداية النقاش تلخيص أبرز ملامح عالم اليوم- كما نراها فى **حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى** فى خمس نقاط-:

١- انهيار وتفكك اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، وسقوط الانظمة التى كانت قائمة فى أوروبا الشرقية ومترتبطة به.. وبالتالى اختفاء ما كنا نسميه بالمعسكر الاشتراكى.

٢- انتهاء الحرب الباردة والعالم الثنائى القطبية، وبروز قطب واحد تمثل فى «الولايات المتحدة الامريكية» التى تسعى لفرض هيمنتها الاقتصادية والسياسية والفكرية على العالم، مستخدمة القوة العسكرية والاقتصاد والمؤسسات المالية والدولية ومجلس الامن لتحقيق هذا الهدف.

٣- هزيمة حركة التحرر الوطنى العالمية والاستعمار الجديد والشركات متعددة الجنسية والصهيونية.

٤- دخول الاشتراكية كتطبيق وفكرة ونظرية فى أزمة خطيرة.

٥- اندفاع موجة كاسحة شملت العالم كله تقريبا، تروج للرأسمالية والليبرالية الجديدة، وضرورة تخلى الدولة عن أى دور اقتصادى ، وعن دورها فى توفير الخدمات والرعاية للطبقات الشعبية، وفرض الخصخصة ومنع الحماية للمنتجات الوطنية .. الخ.

ولقد انعكست هذه التطورات على الاحزاب اليسارية والتقدمية بصورة سلبية».



سلفيا مايير

أزمة الاشتراكية

وقد تطرق عدد من المشاركين خلال تقييمهم للوضع الراهن الى محاولة لتفسير أسباب سقوط التجربة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى وأزمة الماركسية.

فايفان مالينكوف- **الحزب الشيوعى للاتحاد الروسى**- وهو أكبر الاحزاب الشيوعية الستة الموجودة حاليا فى روسيا ، والذى يمثل المعارضة الرئيسية فى البرلمان الروسى، يرى أن سقوط النظام الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى يعود الى الفروق الواسعة بين القمة والقاعدة داخل الحزب الشيوعى السوفيتى، وبين الحزب ككل وملايين الشيوعيين والمواطنين السوفيت، ثم سياسة البيروسترويكا التى أدت الى تصفية الاشتراكية من الداخل .وأما «**فلاديمير جاسيف**» - **حزب العمال الشيوعى الروسى**- فيرجع كل شئ الى «الخيانة» التى بدأت مع المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى فى ظل «**نيكاتا خروتشوف**» .. وشعارات هذا المؤتمر المزيفة .. القضاء على سلطة الفرد- التعايش السلمى- هدم صورة **ستالين**».. واستمرت فى عهد بريجنيف «خيانة الاشتراكية وادخال الرأسمالية، ثم جاء «جوربى» كما يسمى فى الغرب فى المؤتمر الطارئ التاسع عشر بالتفكير الجديد واقتصاد السوق والبريسترويكا» ، وبالطبع فقد كانت هذه الرؤية بعيدة كل البعد عن الاتجاه السائد فى هذا اللقاء.

وتحدث «**سامى خالد**»-**الحزب الشيوعى العراقى**- حول الماركسية مؤكدا ان «الماركسية ما زالت قادرة -كنظرية ومنهج- على اعطاء اجابات شاملة على التحديات التى تواجهها البشرية فى عالم اليوم، بينما الح «**الشفيع**» على أن بعض مقولات ماركس واضافات لينين تختلف عن متطلبات العصر، ولكن المنهج المادى الديالكتيكى يبقى ضرورة، والماركسية مرشداً وليس عقيدة ويضيف «**حسين عبد الرازق**» .. «سقوط هذه التجربة الاولى- الاتحاد السوفيتى- كشفت عن أزمة على المستوى الايديولوجى والفكرى والنظرى،

تواجه الاشتراكية العلمية والماركسية، والماركسية اللينية، ونحتاج الى شجاعة نقد أنفسنا وفكرنا لعلاج هذه الأزمة، أخذين في الاعتبار ان جهود تطوير الفكر الاشتراكي ونقده وتحديثه لم ينقطع طوال نصف قرن أو أكثر، ونملك اليوم حصيلة هائلة من أعمال **جرامشي وتولياتي والتوسير** ومفكري الشيوعية الاوروبية وغيرهم، يضاف اليها الدراسات الهامة التي كتبت وتكتب منذ سنوات في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية والعالم العربي، وما ينتجه الآن الشيوعيون في الدول التي كانت تكون فيما مضى الاتحاد السوفيتي، نجميعها زاد يساعد على استعادة الماركسية والاشتراكية لجوهرها القائم على رفض الجمود والقولبة، واعتماد النقد والتحليل العلمي والديالكتيك، ومواكبة التطورات والاكتشافات العلمية. ولعل اهم درس علينا ان نعيه ان الماركسية نظرية لم تكتمل ولن تكتمل ابدا فهي حية متجددة دائما، وان اقامة تناقض مفتعل بين الحقوق السياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية، بين الحرية والخبز، هو مقتل اي فكر وتجربة اشتراكية، وأن الديمقراطية وحقوق الانسان جميعا، هي نتاج لنضال البشرية، وخاصة الطبقات العاملة والاحزاب الاشتراكية في الغرب الرأسمالي. وبالتالي هي تراثنا ومستقبلنا».

برنامج ... للمستقبل

ومع أهمية هذه المناقشات وحيويتها، فأعتقد أن الجانب الذي يمثل اضافة جديدة، هو تطلع الاحزاب المشاركة الى محاولة التوصل الى اطار برنامجي للقوى الشعبية والاحزاب الشيوعية والتقدمية والوطنية لمواجهة هذا النظام الدولي الجديد القائم على الهيمنة والاستغلال..أو ما يسمى الآن الليبرالية الجديدة المتوحشة.

يقول **ماهر الشريف**«اذا كان اليسار بمفهومه هو الأقدر موضوعيا على بلورة مشروع الامل الجديد، فهناك شروط لابد من توافرها ليضطلع بالدور التاريخي المنوط به، فهناك ضرورة تجاوز أزمة الهوية التي يواجهها على المستويات الفكرية، واعادة الاعتبار لمعنى السياسة والعمل الجماعي، ولكل الممارسات التي تعطي للفرد صفة المواطنة ويحتاج اليسار الى موقف نقدي جرئ من ماضيه وتجربته، يتيح له فرصة الانتقال في مستوى الفكر، من الجمود والانغلاق الى الابداع والانفتاح، وضرورة اعادة النظر في العلاقة بين الطليعة والجماهير، والتحول من الاساليب المركزية الى الاساليب الديمقراطية وانهاء الفصل التعسفي بين مخططين ومنفذين.. وبالنسبة للخيار الاجتماعي البديل، يكفي في اللحظة الراهنة، ان يتجاوز كل ثغرات ونواقص نموذج الاشتراكية المطبقة ليحقق انتاجية اقتصادية عالية، عدالة اجتماعية حقيقية، وديمقراطية سياسية حقيقية آخذين في الاعتبار تعدد الاشكال والخصوصيات وعادات وتقاليد الشعوب والمناطق. ويطرح **فايتو سوريني- حزب اعادة بناء الشيوعية في ايطاليا**- سؤالين هامين..

«هل هناك امكانية لعمل مساومة مشتركة للوصول الى موقف عملي واحد بين الاحزاب والقوى التقدمية؟

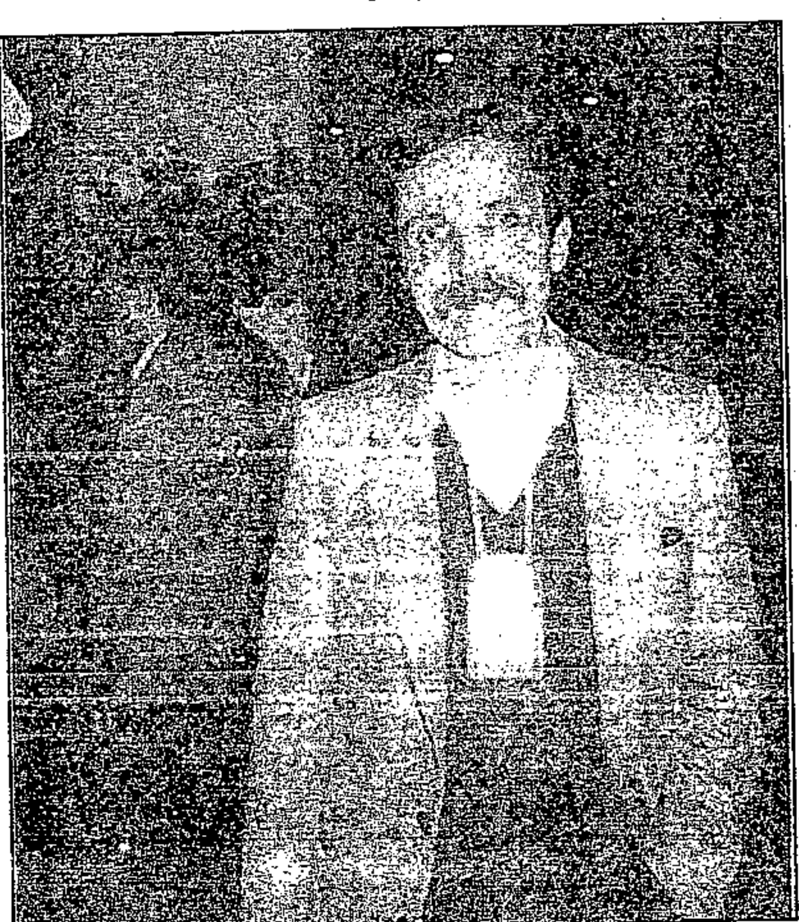
إذا كانت الاجابة بنعم.. ما هي الوسائل لنضالنا المشترك؟

ويقدم عدداً من الاقتراحات للنضال المشترك حولها... مثل خلق نظام للأمن الاجتماعي يشمل أوروبا وروسيا ودول البحر الابيض المتوسط، ازالة القواعد العسكرية الاجنبية، ولكن أهم ما اثار **«سوريني»** هو دعوته للتفكير في تحرك وآلية شبيهة بما حدث في الخمسينات من جمع توقيعات على بيان ستوكهولم.. مقترحا تكوين مؤسسة أو لجنة أو مبادرة.. تشارك فيها الاحزاب والقوى التقدمية، تكون بمثابة مركز معلومات او ابحاث لتبادل الخبرة بين هذه الاحزاب والقوى.

ويؤكد **الشفيع خيضر** انه في مواجهة القطب الامبريالي لم يعد ممكنا، الحديث عن تحالف الدول الاشتراكية وحركة الطبقة العاملة في الدول الرأسمالية وحركة التحررالوطني.. «فالمطلوب صيغة أخرى وجبهة أوسع اساسها حركة الشعوب. عمل مشترك بين قوى اليسار والقوى الوطنية والتقدمية».

وتقترح **«سيلفيا مايير»** برنامجا يشمل «التوصل الى الاتفاق على الغاء التجارب النووية شاملة التجارب العملية ومنع

ماهر الشريف



التسلح النووي، وأسلحة الدمار الشامل.. حل حلف الاطلنطي ووقف العسكرة .. معارضة نظرية «كول- بالادير- جاك ديلور» التي تستبعد عدداً من دول أوروبا من المشاركة في اتخاذ القرارات الهامة في التجارة والسياسة والامن وإعادة بناء مؤسسات ديمقراطية لاوروبا الموحدة ... وعلاج حقيقي لمشاكل الديون والتجارة الدولية والقضايا الاجتماعية» ، وأشارت الى اقتراح «جيمس توبن» الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد بفرض ضريبة ٥ر٪ على كل الصفقات التجارية ، وسيتم تحصيل ١٥٠٠ مليار دولار سنويا من هذه الضريبة ويقترح «أوسكار ارياس» الحائز ايضا على جائزة نوبل تكوين صندوق توضع فيه المبالغ الناتجة عن تخفيض ميزانيات التسلح تستخدم في دعم الدول على تحويل الصناعات العسكرية الى صناعات مدنية واعادة توظيف العاملين في المجال العسكري وتأهيلهم ويقدر الاجمالي المتراكم من تخفيض الميزانيات العسكرية منذ عام ١٩٨٧ حتى الان بحوالي ٥٠٠ مليار دولار.

ويضيف «كريستاكيس بارتاسيدس» ..نحتاج لنظرية محددة لتحقيق العدالة الاجتماعية وترسيخ الديمقراطية وازالة آفة البطالة ، والغاء النظام الطبقي الرأسمالي ، وازالة المجاعة عن دول الجنوب ، وتخفيف الهوة بين الشمال والجنوب، ومحاربة التطرف القومي والمحافظة على القيم الاخلاقية».

وتتوالى الافكار والاقتراحات مع التركيز على أهمية تواصل اللقاءات والاتصالات ، والحاح على فكرة وجود مركز اتصال وهو الاقتراح الذي طرح من جانب الايطاليين واليونانيين والقبارصة.

وبالطبع فلم تكن هذه هي كل القضايا التي أثيرت في هذه المائدة المستديرة ،فقد حظيت قضية البوسنة ويوغوسلافيا السابقة باهتمام كبير ، كذلك القضية القبرصية التي خصصت لها جلسة خاصة ، وتناول أكثر من متحدث القضايا العربية ومشروعات التسوية واسرائيل والصهيونية والقضية الفلسطينية والسوق الشرق أوسطية ، وتستحق الافكار التي أثيرت حول هذه الموضوعات تناولا مستقلا في مرة أخرى.

الأحزاب التي شاركت في المائدة المستديرة

أوروبا الغربية
قبرص: حزب أكيل
حزب إديك
حزب اديسوك
فرنسا: الحزب الشيوعي الفرنسي
ايطاليا: حزب اعادة بناء الشيوعية
البرتغال: الحزب الشيوعي البرتغالي
اليونان: الحزب الشيوعي اليوناني

أوروبا الشرقية
أرمينيا: الحزب الشيوعي الارميني
روسيا: الحزب الشيوعي للاتحاد الروسي
حزب العمال الشيوعي الروسي
يوغوسلافيا (السابقة) الحزب الاشتراكي الصربي
رابطة اتحاد الشيوعيين اليوغوسلاف.

الوطن العربي
البحرين : لجنة التنسيق بين جبهة التحرير الوطني والجبهة الشعبية في البحرين
مصر: حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي
العراق: الحزب الشيوعي العراقي
الاردن: الحزب الشيوعي الاردني
فلسطين: حزب الشعب الفلسطيني
الحزب الشيوعي الفلسطيني
الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين
السودان: الحزب الشيوعي السوداني
سوريا: الحزب الشيوعي السوري
الحزب الشيوعي السوري
حزب البعث العربي الاشتراكي

الشرق الأوسط
اسرائيل: الحزب الشيوعي الاسرائيلي
ايران: حزب توده.
تركيا: حزب العمال الكردستاني

الإدارة المصرية هل تستطيع مقاومة الضغوط الأمريكية

أمينة النقاش

سواء صدقت تصريحات المسئولين المصريين والأمريكيين ، بشأن عدم وجود أزمة، في العلاقات المصرية الأمريكية، أو لم تصدق ، فإن الشئ المؤكد، أن ثمة تغييرات في النظرة الأمريكية، للدور المصري في المنطقة ، على ضوء التطورات التي لحقت بقضية تسوية الصراع العربي الاسرائيلي، التي تلعب فيها واشنطن-بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، واختفاء المعسكر الاشتراكي، والكارثة القومية الشاملة التي حلت ، بعد الغزو العراقي للكويت- الدور الرئيسي خاصة بعد توقيع إتفاق «أوسلو» بين الفلسطينيين والاسرائيليين، الذي انتهى بإقامة سلطة وطنية فلسطينية هشة في غزة وأريحا ، وإبرام المعاهدة الأردنية الاسرائيلية ، التي أسفرت عن علاقات دبلوماسية واقتصادية كاملة بين البلدين ، فضلا عن تسارع خطوات التطبيع بين اسرائيل ودول الخليج العربي والمغرب العربي في آن واحد.

فمع طي صفحة «مدريد» ، وفتح باب التسابق العربي للأنضواء تحت المظلة الامريكية، وعقد معاهدات سلام منفردة مع اسرائيل، وتطبيع العلاقات معها ، يصبح من قبيل التبسيط قراءة الهجوم ، الذي شنته بعض الصحف الامريكية، ذات الصلة بدوائر صنع القرار في واشنطن ، على الادارة المصرية



حسني مبارك

قبل شهرين ، باعتبارها أزمة عابرة ، كما تصبح أمكانية الحفاظ على صداقة بين القاهرة وواشنطن، مع احتفاظ الأولى، بحق الخلاف أحيانا مع الثانية دون أن تفقد مساعداتها المالية احتمالا مشكوكا فيه، في ظل شروط التحالف المصري الأمريكي القائم ، في المجالين السياسي والاقتصادي.

التصحيح الجزئي

ومنذ الأيام الأولى لتوليه السلطة في أكتوبر عام ١٩٨١ ، كان الرئيس «حسني مبارك» يبدي اتجاها للتميز عن سلفه «أنور السادات» في بعض الظواهر، التي لم تكن تمس جوهر سياساته، كما كان يسعى لأحداث ، نوع من الموازنة في علاقات مصر الدولية ، ولتصويب جزئي للعلاقات المصرية الأمريكية بحيث تبدو السياسة المصرية ، مستقلة نسبيا عن الولايات المتحدة الأمريكية ، لكن الاحداث تطورت بعد ذلك بشكل مضاد لتلك المساعي والمحاولات.

فمع بداية توليه السلطة، أعلن الرئيس حسني مبارك عن التدهور الشامل في الأوضاع الداخلية، كما أعترف للمرة الأولى- على عكس سلفه- بأوضاع مصر الاقتصادية المنهارة، او بدا واضحا ، «أن الازمة الاقتصادية» هي التي تقود سياسات الرئيس مبارك الداخلية والخارجية.

وفي هذا السياق، اختارت الادارة المصرية ، سياسة الاعتماد الكلي ، على الولايات المتحدة الامريكية، لحل مشاكل كل الفوضى الاقتصادية التي خلقتها سياسة الانفتاح الاقتصادي، وتعددت زيارات الرئيس حسني مبارك ، بشكل شبه سنوي، مع اقتراب موعد مناقشة الكونجرس الامريكي، لبرنامج المعونات الخارجية، وأصبح البند الثابت في كل المباحثات المصرية الأمريكية، تأجيل اقساط فوائد الديون المصرية لواشنطن، أو حثها على التنازل عنه، أو تحويلها لمنحة لا ترد، فضلا عن زيادة المعونات الاقتصادية الامريكية، ومنح الحكومة المصرية حرية أكبر ، في استخدام تلك المعونات وفقا لاحتياجاتها الداخلية.

وكان الاغراء ، الذي تقدمه ادارة الرئيس مبارك لواشنطن هو قدرة مصر على تشجيع الاطراف العربية ،على الانضمام الى مسيرة التسوية السلمية ، التي تكفل حفظ الاستقرار في الشرق الاوسط ، وابعاد أي مخاطر تهدد أمن اسرائيل نفسها ، التي تضطلع- وفقا للاتفاق الاستراتيجي بينها وبين الولايات المتحدة-

بالدور الرئيسى فى صيانة المصالح الامريكية فى المنطقة. كما ان جذب بقية الاطراف العربية، لمظلة التسوية ، من شأنه حماية تلك المصالح سواء تلك الخاصة بأمن اسرائيل، أو الاخرى المتعلقة، باستمرار تدفق البترول من منطقة الخليج للولايات المتحدة وللدول الغربية ، دون تعرض هذه المصالح لأية اهتزازات محتملة.

وفى هذا السياق، قدمت القاهرة نفسها لواشنطن، بصفتها وسيطا بين الفلسطينيين، والاسرائيليين ، وبين الفلسطينيين والامريكيين ، انطلاقا من ان هذا الدور من المفترض ان يشجع واشنطن على تقديم المساعدات لمصر لحل ازمتها الاقتصادية باعتبارها -مصدر عامل الثبات والاستقرار فى المنطقة التى تعد حيوية كما تقول الولايات المتحدة الامريكية بأنه أمنها .

الشروط الامريكية

لكن هذا الدور الذى ساقته ادارة الرئيس مبارك لواشنطن ، كمبرر لعلاقات خاصة بين البلدين، اصطدم دوما، بشروط امريكية سواء فى جانبه المتعلق بالمساعدات الاقتصادية، أو فى جانبه الاخر المتعلق بقضية التسوية السلمية فى المنطقة.

ففى القضية الأولى ادركت الادارة الامريكية بخبرتها ، ان استجابة **القاهرة لسياساتها دون قيد أو شرط، مرهونة بوضع الاقتصاد المصرى فى حالة احتياج دائم لمعونتها** وليس المساعدة على تخليص هذا الاقتصاد من ازماته.

وفى مجال قضية التسوية رفضت الادارة الامريكية فى كل العهود وبشكل خاص منذ **ريجان مرورا ببوش وانتهاء بكلينتون** ، اعتماد اي مشروع لا تستجيب له اسرائيل، أو اتخاذ أى قرار لا يحظى بموافقتها، كما رفضت ممارسة اي ضغط على اسرائيل لدفعها للقبول بالحد الادنى بشروط التسوية المقبولة عربيا. **كما ربطت بين تقديم المعونات المدنية والعسكرية لمصر ، وبين قيام مصر بممارسة ضغوط على الفلسطينيين والسوريين للقبول بشروط التسوية الاسرائيلية**،وبطريقة ادارتها عبر المفاوضات المباشرة المنفردة، وهو ما تم بالفعل فى اتفاق غزة أريحا، الذى اعترفت القيادات الفلسطينية والاسرائيلية بالدور المصرى فى إتمامه، وما يزال يتعثر على المسار السورى الاسرائيلى، لرفض سوريا الاذعان للضغوط التى كان آخرها، تصويت واشنطن ضد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بدعوة اسرائيل للانسحاب من الجولان واعتبار ضمها اليها قرارا باطلا لكى تحذو حذو الفلسطينيين ، وتقبل بحل مشكلة الجولان على مراحل، وتمسكها بتسوية تقوم على انسحاب اسرائيلى شامل من الجولان ، مقابل سلام شامل مع اسرائيل، ورفضها للمبدأ الاسرائيلى السلام مقابل السلام.

وفى هذا الاطار، لم تعد اسرائيل الحليف الاستراتيجى للولايات المتحدة هى الطرف الذى يملك بيده مقاليد القبول أو الرفض فى قضية التسوية فحسب، بل فى قضية المساعدة على حل مشاكل مصر الاقتصادية ، فقد رفضت الادارة الامريكية منذ تولى الرئيس مبارك السلطة، الفصل بين تقديم المساعدات الاقتصادية أو بحث زيادتها أو ارجاء او الغائها، وبين تصفية العلاقات المصرية الاسرائيلية ومدى تطورها، والاسراع بخطوات التطبيع العلنى بين القاهرة وتل ابيب، وظل **تحفظ الرئيس«مبارك»** على القيام بنفسه بزيارة اسرائيل- برغم تعدد زيارات كبار المسئولين المصريين اليها- موضعا لضيق الادارة الامريكية او لضيق اسرائيل بالطبع، التى اعلن مسئولوها ان احد أهم اسباب زيارة **رئيسها«عزرا فايتسمان»** الأخيرة للقاهرة ، هو دفع الرئيس مبارك لتحديد موعد زيارته لاسرائيل، كما لم تخف اسرائيل انزاعجها الدائم من حالة الفتور فى العلاقات المصرية الاسرائيلية ، وصك مسئولوها مصطلح السلام البارد بين البلدين، كما احتجوا مرارا على احجام النقابات والاتحادات الجماهيرية على تطبيع العلاقات معها.

الوسيط غير مقبول

لم تقبل واشنطن بدور الوسيط الذى رسمته السياسة المصرية ، فى عهد الرئيس مبارك لنفسها، **وأخذت تصر فى كل مناسبة ، على أن تقدم الادارة المصرية الأدلة على التزامها بالدفاع عن السياسة الامريكية فى المنطقة ، ودعم أولويات تلك السياسة**، ولم تكتف الادارة الامريكية بذلك، بل وجهت ضربة للادارة المصرية فى أكتوبر عام ١٩٨٥، فى أعقاب الغارة الاسرائيلية الامريكية ، على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس، حين **قامت الطائرات الحربية الامريكية، بخطف الطائرة المصرية المدنية، التى كانت تقل الفلسطينيين الأربعة، مختطفى السفينة الايطالية« أكيلى لاورو»**، وإجبارها على الهبوط فى قاعدة عسكرية امريكية فى صقلية ، وبعد ان عرفت واشنطن اتجاه الطائرة ، عبر اجهزة التصنت التى تم زرعها بواسطة المخابرات الامريكية فى مكتب الرئيس مبارك، وهو ما اعترف به مدبر السى. أى . إيه للكاتب الامريكى. «**بوب ودد وارد**» ونشره الأخير فى كتابه الحجاب.

وكان الهدف الأول لهذا التدخل الفظ فى الشئون الداخلية المصرية ، هو اثبات انه لا طريق آخر للعلاقة بين القاهرة وواشنطن، سوى الامتثال التام للادارة الامريكية.

وجاء التطبيق العملى، لهذا الشكل من العلاقة ، بعد أقل من شهر من حادث اختطاف الطائرة المصرية . وفى أواخر نوفمبر عام ١٩٨٥ ، قامت مجموعة باختطاف طائرة الركاب المصرية، التى كانت قادمة من أثينا إلى القاهرة، وأجبرتها على الهبوط فى مطار فاليتا بمالطة ، حيث طالب مختطفوها بالافراج عن الجندى المصرى«سليمان خاطر» الذى قام عشية الغارة الاسرائيلية على مقر المنظمة فى تونس، بإطلاق النار على سبعة أسرائيليين، رفضوا الامتثال لأوامره، بعدم إجتياز خط الحدود بين مصر واسرائيل، وقد امتثلت الادارة المصرية ، للتوجيه الامريكى ، حيث قبلت بقيام قوة من الصاعقة المصرية بإقتحام الطائرة، تحت دعوى مقاومة ما تسميه الادارة الامريكية بالارهاب الدولى. وأنتهى هذا الاقتحام بمجزرة ، أزهقت أرواح ٥٩ راكبا من المدنيين والعسكريين المصريين.

شروط متعسفة

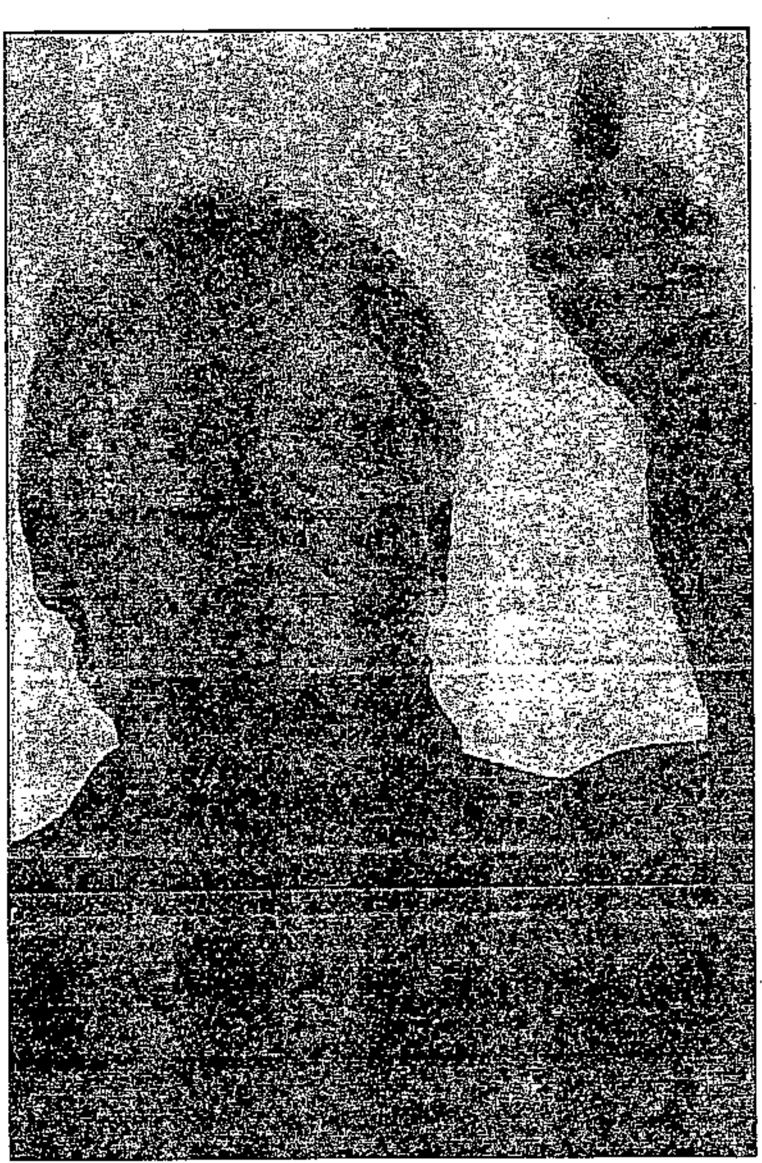
دشن عقد الثمانينات مصر، كجزء من الاستراتيجية الامريكية فى المنطقة ، بعد ان تم عزلها عن دورها القيادى لحركة التحرر العربى، عقب توقيعها صلحا منفردا- برعاية امريكية- مع اسرائيل، وبعد ان أوضعفت قدراتها على التوجه نحو تنمية مواردها الذاتية وقبولها- بضغوط أمريكية- الشروط المتعسفة لصندوق النقد والبنك الدوليين، التى تضمنتها برامج اعادة الهيكلية التى أدت الى ازدياد اعتماد الاقتصاد المصرى على مصادر دخل متغيرة كالسياحة وقناة السويس ، والمعونة الامريكية، التى استمرت بوتيرة ثابتة منذ عام ١٩٧٨، بواقع ٢،٣ مليار دولار سنويا، كمكافأة للحكومة المصرية، على توقيعها**اتفاق كامب ديفيد** مع اسرائيل، ولم يكن هناك أدنى شك أن هناك عائدا سياسيا امريكيا من وراء هذه المكافأة المالية، وقد عبر عن ذلك صراحة، تقرير للوكالة الامريكية للتنمية الدولية قدم للكونجرس الامريكى عام ١٩٨٥ جاء فيه«أن **برنامج المعونة الامريكية، قد ساعد على خدمة المصالح الامريكية، فقد استمر التزام مصر بالسلام مع اسرائيل، وبعملية السلام فى المنطقة ، كما استمرت مصر فى مساندة مصالح العالم الحر فى الشرق الأوسط ، والقرن الأفريقى.**

وحددت الولايات المتحدة مصالحها في المنطقة، باستمرار فرض هيمنتها على مواردها النفطية، والحفاظ على أمن اسرائيل، والسعي لانشاء حلف عسكري مع الدول العربية المعتدلة تحت قياداتها، لدمج اسرائيل في المنطقة، وانهاء المقاطعة العربية لها، وفتح الاسواق العربية أمامها، واخراس الاصوات المعارضة في حركة التحرر الوطني العربية.

ولعبت العلاقات المصرية -الامريكية التي قامت علي ارتباطات اقتصادية، وترتيبات عسكرية -المناورات العسكرية المشتركة التي سميت بالنجم الساطع والتي بدأت منذ عام ١٩٨٠وأستمرت حتى الآن--وعلاقات سياسية، دورا هاما في تسهيل تمرير هذه الاستراتيجية الامريكية، وأفتتح الموقف المصري من الغزو العراقي للكويت، عقد التسعينات بتدشين هذه الاستراتيجية حين دفعت المغامرة العسكرية العراقية السياسية المصرية دفعا، لأن تكون طرفا في الحلف الامريكي الغربي الذي حرر الكويت، وأن تكون غطاء لتسمة القاهرة العربية، التي منحت المآزرة لانفراد الولايات المتحدة بادارة الازمة والتحكم في مسارها ونتائجها، كما منحت الشرعية للتدفق العسكري الامريكي والغربي لمنطقة الخليج. وهو ما انتهى بمكافأة مصر بالغاء ١ر٧مليار دولار من ديونها العسكرية لأمريكا ،وهو ما يعادل ١٣٪ من ديونها الخارجية.

لم تدرك الادارة المصرية ، مدى الخلل الذي أصاب سياستها الرامية الى تزعم العالم العربي، وتسويقه لواشنطن، ولم تأخذ بجدية كافية اعتبار أن مصر التي غابت عن العرب عشر سنوات، هي غير مصر التي عادت إليهم. وانه قد نمت في فترة غيابها مراكز قوة عسكرية-كما حدث في العراق- ومراكز قوة مالية- كما حصل في الدول الخليجية والسعودية- **وأن هناك خلافات حقيقية في المصالح بين تلك القوى القطرية، التي تسعى الى وراثة موقع مصر في المنطقة ، بعد ان تخلت عن دورها كقائدة لحركة التحرر الوطني العربية.** كما انها لم تدرك ان وحدة الصف العربي-التي كثر الحديث عنها بعد عودة مصر للعرب- كانت نوعا من الوحدة الهشة الملبئة بالثقوب والتناقضات ، وأن جزءا من هذه الوحدة، لم يكن في الواقع سوى مناورات سياسية، لا تسعى بالضرورة الى تحقيق الاهداف المصرية، بل تقتصر على أهداف الاخرين. ومن ذلك انشاء **مجلس التعاون العربي**-الذي تزعمت العراق الدعوة له- في مراجهة **مجلس التعاون الخليجي** ، الذي انشئ على مشارف الحرب العراقية الايرانية،مستثنيا العراق من الانضمام اليه، ومنها ايضا ان عودة مصر للقمة العربية، ثم عودتها للجامعة العربية ، قد تمت جميعها في سياق المناورات السياسية بين الاقطار العربية ، وفي غمرة غبطتها من نجاحها في جذب العرب الآخرين الى مواقعها، وقبولهم بمشروعها ، تغافلت السياسة المصرية، أن توجهها لتسويق الامة العربية لواشنطن- بدلا من تقويتها لتكون محلا لاعتبار الولايات المتحدة وغيرها، لم يتمكن من مواجهة المشاكل الحقيقية للأقطار العربية، كما فشل في لعب دور في تحقيق توزيع عادل أو حتى توجيه رشيد لثروات البترول العربية، لتنمية الاقطار العربية الفقيرة ، خاصة تلك التي تحملت اعباء المواجهة مع اسرائيل، بدلا من استثمارها في البنوك الامريكية والغربية ، ثم من بعد ذلك تبديدها في الانفاق العسكري على القوات الامريكية التي تحتل بنفسها الآن منابع النفط العربي.

وكان من الطبيعي أن تسفر سياسة تسويق الامة العربية لواشنطن، عن**إضعاف مصر واضعاف الاطراف العربية**.ولم يكن مفاجئا في ظل هذه الأوضاع، أن **تقود السعودية والكويت سياسة إفشال التحرك المصري، للمساهمة العربية في حماية امن الخليج، عبر دول**



كلينتون

اعلان دمشق، ولم يكن مفاجئا ايضا عرقلة تنفيذ الشق الاقتصادى من هذا الإعلان، للتخفيف من آثار الازمة الاقتصادية ، التى تحملت مصر أعباءها ، بعد ان اسفرت ازمة الخليج الثانية، عن نقص عائدات مصر من العملة الصعبة بنحو ٥ر١ مليار دولار من ضرب موسم السياحة المصرى، ونقص العائد من دخل قناة السويس، وعودة العمالة المصرية من العراق والكويت،لإضعاف مصر وروادة دورها، واخراجها من المعادلة **المشرقية ، لم يعد الآن هدفا امريكيا اسرائيليا فحسب، بل هدفا خليجيا أيضا.**

تصادم المصالح

ربطت الادارة الامريكية دوما بين تدفق معوناتها المالية لمصر ، وبين تنفيذ مطالبها على الصعيدين الاقتصادي والسياسى دون أية مراعاة للاحتياجات المصرية، فلم تأخذ واشنطن فى اعتبارها ادراك مصر لأهمية العلاقات المصرية الليبية للاقتصاد المصرى، ولمخاطر استمرار الحصار المفروض على دولة ، على حدودها الغربية، ورفضت الادارة الامريكية مطلب الرئيس مبارك اثناء زيارته لواشنطن -ابريل ١٩٩٣- بإرجاء استصدار عقوبات جديدة ضد ليبيا، وأصرت على تصعيد العقوبات ضدها لتشمل فضلا عن الحصار الجوى، حظر تصدير معدات البترول اليها وتجميد اموالها، وبدا غريبا فى هذه الزيارة تحديدا، ان تتصاعد النغمة الامريكية حول أهمية الدور العربى والاقليمى لمصر ، الذى تم تجاهله تماما فى الزيارة السابقة عليها التى حولت فيها اجهزة الاعلام الامريكية،و**الشيخ عمر عبد الرحمن»** الى ند للرئيس مبارك تحاوره حول سياساته وتجرى معه الاحاديث حول برنامجه اذا ما تولى السلطة ، لكن الدهشة سرعان ما تزول، اذا ما كانت الازمة الصومالية هى السبب، فبعد المواجهة الدامية للقوات الامريكية فى الصومال ، وتحول التدخل الأمريكى من مهمة انسانية «لاستعادة الامل» الى كارثة شاملة، يموت فيها الجنود الامريكيون وتسقط الطائرات ، فقد سعت ادارة «كلينتون» -تحت وطأة ضغط الرأى العام ، والمؤسسات الامريكية- للبحث عن مخرج عربى أو افريقى من ورطة الصومال، يحفظ لها ماء وجهها ، ويحول دون تصوير تدخلها بالفشل الذريع والنهائى ، فقبلت إدارة الرئيس **مبارك ، بمبدأ قبول إرسال قوات مصرية لتحل محل القوات الامريكية والفرنسية المنسحبة من الصومال،**لتخرج واشنطن من ورطتها، مقابل تعهد الاخيرة باستمرار المساعدات المدنية والعسكرية لمصر، لاستكمال برامج الاصلاح الاقتصادى ، ومعالجة الاوضاع التى تؤدى الى تنامى ظاهرة الارهاب ، ومحاصرة اشكال القلاقل الاجتماعية المترتبة من المتضررين من برامج واعادة الهيكلة ، بما قد يؤثر على استقرار الحكم.

عهد الهرولة لاسرائيل

دخلت العلاقات المصرية الامريكية منعطفا جديدا، فى أعقاب الهزيمة القومية الكاسحة، التى خلقتها المغامرة العراقية بغزو الكويت، والتى انتهت بتدمير القوة العسكرية والاقتصادية العراقية. وعلى انقاض تلك الهزيمة تسارعت الهرولة العربية لتطبيع العلاقات مع اسرائيل ، وتكرست المطالب الخليجية بالاكتفاء بالحماية الامريكية فى مواجهة اطماع الجيران وطموح الاشقاء العرب، وأنجزت المصالحة التاريخية بين الاسرائيليين والفلسطينيين وبينهم وبين الاردنيين، **وبهذه التطورات فقد دور «الوسيط» بين العرب والاسرائيليين الذى رسمته السياسة المصرية لنفسها أهميته، وافتقدت المساندة المالية لمصر، أحد أهم ذرائعها.**

ومنذ تولى بيل كلينتون الرئاسة الامريكية ، اتخذت ادارته قرارا بتخفيض المساعدات الامريكية الخارجية فى سياق البرنامج الاقتصادى الجديد، الذى تقدم به للكونجرس الامريكى ، وهو ما يعنى خفض المعونات الاقتصادية والعسكرية ، التى تحصل عليها مصر على هيئة منح لا ترد تمهيدا لالغائها نهائيا بحلول عام ١٩٩٦، وهو الاتجاه الذى اخذ دعما اضافيا ، بفوز الجمهوريين بالاغلبية فى الكونجرس الامريكى، وتولى قياداتهم ذات التوجه المعارض لسياسة المعونة الامريكية ، والمساندة بحرارة لاسرائيل ، للمواقع الرئيسية به.

وعلى ضوء الاهداف الجديدة، التى تشكلت للسياسة الامريكية فى المنطقة ، التى تقوم على تنصيب اسرائيل القوة العظمى بها، او محاصرة القوة الايرانية الصاعدة على أنقاض الانهيار العراقى ، يتم فهم الضيق الامريكى، من تململ السياسة المصرية من الالتزامات التى تمليها تلك السياسة الجديدة، ومن سعيها للحد من **الضغوط الامريكية المفروضة عليها للاستجابة ، للطلب الاسرائيلى بخفض حجم القوات المسلحة المصرية، والتوقف عن مساندة الموقف الليبى للتوصل لحل عادل لقضية لوكربى ، والتمسك بالدعوة لمنطقة الشرق الاوسط خالية من اسلحة الدمار الشامل، وارجاء قضية السوق الشرق اوسطية لحين إتمام تسوية تضمن جلاء اسرائيل الشامل عن الجولان وجنوب لبنان،و سعى الحكومة المصرية للحد من ضغوط صندوق النقد الدولى للاسراع فى برامج الخصخصة وبيع القطاع العام وتخفيض قيمة الجنيه.**

وفى هذا الاطار يتم فهم خطورة السياسة المصرية، للتوجه الى الانضمام لاتحاد دول المغرب العربى، التى تحمل فى أحد اوجهها ، اقرارا بالمسعى الامريكى، لتغييب الدور المصرى عن المشرق العربى!

ورغم تأكيدات ادارة الرئيس مبارك فى أكثر من مناسبة ، انها ليست دولة تابعة للولايات المتحدة ، وانها لن تقبل الضغوط التى تمارس عليها لدفعها للقبول بسياسات تتعارض مع مصالحها ، برغم ذلك فإن حرية القرار السياسى المصرى هى أعقد من أن يتم تناولها بخطاب سياسى متشدد ، مفعم بالأمنيات الطيبة.

والسؤال الذى يصبح مشروعا على ضوء الحقائق السابقة،**هل حقا تستطيع الادارة المصرية اذا ارادت ، مقاومة الضغوط الامريكية ، التى قادت الى اعتماد الاقتصاد المصرى بشكل كلى على واشنطن للحصول على القمح، وتوفير المواد الغذائية الاساسية ، وعلى المنح والمعونات والقروض لسد العجز فى ميزان مدفوعاته ، وعلى المعونات لتسليح الجيش ، وعلى اطلاق حرية الاستثمارات الاجنبية بلا ضوابط لتحقيق نمو به ، واعتماد الدخل القومى المصرى على موارد غير ثابتة كالسياحة وتحويلات المصريين العاملين فى الخارج وموارد قناة السويس مما أعطى للولايات المتحدة الامريكية ، موقعا هاما للنفوذ فى صناعة القرار الاقتصادى والسياسى المصرى؟**

وهل مقاومة الضغوط الخارجية ميسورة بدون استعادة السيطرة على قيادة الاقتصاد الوطنى، وتحقيق المواءمة بين حق المكسب الخاص وحقوق المنفعة العامة، بما ييسر حياة الفئات الاجتماعية الفقيرة، التى تشكل غالبية الشعب المصرى؟!

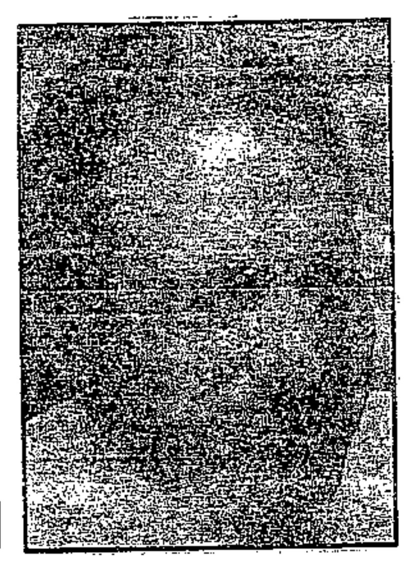
فى معركة مينا البصل
السادات الكلاسيكى ضد السادات الحداثى
اليسار .. أو الخراب



تحتاج تلك اللحظة الفائقة الرمزية الى ان نتوقف عندها ، انها اللحظة التى اعلن فيها **الحاج رشاد عثمان** ، نجم الاقتصاد الساداتى والثقافة الساداتية ، ترشيح نفسه فى أنتخابات دائرة مينا البصل بالاسكندرية، لملء المقعد الذى خلا ، بوفاة العضو **محمود قاسم** ابن عم الحاج رشاد ، وبعد ان كان رشاد قد استصدر حكماً من محكمة القيم، برد اعتباره ، فى حدود ما يعيد اليه حقوقه السياسية فقط، والتى كانت سلبت منذ مع أحكام فرض الحراسة ومصادرة أمواله واموال زوجته وابنائه . يذكر ان احكام الحراسة والمصادرة ، لا تسقط ولا تقبل الطعن فيها ، غير ان الحاج حاول ابهام الناس، ان رد الاعتبار شامل ، وانه يزيل العكارة من اللبن.

لحظة فريدة، توفر على نحو غير مسبوق ربما منذ ١٩٥٢ بالذات، أرضية لتحدد صارم الملامح بين اليمين واليسار ، يكاد المرء من الشعور بثقل تبعاته، ان يقول :ليته تأخر ولو قليلا لننعم ببعض الشئ بما نعيشه من تميع رغم سوء الحال والمآل.

اذن ما شأن مينا البصل باليمين واليسار والفريد والمحدد؟ من واقع معايشة ميدانية سريعة للمعركة الانتخابية ، ومتابعة يمكن ان نتحدث عن الأرضية التى تجرى عليها ،وعن **رشاد عثمان** ومنافسه من الحزب الوطنى (أيضا) «تم فصله منذ ايام». سعيد عهده، رئيس شركة باتا، وعن منافسهما اليسارى اسماعيل سليمان ، عضو اللجنة المركزية لحزب التجمع والموظف بشركة الشرق للتأمين ، والذى رشح نفسه كمستقل، وما يحيط بكل ذلك من تفريقات ودلالات ، مع تجنب تضييع الوقت فى الحديث عن المرشحين الاربعة الآخرين ، ومنهم واحد وطنى واثنان من حزب الاحرار والرابع مستقل ، لأن نزولهم له علاقة بالتفتيت التصويتى أو ..



رشاد عثمان

الساخنة وشهورها

تجئ المعركة الانتخابية السكندرية قبل عشرة شهور فقط، من موعد الانتخابات البرلمانية العامة ، وقد تذكرنا سخونتها فى التو، بتلك المعركة التى خاضها **أبو العز الحريرى**، فى كرموز ، عام ١٩٨٤ ، وقبل الانتخابات العامة وقتها بثلاث شهور ، خاضها ابو العز مؤيدا من كل قوى المعارضة المصرية فى مواجهة مرشح الحكومة ، لكن ، الآن ، فان الزمان اختلف.

وتجئ المعركة وسط اجواء هزيمة شاملة سياسيا واقتصاديا وروحيا وتنظيميا وحضاريا وبيئيا وحتى تموينياً ومائة واو عطف أخرى خلف كل منها ملمح للهزيمة ، التى تعيشها البلاد فى ١٩٩٤.

من التسليم للهيمنة الاسرائيلية الى التسليم لمافيا السوق، ولمافيا الفتاوى الدينية. هزيمة كاملة المرافق والتجهيزات ، يسكنها ايضا القطب الآخر للمعادلة ...الملايين من الشعب الفقير!!

وتأتى المعركة فى اجواء يتجلى فيها **انور الصادات**، أكاد اقول تجليا فيزيقيا ، حتى لا يدع ريبة لمستريب: فى السوقين الشرق الأوسطى والمحلى ، فى لقاء الثورية بالرجعية على الاستسلام لاسرائيل ، فى البورصة وفى البنوك التى دخلها **الشيكل** فى جمعيات المجتمع المدنى الانفتاحى ، وفى مؤسسات كانت قد لعبت دوراً فى قرن عصر مبارك بالانفتاح الانتاجى (ضد الانفتاح الاستهلاكى الساداتى) ثم تداعت معنويا وفكريا واخلاقيا (حدثت واقعة سرقة فى فواتير السندويتشات اليومية فى مركز بحثى ذو صلة بالرئاسة ولم يتحرك المسئول. **تداعت فقبلت التبعية ورفعت الراية واستكانت واستطاعت المنح الدولية والاولويات الدولية، والنزول كذا سلمة لمقابلة قوى القهر السلفية.**

التواطؤ على قتل عمال كفر الدوار والتواطؤ مع مصادرى نجيب محفوظ

انخرط قسم كبير في النخبة في التربيطات والتطاحنات والتمسيك (كل واحد يمسك على الثاني ليكون الكل ملطوطا) ، واذ بدأت تستشعر الخطر لعجزها عن مواجهة الشعب، الذي يعيش بلا أمل، ولا أمل في السيطرة عليه ، ولعجزها عن ادارة حوار مع أي مواطن ، ولنلاحظ النخبة من أكبر رأس لأصغرها وهي تتحدث الى الناس في أوقات الاضطرار (هيه .. ازي الحال.. البيت وقع .. عال .. عال .. عال) ولم يكن بدّ من ان يستحضر هؤلاء انور السادات ... بشعبويته ، التي يمكن ان تلهي الجماهير من ناحية ، وتقيم رابطة عضوية مع التيار السلفي من ناحية أخرى ، ليتمكن الاثنان من مواجهة الشعب الذي لابد ان ينفجر يوما.

من هنا جاء رشاد عثمان خير من يمثل الشخصية الساداتية ومن هنا يستعد بدر خطاب في مصر الجديدة (بالهبات والبر الموجه) ويستعد دياب في أجا (وكان قد نجح مؤخرا كنائب ، وقدم بالف دولار لانجاح د. فتحي سرور في الاتحاد البرلماني الدولي) ويستعد ساداتيون حداثيون مثل ابراهيم كامل بطريقة مختلفة قليلا لانتخابات ١٩٩٥ أيضا ، فبدلا من الاعتماد على الهبات والتمسحكات في الشعراوي والخطاب الديني، يعتمدون على قوى حداثية (فيها يساريون سابقون) بالأجرة ، لتقدمهم في خطاب فكري مبلوع الى الشعب المصري (لاحظ هيصة الصحف التي تصدر هذه الأيام).

وفي نفس الوقت فان الجناح الرأسمالي المرتبط بالرئيس مبارك ، والذي حرص طوال الفترة السابقة على الالتزام بخط الدولة ، قد بدأ يتهاوى تحت مطارق تحرير التجارة، وتحت نوازع الغيرة (بعضها مشروع والله) من المكاسب الخرافية التي يحققها اقرانهم في «البيزنس» والتجارة والعقارات ، فبدأ هذا الجناح هو الآخر يميل الى الاستثمار في الأراضي الفضاء والمباني والعقارات وينجرف الى ذات الممارسات الطفيلية التقليدية ، بل ويقيم خطوط اتصال مع المعونة الامريكية والبنك الدولي.. واسرائيل من اسف «ومنهم رصد تحولات فريد خميس في هذا الصدد» وحين يبقى الرئيس وحيدا ... فان كل شئ مباح ، وعلى كل رأسمالي أن يبحث له عن رئيس .. ومن مثل انور السادات لهؤلاء»؟

ان دلائل تجلي الساداتية أكثر من ان تحصى ، لكن اطرافها اخيرا هي عودة «شيخ الشريب» الذي كان قد خلط الشاي بالبرادة لسنوات .. وعودة ملوك ترشيد الامرال ، بعد ان ساعدتهم النيابة، من خلال لعبة الرد السبتي : على ان يستردوا مواقعهم ، ويعاودوا رفع شعار البركة هي الحل.

وفي الاسكندرية فان الجناح المباركي الانتاجي ((اكاديمي اساسا) لأن الرأسمالية السكندرية في مجملها ساداتية بالطبع والتطبع . وكان التمايز فيها نابعا من تعالي الحداثيين ، على التقليديين فقط ، ومن هنا رفضت جمعية رجال الاعمال ويرأسها التاجر المعروف محمد رجب ، ان يدخل رشاد عثمان عضواً بها ، ورغم ان أحمد خيري هو عضو مجلس ادارة الجمعية ، وأمين الحزب الوطني بالاسكندرية .. هو الذي وقف ضد ان يرشح الحزب رشاد عثمان، حامل العضوية رقم (١) فيه، واختار بدلا عنه سعيد عبده رغم ذلك فان جمعية رجال الاعمال لم تظهر أي جهد لدعم عضوها واسقاط من رفضت عضويته.

هل لأن الصراع بين أحمد خيري ورشاد عثمان ، صراع مصالح في الميناء حيث يعمل الاثنان، وحيث انبثق أصليهما حيث أحمد كان يعمل بالتخليص ورشاد بالشحن؟ يجوز.

هل لأن الحداثية والتقليدية على شفا اقتراب مرضوعي واندماج؟ يجوز.

هل لأن الجناح الاكاديمي ومن ابرز ممثليه د. سعد الخوالقه (رئيس لجنة بالبرلمان سابقا) والذي وقف مع سعيد عبده ، لأغراض يقال انها بزنسية ، لا مباركية انتاجية قد انشق علي نفسه حيث علاقة د. زكي ابو عامر وزير شئون مجلسي الشعب والشورى برشاد عثمان قوية كما كشف الاخير فانتظرت الجمعية مزيدا من الانشقاقات لتدعم قوتها هي؟

في أرض المعركة

من المهم ان نواصل في أرض المعركة ، شرح الاوضاع التي تجري في ظلها انتخابات سيستمر الناجح فيها ستة شهور فقط في البرلمان الحالي ، ويدعي الحاج رشاد انه يتزلها فقط لرد الاعتبار وانه لن يترك الانتخابات القادمة لأنه «مشغول لشوشته» الحاصل لأول مرة منذ الاتحاد القومي ، بنحل التنظيم السياسي الرسمي الي مكوناته الحقيقية ، فقد انقسم الحزب الوطني علانية .. فريق علي رأسه النائب حسين الوشاحي، رئيس لجنة القوى العاملة بالبرلمان (من قبل) ورئيس جمعية ابناء الصعيد ، وأول أمين للشباب الاشتراكي بالاسكندرية والمحاضر بالجامعة العمالية ، ليقف جهرة مع الحاج رشاد ، وينظر له، وقد لوحظ مثلا ان احدى لافتات الحاج تحمل عبارة «الشعب مصدر السلطات» وهي، فوق انها تذكرنا بشعارات الاسلام السياسي عن الحريات ، تشير مباشرة الي مؤلفها . ثم أن الحاج رشاد لا يعبر عن نفسه ، كما اتصور بعد زيارة لقلعته الانتخابية العالية الاسوار ، بصدق ، الا من خلال الصور المرسومة مقاس ٥ر١×٢ متر ، أو بعبارات من نوع «يد الله فوق ايديهم» المهم مع الوشاحي هناك قيادات أخرى ممن لا أمل لهم دخول انتخابات ١٩٩٥ وتطمع في نفحة من الحاج، أو تحاول اللحاق بقطاره الذي يظهرانه قطار المستقبل.

حزب آخر في الوطن ، يقف مع أحمد خيري نجم التطبيع وصاحب توكيل شركة زيم الاسرائيلية وهو حزب التطبيع السافر حزب ثالث هو الاكاديمي غالبا يقف مع المحافظ ، ولتظهر المعارك في النهاية هكذا : سعيد عبده رجل القطاع العام والخصخصة مع أحمد خيري رجل التطبيع ضد رشاد عثمان رجل التجارة والاستيراد والممثل القوي للقوى القبلية والاخوانجية فأي اختيار مرير؟

وبفحص مكون المعادلة المباركي الانتاجي سنكتشف ان سعيد عبده واحد من انشط الداعين للخصخصة في الاسكندرية ، وصاحب تاريخ في اضطهاد العمال، وتخسير الشركة ، وقد نجح في مهمة انتخابات المحليات السابقة والتي أصر أن يقودها من أجل الحزب ومن اجل مصر!! نجح في افشال قائمة الحزب الوطني بالكامل ، حيث نجحت قائمة القوى المتحجرة ، فما سر اختياره يا ترى لمواجهة الحوت رشاد عثمان؟ وتلوك الألسنة سيرة سعيد بما يستعد له من مشروعات عائلية خاصة في مجال الاغذية ايضا ، بعد ان تباع الشركة او تصفى ، كما يتحدث أبناء الدائرة عن عملية تجديد الفروع بـ ١٨ مليون جنيه، التي تولى اعمالها الاستشارية اكاديمي مهندس معروف في الحزب الحاكم! ان الحزب الذي يبرر ترشيح سعيد (الذي يبدو كالمؤامرة) بقوله أنه سوهاجي يستطيع ان يتصدى للسوهاجي رشاد عثمان ، يكذب كما يقول اسماعيل سليمان لأن دائرة مينا البصل سكندرية ديموجرافيا في أغلبها ، ثم ان السهايجة فيها منشقون على أنفسهم ومنهم خصوم لرشاد عثمان كانوا قد شهدوا ضده في محكمة القيم . ثم ان الحزب الوطني ، لو لم يكن غارقا في الفساد ، لكان بامكانه ان يرشح عضوا آخر له قبول ، على ان يقوم قيادير الحزب من ذوي العصبيات بمساندته .

ولابد ان اذكر هنا ، وقد لاحظت دلالة ذلك في أكثر من موقع في مصر، ان سائق التاكسي قال لي لا رشاد حينجح ولا سعيد

اللى حينجح الراجل الثالث المتعلم وصاحب كام دكتوراه ، وفيما بعد تبينت انه يقصد أمين الحزب الوطنى فى منيا البصل، وهو غير مرشح. لكنى عرفت ان الجماهير الشعبية بدأت تدرك أهمية المدخل العلمى.. والمثير ان رشاد عثمان وهو ذو قرون استشعار عالية، التقط قولة العلم هذه ، وقال فى حديث بالأجرة ، لصحيفة اصدرها على حسابه بالكامل ، إننا فى عصر العلم و الاتصالات والادارة ... والموظف اللى يخالف رئيسه بحريقة!!

جبهة اسماعيل

ولم يكن اليسار ، بعيدا عن تأثيرات اللحظة الدرامية ، ففى حزب التجمع وبين قوى اليسار اختلفت الاراء بشدة ، فهناك من رأى انها معركة تطاحن لا شأن لنا بها ، ومن رأى أننا يجب ألا نستنفذ قوتنا من الآن استعدادا لانتخابات ١٩٩٥ .. وقال آخرون اننا شبعنا فى اليسار كشفا وتعرية ، وان من ينزل ليسب الحكومة فقط ، فان الناس اقدر منه على ذلك ، هناك من أيد النزول واختلف مع الشخص . وهناك من جلس ليترقب أصر اسماعيل وبعض شباب مينا البصل على النزول لأن المعركة هذه المرة تشمل فى رمزيتها النظام السياسى كله ، وليست مجرد موقعة محلية صعبة . كما ان دلالة النزول تصبح اقوى حين يعرف الناس اننا حاضرون وسط هؤلاء الفيلان ، بل وندخل الى عقر دارهم ، وقد ذهب «اسماعيل سليمان» الى الورديات وكنت حاضراً ، حيث تركز انصار الحاج رشاد، وخطب فى الجماهير بالميكروفون ضد الفساد والمخدرات والنفاق والاسراف المجنون فى البقط.

نحو ١٠ آلاف يافطة وصورة وفى الانفاق على الجمعيات والجوامع ، والبخل الشديد مع منكوبى السيول ، حتى فى موطن رشاد نفسه ، والاحجام أيضا عن اقامة اى مشروع استثمارى صناعى ، اكتفاء بالاستيراد وبركاته ومضاعفة الربح بالمضاربة على الخشب ، واستيراده طريا حيث يشكو النجارون من انه يلوى . وطبعا تحدث اسماعيل عن الفساد فى باتا وفى الحكم وعن الاسعار والغلاء، والحرمان والتلوث وقوانين العمل والنقابات وحق الاضراب ، وانقسام مصر الى مصر النجع ومصر مارينا الخ.

والمعنى ايضا انه اذا كانت هذه الانتخابات بروفه ، لانتخابات ١٩٩٥ التى يستعد امراء الفساد من القطاعين العام والخاص لدخولها، ولتكتيفها بالمال. بحيث لا يدخلها الا من يتحالف معهم.. اذا كان الأمر كذلك فها نحن فى قلب النار حتى يخرج البديل الثالث للطفيليتين الحداثية والكلاسيكية.

وقد يسجل التاريخ فعلا ان يوم ٤ يناير (يوم الانتخاب) هو بداية الميلاد الصعب بيسار جديد ، يسار كتبت عليه ليس فحسب ان يبرز ، بل وان يطرح من الآن ، وباللهول ، ووسط كل هذا الخراب ،الانهيار ، شعار اليسار هو الحل.

أقول ذلك بعد ان عانيت كيف وقف الاخوان مع الحاج رشاد ، وكيف انحازت الاصوات الديماجوجية الزاعقة فى حزب العمل الى الحاج بعد أول قعدة ، وبعد ان كانت صحيفة (الوفد) وتلك ليست صدفة هى أول من نشر خبر رد الاعتبار للحاج رشاد ، اضافة الى انه بات من المؤكد ان رشاد قابل شخصية كبيرة فى الحزب مؤخراً، وقد لوحظ ان «الوفد» لم تنشر خبرا او تعليقا واحدا عن ماضى الحاج رشاد ، ثم نتقدم خطوة لنكتشف ان الحاج زار أيضا احد اقرباء الرئيس عبد الناصر ، من الدرجة الأولى ، ويعمل فى البزنس بالاسكندرية ، وعليه قضايا شيكات وخلافه ، مزعجة ، زاره الحاج ليطلب المدد ويقف وراء الحاج ايضا تاجر «صنف» معروف ، غسل أمواله بافتتاح محل ملابس محجبات ،وتاجر أخشاب معروف فى حقل الرياضة ، وقد قال الحاج ان كلاً منهما مول حملته بمليون جنيه ، كل اولئك مع الحاج وكان منهم من وقف مع أبو العزم عام ١٩٨٤ حين كانوا لا يزالون يؤمنون بالديمقراطية بحق والجديد فى أمر الطفيلية التقليدية ايضا انها أقامت شبكة علاقات دولية ، ليس بعيدا ان تصل بها الى المافيا العالمية ، وفى الاسكندرية يشيع الحاج رشاد الأمى أنه يتكلم باليوغسلافية والرومانية والانجليزية ، ويتعامل فى بلاد بره بكل احترام وبالكلمة فقط . رأيضا كان ملفتاً أن يستدعى الحاج (أو ينوب عنه أحد فى الاستدعاء) وكالات الانباء العالمية ليحيطها بتفاصيل معركته أولا بأول هى والصحافة هنا ويلعب بها ضد أي محاولة للتزوير المرتقب، قال الحاج فيما قال ان وزير الداخلية لن يزور ضدى ، وان التزوير لو حصل سيأتى من فوق!! ، وان رجاله مستعدون بالنبابيت اذا سحبت الحكومة سلاحهم ، وقال ايضا انه قد لا يحدث تزوير لأن ذلك سيضعف موقف الحكومة فى الانتخابات المقبلة أمام الرأى العام العالمى الخ الخ.

التدرى كلها ، حلوها ومرها ، تلعب مع الحاج ، او مع نقيض الحاج الذى ليس نقيضا ولا حاجة ، فهل من حل لوضع مثل هذا غير وجود اليسار الحقيقى والمستقلون الحقيقيون والديمقراطيون الحقيقيون؟

إننا لا نقدم هنا دعاية انتخابية ، رغم ان هذا واجب المجلة التى تصدر عن حزب التجمع ، وتعبر عن اليسار ، لكن نقر حقيقة . اليسار او الهمجية بصرف النظر عن متابعهم . ان قيمة تجربة اسماعيل سليمان فى انها تقدم اسلحة مبتكرة للمقاومة فى مثل هذا الجو الملبد باليأس والانفجار : الموظف الصغير ضد الباشا تاجر الخشب او الباشا صاحب الشركة العامة!

البيان ضد اللافتة الكبيرة.

الصورة مقاس ٤×٦ ضد اللوحات الضخمة.

الميكروفون فى مواجهة الصحافة المباعة والاعلانات.

الانحياز الحقيقى فى مواجهة النفاق والمداهنة والتلاعب.

القرش الصغير من التبرعات فى مواجهة الملايين . والميكروباص المكشوف فى مواجهة الزلكات.

البيوت العارية المفتوحة ضد الأسوار العالية ، أسوار مقر الحاج رشاد الرهيبة ، رغم الادعاء بلغة «والدار مفتوحة».

الكرخ فى مواجهة قصر الباشا فرغلى حيث يسكن رشاد ، وبالمناسبة جماهير منيا البصل ، أسقطت من قبل فرغلى فى أحد الانتخابات.

العلم والعقل ضد الخرافة والتضليل والتضحك . وكان الحاج رشاد قد قال انه يموت فى الشعراوى وشرحه الذى ينطق الحجر ، ووصفه بانه عالم فى الاقتصاد والكون والسياسة والطبيعة (لعل الحاج يتحدث عن العلم من هذا الفهم).

الوضوح فى مواجهة المراوغة فنجم الخصخصة يتحدث الآن عن مكاسب العمال وعن الانتاج والخدمات ، ونجم الخشب يتحدث عن الخير .. وكلنا لمصرنا وقائدنا .. وانا ابن هذا النظام فلماذا الضجة .. ويشيد بيوسف والى وصفوت الشريف والمحافظ ويقول لم تمتد يدى الى حرام ولم يدخل بيتى حرام ؛ المعروف ان ماهر شقيق رشاد ، والذى مات فى ظروف لا زالت مجهولة (هناك شكوك سياسية) فى اول الثمانينات ، كان هو الذى يدير اغلب علاقات الحاج رشاد وانشطته ونفحاته.

معركة فائقة الرمزية وانتظار لن يطول لنعرف ان أصعب الايام تلك التى اتت الآن ، لابد ان يبنى اليسار حتى لا تتحطم مصر.

ولقد نجح محمد على فى إدخال زراعة قصب السكر فى مصر،
ونتمنى ألا ينجح د. عاطف صدقى فى اخراجها منها»!!

محمد ادريس
رئيس الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى

حتى لا يصبح السكر .. مراً

عريان نصيف

التخوف الذى أبداه رئيس الاتحاد التعاونى فى **الجمعية العمومية العامة لمنتجى القصب** التى عقدت فى نوفمبر ١٩٩٤- لمناقشة مشاكل زراعة القصب وهموم زارعيه- له ما يبرره.

فزراعة القصب- وصناعة السكر- هى احدى الدعامات الرئيسية فى الواقع الاقتصادى والاجتماعى المصرى ، التى استقرت منذ ما يقرب من القرن والنصف.

* فالمساحة المنزرعة قصبا تبلغ حوالى **٣٥٠ ألف فدان** من أراضى مصر الزراعية.

* وهو المحصول الرئيسى **لمحافظتى قنا واسوان**، ومن المحاصيل الاساسية فى محافظتى **المنيا وسوهاج.**

* **قامت -على زراعة القصب- ثمانى مصانع للسكر تبلغ قيمة أصولها الثابتة ٦ مليار جنيه**، وتصل الاستثمارات بها الى ٢ مليار جنيه ، وتنتج سنويا مايقرب من مليون طن سكر تمثل حوالى ٦٥٪ من حجم الاستهلاك المحلى.

*هناك أكثر من ١٠ مصانع أخرى تقوم بانتاج العديد من السلع والصناعات القائمة على صناعة السكر والاستكمالية لها مثل: **الكيماويات -الكحول- المعدات الخشبية- الورق- العسل الاسود- الخل- خميرة الخبز - المولاس -العطور -الوقود- العلف.. الخ.**

* توفر عملية صناعة السكر - وفق الاحصاءات الرسمية- حوالى ٢٥٠ ألف **فرصة عمل** -بالاضافة لمئات آلالاف من الفلاحين المنتجين للقصب وتقام عليها مئات المجتمعات الاقتصادية المتكاملة ، ليس فقط بالنسبة للقرى فى صعيد مصر ،ولكن أيضا حول مصانع السكر فى المدن.

فاذا كان الوضع بهذه الأهمية بالنسبة لانتاج السكر فى مصر (زراعة وصناعة) .. واذا كان هذا الانتاج قد استطاع حتى **أوائل** السبعينيات أن يغطى الاحتياج المحلى **ويصدر منه أيضا -لجودته-كميات كبيرة للأسواق العربية والدولية ..** ويغطى حاليا- رغم اتساع الفجوة بين الانتاج منه والاحتياج اليه- النسبة الغالبة من حجم الاستهلاك المحلى .. واذا كان المكتب الاقتصادي للأمم المتحدة بجنيف ، قد أعلن هذا العام أن **مصر تحتل المركز الأول فى انتاجية فدان القصب وفى نسبة استخلاص السكر**. فوفقاً لأرقام هذا المكتب الدولى تبين أن **مصر/ الفلاحين قادرة على الوصول بالانتاج الى أعلى متوسط دولى (٤٣٫٥٤ طن قصب من الفدان) ، وأن مصر/ العمال قادرة أيضا على الوصول إلى أعلى متوسط دولى لاستخلاص السكر(٤٫٤ طن من الفدان)**. .. واذا كان كل ذلك .. كذلك .. فلماذا إذن هذه الأزمة الطاحنة فى السكر ، والتى أدت إما الى اختفائه نهائيا من سوق المستهلك ، أو تواجده فى السوق السوداء ، بسعر يتراوح بين ٢١٠- ٢٢٥ قرشا للكيلو الواحد من السكر السايب (غير المعبأ)؟!

أزمة السكر .. لماذا

إن العامل الرئيسى وراء أزمة السكر- كغيرها من الأزمات الاقتصادية - هو ما يسمى **سياسة «التحرير الاقتصادى»** أو بالدقة التطبيق المصرى لهذه السياسة ، بما لها من انعكاس على كافة مراحل العملية الانتاجية : الزراعة -الصناعة- السوق.

أولا : هموم زراع القصب

فبالرغم من أن زراعة القصب من أشد الزراعات جلبا للمعاناة للزراع -باستغراقها العام تقريبا دون أى امكانية لتحميل الأرض بمحاصيل أخرى، بالاضافة الى تكاليفها الباهظة- فإن هموم الفلاحين من زراع قصب السكر أصبحت أكبر من قدرتهم على تحملها والاستمرار فى زراعة هذا المحصول الاستراتيجى .

(١) الاختلال الكبير فى التناسب بين تكاليف العملية الانتاجية وبين سعر التوريد: ففى الوقت الذى ارتفعت فيه أسعار مستلزمات الانتاج- فى السنوات الأخيرة. بنسبة تتراوح بين ٤٠٠٪ - ١٠٠٠٪ ،ولم يزد **سعر** القصب بأكثر من ٢٥٪ بما لا يعطى أى عائد مجز للفلاح ، بل على العكس -كما ورد فى التقرير المقدم فى شهر ديسمبر عام ١٩٩٣ من الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى إلى كل من السيدين رئيس مجلس الوزراء ووزير الزراعة- **أصبح الفدان المنزرع قصبا يتحمل خسارة قدرها ٤٠٠ جنيه** وخاصة -كنص التقرير- **«فى ظل التحرر الاقتصادى ورفع الدعم عن مستلزمات الانتاج»**

(٢) ارتفاع نسبة فوائد بنك التنمية الزراعية الى ٢٢٪ بما يمتص أى عائد للفلاح . ويتم تحصيل قيمة القرض والفوائد من «المنبع» أى من المصنع وإلا يتم الحجز على المستحقات المالية للمزارع لدى مصنع السكر.

(٣) مشاكل الزراع مع مصانع السكر

-الارتفاع المغالى فيه للاستقطاعات ، تحت دعاوى ارتفاع نسبة الشوائب والقصب المحروق ، أو انخفاض نسبة «الحلاوة» فى القصب المورد.

-عدم تمكين المزارع المورد من مراقبة عملية الوزن ، بما يتيح الفرصة للتلاعب فى الميزان.

-عدم صرف ثمن القصب بالكامل للمزارعين، ومطالبتهم باستلام سكر مصنوع مقابل ثمن القصب!!

-تهديد المزارعين- من جانب إدارات بعض المصانع - بحقهم فى قبول او رفض استلام القصب وفقاً لقواعد «الحرية الاقتصادية»!!

ثانيا: مشاكل صناعة السكر

فى الوقت الذى يؤكد فيه المسئولون عن صناعة السكر انها ما زالت احدى أهم الصناعات فى مصر، وأنها ما زالت قادرة على توفير احتياجات الشعب من هذه السلعة الهامة حيث تنتج يوميا ٤٥٠ طن بما يكفى ويزيد عن الاستهلاك المحلى- فانهم -وأمام

الازمة التي تتناقض مع تأكيدهم - يبررونها بعوامل خارجة عن ارادتهم، واستجدت في الحقبة الأخيرة:

(١) عدم توافر سيولة نقدية كافية للتعامل مع زراع القصب، وذلك نتيجة- من وجهة نظرهم -للتوسع في استيراد السكر من الخارج من ناحية، ولالغاء جانب كبير من حصص التموين من جانب آخر.

(٢) وجود طاقات إنتاجية كبيرة غير مستغلة بالمصانع وصل حجمها في بعض السنوات الأخيرة الى ٥٠٠ ألف طن وهي- تقريبا- نفس الكمية التي يتم استيرادها.

(٣) صعوبة قدرة المصانع وشركات السكر -في هذه المرحلة- على التعامل مع مشكلة النقل، ففي الوقت الذي تمتلأ فيه مخازن الشركات بالسكر ، لا تجد وسائل النقل الكافية لتوصيلها الى المستهلكين ، حيث يفضّل المتحكمون في اساطيل النقل- وفقا لآليات السوق- نقل السلع المستوردة من الموانى لما لذلك من ميزة ربحية لهم.

ثالثا: مافيا السوق:

من المعتاد سنويا- في شهري نوفمبر / ديسمبر من كل عام ، وهي فترة نهاية موسم السكر ، وقبل الانتهاء من عملية عصير المحصول الجديد وانتاج السكر- ان يستغل التجار -الموقف برفع سعر السكر في السوق.

ولكن في السنوات الأخيرة- وفي ظل ما يسمى بالاقتصاد الحر-وصلت الامور الى الدرجة التي استفزت هذا العام الدكتور **أحمد جويلي**- وزير التموين وجعلته يعلن أن ارتفاع سعر السكر بهذه الصورة لا يتفق مع آليات السوق ومع الاقتصاد الحر ولكنه تعبير عن **حالة احتكار،** وان على الدولة -باعتبارها مراقبا للسوق وهو دور لن تتخلى عنه- أن تحارب الاحتكار وان تكون مسئولة عن توفير السلع للمستهلك بالسعر المناسب.

ولقد وضع الدكتور وزير التموين يده على حقيقة المشكلة.

فاستغلالاً من مافيا كبار المستوردين والتجار للواقع السلبي لقضية السكر، المتمثل فيما يلي:

*الفجوة التي تتراوح بين ٥٠٠ ألف طن - ٧٥٠ ألف طن بين انتاجنا من السكر وبين احتياجاتنا المحلية له، والناتجة من معوقات انتاجية (زراعة وصناعة) والسابق توضيحها.

*الارتفاع البسيط في سعر السكر العالمي والذى لم يتجاوز ١٠٪ (والناتج من انخفاض حجم انتاج البنجر في روسيا ومن الحصار الاقتصادي على كوبا).

* ضعف دور الدولة- إن لم يكن تخليها -عن دورها المسئول-وفق القواعد الرأسمالية -عن دعم الانتاج والرقابة على السوق.

استغلت مافيا السوق كل ذلك واستطاعت ان تخفي السكر إلا من السوق السوداء ، وترفع سعره الى أكثر من ٤٠٪.

الخروج من أزمة السكر

أولا : الحل المرفوض : احلال البنجر محل القصب

أن تهتم وزارة الزراعة باجراء المزيد من البحوث حول زراعة محصول البنجر ، وأن يتم زراعة بعض المساحات به، واقامة بعض المصانع لاستخراج السكر منه، فكل هذا هام وضرورى في اطار استكمال احتياجاتنا الاستهلاكية من السكر بديلا- أو تقليلا- من استيراده.

أما ان تطرح زراعة البنجر كبديل عن زراعة القصب ، **فهذا هو المرفوض اقتصاديا واجتماعيا** ، ليس فقط لأن مصانع انتاج السكر في مصر مصممة على اساس انتاجه من القصب- كما ورد في رد المهندس **فاروق عفيفي** رئيس مجلس المحاصيل السكرية على هذه الدعوة- ولكن ايضا لأن ناتج البنجر يتمثل فقط في السكر ، **بينما ناتج القصب يضم- كما اسلفنا -العديد من السلع الهامة والمطلوبة في السوق المصرى ، بالاضافة لارتباط الحياة الاجتماعية والاقتصادية لشريحة كبيرة من المصريين -وخاصة الجنوبيين- بزراعة القصب.**

وعن جهة استهلاك البنجر لمياة أقل في الرى عن القصب ، فهي مردود عليها بالاضافة لما يراه السيد رئيس الجمعية العامة للقصب من أن الرى الليلى يوفر حوالي ٢٠٪ من احتياجات القصب للمياه بأنه من الممكن بالتنسيق بين كل من وزارتي الزراعة والرى ومراكز البحوث وزراع القصب ، علاج قضية المياة بأفضل المواءمات.

ولقد استغل اصحاب هذه الدعوة تواجد بعض جماعات الارهاب في صعيد مصر، ليجدوا فرصة مواتية لدعوتهم بالغاء زراعات القصب حيث يتخفى الارهابيون داخلها!

وبهذا المنطق ، فلو نشط- لاقدر الله- هؤلاء الارهابيون في مناطق زراعة الذرة لطالبنا أيضا بالغائه ، أو لو استخدم بعضهم عمارة عالية لانجاز عملياته الاجرامية لهدمنا كل العمارات العالية؟

ثانيا نحو حلول جادة للأزمة:

لا شك انه في ظل نظام اليات السوق واطلاق حرية استيراد السكر عانت صناعة السكر في الآونة الأخيرة .. وأصبح هناك خطر كبير على صناعة السكر المصرية» ، كنص ما ورد بدراسة «المحاصيل السكرية وانتاج السكر في مصر والعالم» الصادرة عام ١٩٩٤ والمعدة بالمشاركة بين الادارة العامة للدراسات الدولية بقطاع الشئون الاقتصادية ، ومجلس المحاصيل السكرية بوزارة الزراعة المصرية.

ومع إدراك ذلك ، إلا أنه يمكن تحديد بعض الحلول القادرة على حماية هذه الزراعة / الصناعة» الهامة اقتصاديا واجتماعيا وضمان توافر السكر بالاسعار المعقولة :

١- **رفع سعر توريد القصب** بما يتلاءم مع ارتفاع اسعار مستلزمات الانتاج وتكاليف الزراعة ، ويحقق عائداً مجزيا للفلاح المنتج.

٢- **تحديد العلاقة بين الزراع والمصانع** بما يضمن لهم استلام ثمن محصولهم بالكامل وايقاف المغالاة في نسبة الاستقطاعات.

٣- **تخطيط انتاجية مصانع السكر** ، بحيث لا يزيد الانتاج من القصب عن طاقة المصنع (ابو قرقاص)، في الوقت الذى لا يعمل فيه مصنع آخر سوى بحوالي ٤٠٪ من طاقته الانتاجية (جرجا).

٤- **تدخل الدولة لحماية الانتاج المحلي من السكر** من خلال نظام جمركي أو ضرائبي يفرض على السكر المستورد الذي يقل سعر استيراده- نتيجة دعمه في الدولة المصدرة- عن سعر انتاجه محليا.

٥- **قيام هيئة السلع النموذجية باستيراد السكر الخام** -لتكريره في مصر مع اعفاء هذه الكميات من الجمارك وضرائب المبيعات ، بما يمكن وزارة التموين من زيادة حصة الفرد في البطاقة التموينية -من السكر المدعوم.

وأخيرا ، فلا غلك الا ان نقول لبعض السادة الخبراء المعادين لزراعة القصب -والذين وصل الأمر ببعضهم كالدكتور **جمال صيام** استاذ الاقتصاد الزراعي بجامعة القاهرة إلى الدعوة بانه يجب «الا تكون هناك حماية لهذا المحصول الذى يعود بخسارة كبيرة على المجتمع»!! ، وأن «تقليل الفجوة بين الانتاج والاستهلاك يمكن التغلب عليها عن طريق ترشيد الاستهلاك»! **إننا نعتبر رأيهم هذا**- مع كل احترامنا له - يتضمن في داخله فكاهة .. **«زى السكر»!!.**

إصلاح اقتصادي
أم تقشف اقتصادي

محمود الشاذلي

في يناير الماضي أمضيت اسبوعين في زيارة عمل للقاهرة . وفي نهاية الزيارة لفت نظري تصريح لرئيس الوزراء: الدكتور عاطف صدقي حملته الصحف المصرية في صفحاتها الأولى ، مؤداه أن الحكومة سوف تركز جهودها في الفترة القادمة على الاصلاح الاداري في مصالح ووحدات قطاع الاعمال بعد أن نجح برنامج الاصلاح الاقتصادي.

وملأني العجب ، هل يتحدث رئيس الوزراء عن نفس الاقتصاد ونفس البلد الذي أهم بمغادرته بعد زيارة تكاد تجمع اراء كل من قابلت أنه يمر بأزمة اقتصادية طالت مدتها وتزداد حدتها يوما بعد يوم وليس في الأفق أي بشائر لانفراجها في المستقبل القريب.

وعكفت على دراسة الأمر لمعرفة اسباب التناقض الظاهري بين تقييم رئيس الوزراء من جهة وما لمسته من انطباع الشارع المصري من جهة أخرى. وأوضحت بعض الدراسات التي اطلعت عليها الحقائق التالية:

كان الاقتصاد المصري في الماضي وحتي عام ١٩٨٧ يعاني من ارتفاع في عجز الموازنة العامة يصل الي ٢٠٪.

ومن معدل تضخم يتراوح بين ٢٠٪ ، ٢٥٪ في السنة وعجز شديد في ميزان المدفوعات وسعر غير واقعي للتحويل بين الجنيه المصري والدولار وبسبب هذه الأمور جميعها وجدت الخزانة صعوبة بالغة في مقابلة متطلبات خدمة الديون الاجنبية الضخمة.

وبالتالي أوصت المؤسسات الدولية أن تتخذ الحكومة المصرية عدة اجراءات لتعديل السياسة النقدية ، والموازنة العامة بالاضافة الي تغييرات هيكلية في وحدات الانتاج ، كل ذلك اصطلح على تسميته باجراءات **الاصلاح الاقتصادي** في مقابل جزء من الديون الخارجية ، وتقديم المزيد من القروض ، وكانت هذه الاجراءات تشمل :

١- خفض الدعم في الموازنة العامة.
٢- رفع اسعار الطاقة تدريجيا لتتساوى مع الاسعار العالمية.
٣- تحديد اسعار المحاصيل الزراعية.
٤- ادخال ضريبة المبيعات.
٥- تحديد سعر الفائدة.
٦- خصخصة شركات قطاع الاعمال العام.

وكان من نتائج تنفيذ المرحلة الأولى من هذه الاجراءات أن انخفضت نسبة العجز في الموازنة العامة الى حوالى ٢ر٥٪ وزاد احتياطي العملة الصعبة الى ما يساوي سنة كاملة من الاستيراد أو يزيد ، وثبت سعر الصرف للجنيه المصري في مقابل الدولار.

د. عاطف صدقي



وكان اتمام تنفيذ اجراءات المرحلة الاولى هو ما سماه رئيس الوزراء بنجاح جهود الاصلاح الاقتصادي.

وهنا وجب ان نطرح سؤالين بالغي الأهمية.

١- ما هو الثمن الذي يدفعه الاقتصاد المصري والفرد المصري للوصول الي هذه النتائج مرحليا وفي المدى الطويل؟

٢- هل هذه النتائج في حد ذاتها غاية اقتصادية يجب الوصول إليها بأى ثمن؟

وللبحث عن إجابة فإننا نرى اعتمادا على تقارير البنك الدولي وصندوق النقد الدولي أن متوسط دخل الفرد المصري في انخفاض مستمر من منتصف الثمانينات وحتى الآن. حيث كان يبلغ ٧٥٠ دولاراً للفرد في السنة في عام ١٩٨٥/٨٦ ووصل الى ٣٨٠ دولاراً للفرد في السنة في عام ١٩٩٢/٩٣ (بعد أخذ معدل التضخم في الاعتبار).

وفي نفس الوقت فقد أدى إجراء المرحلة الأولى هذه الى :

١- زيادة تكلفة السلع والخدمات نتيجة ادخال ضريبة المبيعات.
٢- خفض الدعم على السلع الاستهلاكية مثل الزيت والسكر والشاي وغيرها مما يمس القوت اليومي للطبقات العاملة والفقيرة.
٣- زيادة أسعار المواد البترولية ثلاثة اضعاف منذ سنة ١٩٩١. وبالتالي زيادة تكلفة المواصلات والنقل وخلافه.
٤- زيادة اسعار الطاقة الكهربائية أربعة أضعاف في نفس الفترة.

كما تدل هذه التقارير على أن عدداً من الافراد الذين سيدخلون سوق العمالة لأول مرة خلال عقد التسعينات سوف يتروح بين ٥ إلى ٦ ملايين فرد. بينما تقضي برامج الاصلاح الاقتصادي في المرحلة القادمة ليس فقط الى خفض استيعاب مصالح الحكومة ووحدات قطاع الاعمال العام من الخريجين الجدد (حيث انخفض هذا الرقم من ١١٠ ألف سنة ١٩٨٥ إلى ثلاثين الف سنة ١٩٩١) بل يتوقع اضافة مئات الالاف من العمالة الزائدة الى صفوف البطالة نتيجة لبرامج الخصخصة.

هذا في وقت تشير التقديرات المحافظة لبعض الدراسات ان مستوى البطالة في مصر يتراوح بين ١٧٪ ، ٢٢٪ من اجمالي القوى العاملة التي تقدر بحوالي ١٨ مليون شخص . في حين تقدر نفس الدراسات أن بين ثلث ونصف هذا العدد يعتبر بطالة مقنعة.



د. كمال الجنزوري

وبالتالي فلن نكون مسرفين في المغالاة اذا توقعنا ان تصل صفوف البطالة الحقيقية في مصر الى عشرة ملايين فرد قبل ان يستكمل تنفيذ جميع مراحل الاصلاح الاقتصادي.

واذا سلمنا جدلاً بضرورة أن يدفع المجتمع المصري هذا الثمن الباهظ ليصل الى نتائج ايجابية محققة في النهاية(وهذا مشكوك فيه كما سأوضح فيما بعد) ، فانني أشك في أن البنية الاجتماعية والسياسية في مصر قادرة على تحمل هذه التضحيات دون ان تتمزق وتنفجر . خصوصا وان مدى تحمل هذه التضحيات لن يكون توزيعه في ظل الأحوال السائدة.

أما عن النتائج المرجوة من برامج الاصلاح الاقتصادي ، فانني لا أجد تعبيراً أكثر وضوحا من تقديرات مسئولي البنك الدولي التي تقول:

وإن معدل زيادة البطالة سوف يستمر لسنوات عديدة قادمة حتي يستكمل تنفيذ اجراء الاصلاح الاقتصادي ، ثم يحدث رد فعل يشجع تبني LABOR INTENSIVE TECHNIQUES .

وبعد ذلك يحدث نمو اقتصادي

نلاحظ هنا أن تقديرات زيادة البطالة خلال السنوات العديدة القادمة هي تقديرات مؤكدة . في حين أن زيادة معدلات النمو الاقتصادي المرجوة تعتمد على تصرفات الاخرين- رد فعل SUPPLY RESPONSE -الذين يتخذون قراراتهم بناء على عوامل متعددة ، وفرص للاستثمار متنافسة دوليا ، ليس للمجتمع المصري وقادته أي سيطرة عليها ،وقد يرى الكثير منا ان الاجراءات الاقتصادية سالفة الذكر هي إجراءات ضرورية ، أو لاخيار للحكومة فيها حيث انها شروط لازمة لالغاء جزء من الديون ، ثم علي مقدرة الاقتصاد المصري علي توفير السيولة اللازمة لخدمة الجزء المتبقى من هذه الديون.

ونحن ان سلمنا بذلك ، فمن الضرورة أن نعتبر هذه الاجراءات -ونسميها بوضوح- اجراءات تقشف اقتصادي تستلزم بالضرورة أن يصاحبها خطة محددة المعالم للتنمية الاقتصادية تعتمد علي استراتيجية واضحة لتحديد الاولويات القومية ، والانشطة الاقتصادية التي يجب ان تحظى بالدعم والتشجيع ، ثم مصادر تمويل هذه الخطة بشكل أكثر تفصيلا من مجرد الانتظار حتى يحدث SUPPLYR ESPONSE.

من هنا يتضح ان تسمية هذه الاجراءات ، تقشف اقتصادي ليس مجرد تلاعب بالالفاظ . حيث في مقابل ذلك تتوقع المدرسة التي تسميها باجراءات اصلاح اقتصادي أن يحدث عملية نمو اقتصادي تلقائيا لمجرد اكتمال تنفيذ هذه الاجراءات دون الجهد والعرق والتمويل اللازمين لوضع وتنفيذ خطة محددة للتنمية الاقتصادية.

ومن ثم وجب علينا تحديد الهيكل العام والوعاء الايديولوجي لهذه الخطة.

من المسلم به انه يعتبر من السفه في ظل المناخ الجيوبوليتكي الحالي ان يطرح أحد نمطا للتنمية الاقتصادية يمت بأي صلة للمذهب الماركسي، حتى للجدل النظري.

ولكنه من الضروري ونحن ننبذ النمط الماركسي للتنمية أن نفعل ذلك معتمدين في هذا القرار على الدراسة الهادئة المعتدلة وليس انسياقا أعمى وراء التيار المنفضل في الوقت الحاضر.

في هذا المجال تقول احدى الدراسات الاخيرة ، أن تقديرات هيئة المخابرات المركزية الأمريكية أن اقتصاد الاتحاد السوفيتي عندما وصل جورباتشوف للسلطة كان ينمو بمعدل ١ر٢٪ بين سنوات ١٩٧٥ . ١٩٨٥ . وأن هذا المعدل يقل قليلا عن معدل نمو الاقتصاد الامريكي الذي بلغ ٩ر٢٪ في نفس الفترة. وفي منتصف الثمانينات كان الاقتصاد السوفياتي ينمو بمعدل أكثر ، ففي عام ١٩٨٣ وصل الى ٣ر٣ ، وفي عام ١٩٨٦ كان ١ر٤ ٪..

وتستطرد الدراسة فتقول ، أن المشاكل الاقتصادية التي نراها بوضوح الان كلها ظهرت في ظل جورباتشوف.

إنه من المهم أن نلاحظ ان صاحب هذه الدراسة ليس ڤلاديمير جيروتونسكي الزعيم اليميني الروسي المتشدد ، ولكنه لستر ثورو أستاذ الاقتصاد في ال إم. أي. تي.

خيارنا إذن هو خطة للتنمية تعتمد على نمط رأسمالي ، ولكن أي أنماط الرأسمالية؟

نمط آدم سميث واقتصاديات السوق الحر المطلق؟

أم نمط الاقتصادي الألماني فريدريك ليست الذي تتبعه دول شرق آسيا وغيرها من الدول في الأطوار الأولى من برامج التنمية الاقتصادية.

تشير علينا المؤسسات الدولية (البنك الدولي وصندوق النقد الدولي) وكذلك أصدقاؤنا في الغرب بضرورة اتباع سياسة التجارة الحرة المطلقة وفتح اسواقنا واعطاء آليات السوق مطلق الحرية في تحديد الاسعار وما ينتج وما يستهلك من سلع وخدمات بلا قيود ، أو بأقل قدر من القيود . ويتخذون قراراتهم بتقديم المعونة أو منعها ، وغفران جزء من الديون أو تأكيدها بقدر إخلاصنا في الايمان بهذه المبادئ واتباعها.

في نفس الحين تحذرنا دروس الماضي البعيد والقريب معا من هذا الطريق.

أما عن دروس الماضي البعيد فيقول المؤرخ برنارد لويس من جامعة بريستون عن الشرق الأوسط في القرن السابع عشر وقامت الشركات التجارية الغربية ، بمساعدة حكوماتها بالسيطرة شبه الكاملة على اسواق الشرق الأوسط ، وبالتدريج حتى على صناعاته.

فمثلا منسوجات الشرق الأوسط التي كانت تتمتع بموقع مميز في الاسواق الغربية طردت أولا من هذه الاسواق وتباعا حتى من أسواقها الداخلية.

ويستطرد ليقول : وبالتالي في نهاية القرن الثامن عشر اذا جلس عربي او تركي ليستمتع بفنجان من القهوة فالاحتمال الأكبر ان تكون القهوة قد استوردت من جافا بتجار هولنديين ، والسكر عن طريق تجار فرنسيين أو بريطانيين من وست انديز ، وكان المكون المحلي الوحيد هو الماء..

وفي خلال القرن التاسع عشر، أصبح ذلك ايضا مشكوكاً فيه حيث سيطرت شركات المياة والكهرباء الغربية على خدمات مدن الشرق الأوسط السريعة النمو.

هل هناك صورة أكثر وضوحا وأدق تفصيلا لما نتوقعه من اتباع سياسة السوق المفتوح ، واقتصاد آليات السوق ونحن في بدء التنمية؟

ألا يجب علينا ان ندرس بعناية -الطريق الذي اتبعه الاخرون عندما كانوا في نفس الطور من مراحل التنمية.

يقول توماس مناكرو في كتابه عن تاريخ السياسة الاقتصادية في الولايات المتحدة: ان النجاحات البادرة في القرنين الماضيين -أمريكا بعد ثورتها -والمانيا تحت بسمارك، واليابان بعد الحرب العالمية الثانية - قامت علي حذف قواعد آليات السوق... في كل الاحوال الثلاثة ظلت الاسواق المحلية مغلقة في وجه المنافسة.

«في الفترة الأولى للتنمية لم تستورد ألمانيا أي قدر يذكر من الحديد من منافسيها الكبار ، بريطانيا والولايات المتحدة مثل ذلك فإن اليابان بعد الحرب لم تستورد إلا أقل القليل من البضائع المصنعة من أوروبا أو أمريكا مهما كان الثمن والجودة . كانت اليابان تستورد فقط الطعام والمواد الصناعية الخام والتكنولوجيا».

أما في الوقت الحاضر- فلا يكاد يخلو بحث أو تحليل لنماذج التنمية الناجحة من ذكر نماذج دول الشرق الأقصى -اليابان- ، وتايوان وكوريا وغيرها .

وبينما يصر الساسة الغربيون والمؤسسات التي يسيطرون عليها علي أن هذا النجاح يرجع اساسا الى اتباع هذه الدول لسياسة السوق الحر المطلق فإن الحقيقة لا يمكن ان تكون أبعد من ذلك.

فمثلا، بينما يقول إدوين رايشاور السفير الامريكي الاسبق لدى اليابان في وصفه لتجربة التنمية الاقتصادية اليابانية : «أسهم الاستثمار الحر بالجزء الأعظم في تطوير وتحديث الاقتصاد الياباني».

في حين يقول المؤلف والصحفي الأشهر جيمس فالوز:

«إن دارسي التجربة اليابانية بما فيهم رايشاور يعرفون جيداً أن اعادة بناء الاقتصاد الياباني استلزم بالضرورة أموراً أكثر تقيداً من مجرد اطلاق سراح الاستثمار الحر.

في نفس الوقت الذي كتب فيه رايشاور ملاحظاته كانت الحكومة اليابانية تحرم الاستثمار الاجنبي في اليابان، وتسمح باحتكارات وكارتلات عامة ، وتوجه السياسة المصرفية وتتحكم في اسعار السلع الرئيسية ، وتحدد بشدة الحركة النقدية داخلة وخارجة وتحرم الكثير من الواردات.. الخ»

وفي مثال آخر يقول الرئيس الامريكي السابق جورج بوش «لقد انهار الاتحاد السوفيتي ، وآسيا تحذو حذو الغرب. العالم كله يحذو حذونا» . بينما يبين الاقتصادي التايلندي سبب نمو اقتصاد دول الشرق الاقصى فيقول :السبب الرئيسي لتقدمهم الاقتصادية هو الفارق في انماط الرأسمالية المطبقة عن الانماط الغربية ، والفارق يبلغ اشده بين اليابان وأمريكا . الرأسمالية اليابانية تعتمد اساساً علي التعاونيات NET WORKS.

ويصف أحد مستشاري وزارة المالية اليابانية أيسوكي سكاكيبارا النظام الاقتصادي الياباني في كتابة المسمى «ما بعد الرأسمالية» فيقول ان اليابان قد اخترعت ما يسمى «اقتصاد السوق اللارأسمالي».

وفي سنة ١٩٩١ عندما قامت نخبة من اقتصاديي صندوق النقد الدولي بدراسة اقتصاديات دول الشرق الأقصى وصلت الي توصياتها بأن هذه الدول ان ارادت ان تنمو بمعدل اعلي ، فعليها ان تحرر مؤسساتها المالية وتعتمد أكثر على آليات السوق ، حتي يتمكن المستثمرون من تحويل اموالهم بالسرعة والمرونة التي يرغبونها.

وفي الحال قام فريق من مسئولي بنك اليابان بتحذير جيرانهم من التسرع في اتباع هذه النصائح مؤكدين ان الغرض الاساسي من المؤسسات المالية ليس هو اثراء المضاربين او حتى المستثمرين ، ولكن الغرض الاساسي لهذه المؤسسات هو خدمة الاقتصاد الحقيقي!.

أما عن كوريا فتقول الاقتصادية أليس أمسدن في كتابها «عملاق اسيا القادم» تشارك النهضة الكورية بعد الحرب العالمية الثانية المعجزة الصناعية اليابانية وكذلك حركة التصنيع الالمانية في القرن التاسع عشر في اوجه شبه اساسية ، ذلك انه لم يحدث في أي من هذه الحالات ان تركت الدولة تنميتها الاقتصادية لأليات السوق بأن تجعل المستثمر والمستهلك يقررون ان تنفق اموالهم . السر في نجاحهم كان العكس تماما .

ان لم تتدخل الدولة عمداً في آليات السوق ، لم يكن هناك أي أمل في اللحاق بسباق التصنيع».



الرزاز منظر الاقتصاد

نخلص من هذا التحليل أن اجراءات التكيف الاقتصادي التي بدأت في سنة ١٩٩١ يجب أن يصاحبها خطة قومية محددة المعالم للتنمية الاقتصادية تعتمد على واقع مصر الاقتصادي تاريخيا وحاضرا ، تهدف الى الوصول الي غايات اقتصادية واجتماعية محددة وتبعا لبرامج زمنية معلومة ويجب ان تشتمل هذه الخطة على سياسة صناعية واضحة تشجع قطاعات صناعية مستهدفة بتقديم لها التمويل الميسر طويل المدى والحماية المطلوبة في حدود ما تسمح بها اتفاقات التجارة الدولية وظروفها حتى تقوى على المنافسة الحرة.

ومن الغريب ان الحوار الدائر في مصر الان حول التنمية الاقتصادية يكاد يخلو تماما من ذكر التجربة المصرية الرائدة الكبرى- قبل ثورة يوليو ٥٢- ودارستها وتحليلها والافادة منها ، وهي بالطبع تجربة طلعت حرب . بل إنني حاولت أن أجد في المكتبة المصرية الحديثة شيئا ذا قيمة عن هذه التجربة ، فلم أجد.

تكمن عبقرية طلعت حرب في انه تنبه مبكرا الي ان محصلة الاعمال والجهود الفردية لن تصل في مجموعها الى مستوى مجابهة المشكلة الاقتصادية القومية . وبالتالي لم يعتمد على امكانياته الشخصية أو تشجيع الآخرين على استخدام امكانياتهم في القيام بأعمال فردية تسهم في التنمية في مجموعها ،كما تشير السياسات الرأسمالية الحالية ، لكنه استطاع ان يرى بوضوح ان العمل لابد أن يكون عملا جماعيا وأن يغطي أكبر قدر من الطاقات القومية كبيرها وصغيرها للقيام بعمل جماعي ومنسق وتم التخطيط له مسبقا وبذلك استطاع في بحر سنوات قليلة أن يغير وجه النشاط الصناعي والاقتصادي في مصر تغييرا جذريا .

اذا قارنا ذلك بجهود الاستثمار الفردي الوطني أو الاستثمار الاجنبي في مدى العشرين سنة الماضية نرى ان كلا منهما لا يزيد اسهامه عن حوالي ٢ر٥٪ من الجهد الاستثماري اللازم لاستيعاب العمال الجدد الذين يدخلون سوق العمالة سنوياً.

إننا وإن اعطينا الجهد الفردي ما يستحق من تقدير -فإننا نصر أن الحل الذي يصل الى مستوى ما يواجهنا من تحديات لابد وأن يكون حلا قوميا جماعيا منظما طبقا لخطة مسبقة على غرار تجربة طلعت حرب الرائدة.

أزمة اليسار الماركسي ومستقبل الاشتراكية

أحمد عبد القوى زيدان

فجّر انهيار الاتحاد السوفيتي وبلدان شرق اوروبا طوفانا من النقد لدى الماركسيين المصريين، وقد انقسموا الى ثلاث اتجاهات: الأول: يرى فيما حدث نهاية الحلم الاشتراكي ووداعا للنضال من أجله، وان ما حدث دليل على ان الرأسمالية هي نهاية التاريخ ومن ثم هجر صفوف الاشتراكية **بل اصبح بعضهم المنظرين المعتمدين لما يسمى بالليبرالية الجديدة.**

الاتجاه الثاني: لم يغادر صفوف الاشتراكية ولكن **اليأس دب في اعماقه فساد شعور بعدم اليقين** واصبح العمل من اجل الاشتراكية لا يمثل هما حقيقيا بل مجرد استمرار تاريخي يحفظ للذات بعض توازنها.

الاتجاه الثالث: رأى أن ما حدث يحتم ضرورة لشحذ العقل النقدى فى قراءة الفكر الاشتراكى العلمى مع ضرورة العمل السياسى النضالى باعتباره البوصلة التى توجه وتشحذ عقله النقدى لبطور الفكر الاشتراكى.

وبداية اعتقد ان التركيز على أن أزمة اليسار الماركسى فى مصر ناتجة عن اسباب خارج بنية هذا اليسار ذاته ومكوناته الطبقية وتاريخه النضالى وفكره المتحقق فى الصراع الطبقى، هو فى ذاته نوع من تكريس أزمة اليسار فكراً وممارسة.

وأزمة النموذج السوفيتى -التى انتهت بانهياره- وامتداد تأثيرها الى اليسار -الماركسى المصرى ليس الا عاملا اضافيا ساعد على تفاقم ازمة هذا اليسار التى هى نبت الواقع المصرى.

ان الماركسية -فى مصر- فكراً وممارسة لم تكن إلا تعبيرا جزئيا عن الصراع الطبقى فى الواقع المصرى -ولكنها كانت تعبيرا كلياً عن قضية التحرر الوطنى وقد ساعد هذا على وجود بعض السمات للحركة الماركسية المصرية نعتقد انها تكون ازمة هذا اليسار.

على مستوى الفكر مارست البرجوازية تأثيرا كبيرا على الفكر الماركسى فما سمى بطريق التطور اللارأسمالى أو المجموعة الاشتراكية، لم يكن نتيجة لتأثير الطرح السوفيتى بل نجد جذورها الحقيقية فى تأثير الفكر البرجوازى المصرى على الفكر الماركسى، وذلك لضعف الحركة الماركسية عن خوض الصراع الطبقى وجعله غالبا لصالح ما تعتقد انه يدعم حركة التحرر الوطنى... أى سيطرة المفاهيم البرجوازية على حركة التحرر الوطنى، وعجز الماركسية عن ان تمارس دورها فى حركة التحرر الوطنى من موقعها الطبقى، وما حل الحزب الشيوعى (١٩٦٥) إلا ذروة هذا التأثير والخضوع للفكر البرجوازى، كما انه التغيير الاكثر جزما على أن الحركة الماركسية المصرية لم تكن تعبيرا أصيلا عن الصراع الطبقى بقدر ما كانت تعبيرا عن احتياج حركة التحرر الوطنى. ولذلك عندما بدا ان حركة التحرر الوطنى وصلت الى تحقيق انتصارها شعر البعض بانه ليس للحزب دور وانهم يتحدثون ذات اللغة التى يتحدثها النظام الناصرى فتملق قادة الحركة بأذيال السلطة ولو كانوا تعبيرا حقيقيا عن الصراع الطبقى لاختلفت لغتهم، واولوياتهم عن لغة واولويات النظام ومن ثم لشعروا بضرورة الحزب الشيوعى.

وقد انعكس هذا التأثير ايضا فى الضعف النظرى للكادر الماركسى فقد عومل الفكر النظرى داخل صفوف الحركة الماركسية كما لو كان ترفا، ولم يكن هذا الموقف نتيجة لسلفية الفكر الماركسى، كما ان التهميش الثقافى لم يكن خضوعا للنموذج السوفيتى، بل ان السبب الحقيقى فى تهميش الفكر والثقافة فى الحركة الماركسية المصرية ينبع من تأثير الفكر البرجوازى ولذلك كان الفعل السياسى هو السبب الحقيقى فى تهميش الفكر النظرى، واشهار سيف الخروج على النص لمن يحاول ان يعمق الفكر النظرى فى حقل الصراع الطبقى، ولذلك لم يكن غريبا ان تنتشر فى صفوف الماركسيين ظاهرة الابداع النظرى خارج الخدمة او بعد الخروج على المعاش، أى ظاهرة وجود كتابات تحاول ان تقترب بالماركسية من واقع المجتمع وحقل الصراع الطبقى، ومحاولة ان تجد طريقا مصريا لتحقيق الحلم الاشتراكى، وكان معظم هؤلاء قد اصبحوا خارج الحركة الماركسية المنظمة.

وقد انعكس هذا الفكر على المستوى النضالى والحركى فى عدة ظواهر.

بدت الحركة الماركسية حركة سياسية لا تستهدف السلطة فبرغم الحجم الهائل لتضحيات الماركسيين المصريين، فالمتتبع المدقق يرى ان الحركة الماركسية دفعت ثمنا غاليا ولكن لدعم الغير الذى يقرر عند نقطة الاختراق البطش بها فتبدأ من جديد.

ان غياب الهدف- الوصول للسلطة -كان سببا اساسيا فى عجز البناء التنظيمى للحركة

الماركسية . ولذلك كم من كوادر التحقت بالحركة السياسية الماركسية المنظمة وخرجت لتمارس دورا فى الحياة السياسية والثقافية وشعرت انها لم تخسر كثيرا فهى تقوم بدور تنويرى والمنظمات الماركسية لا تفعل أكثر من ذلك كثيرا ، فالوصول الى السلطة ليحقق الاشتراكية هدف غير مطروح على أولوياتها عمليا بل ونظريا ايضا.

ادى غياب مسألة السلطة -وهى جوهر العمل السياسى -وكون الحركة الماركسية المصرية تعبيرا عن احتياج الحركة الوطنية أكثر من تعبيرها عن الصراع الطبقى ، إلى أن ترث الحركة الماركسية داء عضالا وهو النظر الى أعلى حيث من يجلسون فى مواقع السلطة والحديث الذى ينتهى عن وجود اختلافات فى صفوف من فى الحكم والعمل الدءوب على الالتحاق لمن يسبغون عليه صفة الجناح الوطنى ، والحديث الذى لا يمل عن ضرورة الجبهة مع هذا الحليف ، فى ذات الوقت افتقدت الحركة الى فضيلة النظر الى اسفل الى جماهير الطبقة العاملة والفلاحين وغيرهما من القوى الاجتماعية.

(راجع نقد **غالى شكرى** فى كتابه **الثورة المضادة** لبيان الحزب الشيوعى المصرى) الصادر فى يوليو ١٩٧٥ ص٢٧٥-٢٨١) كما يراجع كتاب **الاهالى صحيفة تحت الحصار لحسين عبد الرازق** ، مذكرات رئيس تحرير **لمصطفى بهجت ومثقفون وعسكر لصلاح عيسى وخاصة فصل اسلحة اليمين الفاجرة واسلحة اليسار الفاسدة**).

اننا نعتقد أن هذه العيوب هى التى ادت الى تحلل الحركة اليسارية المصرية- فبعد ان اشتد عودها فى السبعينات ، عندما سقط أى رهان على اى من أجنحة البرجوازية ، وتحقق نمو يسارى كان قادرا على التجدر فى الواقع الاجتماعى ،واحدث قطيعة مع هذا الذات الالحاقى .. الا أن مقتل السادات واتخاذ مبارك لسياسة التهدئة سرعان ما كشفت عن عمق هذه السمة من سمات اليسار الماركسى المصرى.

ولقد كانت النتيجة فادحة وهو ما نراه اليوم على الساحة الماركسية.

اننا نعتقد انه لا مستقبل للاشتراكية فى اطار الحركة اليسارية الموجودة على الساحة اليوم الا باحداث **قطيعة** مع هذه السمات التى اوضحناها سابقا ، وتجذير الصراع الطبقى بالاهتمام والانطلاق من وعى لصالح الطبقة العاملة والفلاحين أساسا ، ولا نعنى بذلك بالطبع اننا ندعو للتنكر لدور الطبقة العاملة فى الصراع الوطنى أو التوجه الاشتراكى إلى الفئات الاجتماعية الأخرى ، بل ان الطبقة العاملة بفكرها الماركسى مدعوة أن تلعب دورا أكثر جذرية فى هذا المجال ولن يتم هذا الا اذا كان هذا الدور من موقعها هى الطبقى.

ونحن نعتقد ان هذا لن يتحقق إلا بالتأكيد على الاستقلال التنظيمى والسياسى والفكرى ، وبعيدا عن تأثير البرجوازية بأجنحتها المختلفة ايا كانت درجة وطنيتها.

ويبدأ هذا الطريق باجراء اوسع نقاش حول الماركسية والاشتراكية العلمية بين صفوف الماركسيين بكافة اتجاهاتهم وبكامل الحرية وينظم هذا النقاش ليحقق الهدف منه وهو الوصول الى رؤية أكثر وضوحا وأكثر ارتباطا بالصراع الطبقى الدائر فى المجتمع وأكثر تمثلا وتطويرا لقيم المجتمع المصرى أى بعبارة أخرى رؤية أعمق ماركسيا.

وان يتم هذا -ليس بمعزل عن- بل فى حضن العمل الجماهيرى فى صفوف العمال والفلاحين والحركات الاحتجاجية فى صفوف الفئات الوسطى ، يكبر معها -اي الحركة الجماهيرية- ويصلب عودها ويكون مرشدا لها حتى لا يتكرر الحد من فاعليتها لصالح البرجوازية.

الحزب الشيوعي المصري

المؤتمر العام الثالث للحزب الشيوعي المصري

نوفمبر ١٩٩٢

إسلام لا كهانة

دولـــة الأزهـــر

خليل عبد الكريم

«والأمم الاسلامية في الوقت الحاضر تتبع قوانين وضعية تبيح ما حرمه الله وخصوصا كبائر الاثام من إباحة الزنا والربا ومن عصيان الله في عبادته ومعاملات الناس ومن آثر قانون العباد الوضعي على قانون الله الشرعي فقد كفر».

هذه الفقرة لم ترد في منشور إحدى الجماعات الإرهابية التي ترفع شعار الدين انما ظهرت في مجلة «الأزهر» ص٧٣٧ ، عدد جمادي الآخرة ١٤١٥هـ ، نوفمبر ١٩٩٤ ، وهي تكفير صريح للحاكم والمحكومين وما يستتبع التكفير معروف.

ولكن كيف تجرؤ مجلة «المعهد العتيق» على ترويج هذا الفكر الذي تحاربه الدولة في كل ميدان.؟

الجواب : لان الازهر تحول الى «دولة» عما قريب تعلن استقلالها عن مصر وليست هذه فكاهة (نكتة) ، فالذي يراقب عن كثب احواله يتبين له بجلاء أن المتنفذين فيه يعملون على ذلك بهمة وعلى راسهم شيخه فهو يقابل رؤساء الوزارات ورؤساء الوفود والوفود والوزراء وسفراء وقناصل الدول. وعلى الرغم من انه مرؤس لرئيس الوزراء فإنه يصر على أن الأخير هو الذي يسعى اليه ويحدد له مكتبه موعدا ليحظى بشرف اللقاء، وقد أذعن لذلك كله «الطيب الأمير» الدكتور عاطف صدقي !!!

وتنشر مجلة الخصوصية أخباره من سفريات ومقابلات في باب عنوانه «أنباء الامام الأكبر» يحرره استاذان يدفع راتبيهما المواطن المسحوق ، والمعروف أن رئيس مصر وحده هو الذي تخصص له الصحف القومية بابا لنشر أخباره .

ومثل الخلفاء والسلاطين -أيام عز الإسلام- للشيخ جاد «شعراء مداحون» تحمل المطبوعات التي ينشرها المعهد العتيق قصائدهم العصماء في مدح الشيخ وتعظيمه وهذا ما لم يحدث في تاريخ الأزهر ، وفي جريدة الاهالي ١٦-١١-١٩٩٤ أوردت ضمن مقالتي (مجمع البحوث الاسلامية من جوه) شطراً من قصيدة مدح رفعها الى مقامه عضو بالمجمع المذكور في صدر كتاب نشره «المعهد العتيق» -ثم طالعت ب مجلة الازهر عدد رجب ١٤١٥ هـ - ديسمبر ١٩٩٤ قصيدة خريدة مدحه بها إمام وخطيب حظى ببعثة خارجية ، ننقل منها:

وإلينا أتت رعاية شيخ الجامع الازهر الشريف احتسابا

شيد العلم مجد الفهم حتى
تسمى به فخر وطابا
نحن في ظله نباهي ونتقدم
به لداء لا يحترن اضطرابا

ومع ركاكتها فقد سمع الشيخ بنشرها لان فيها تمجيداً وتعزيزاً وتطييباً لذاته، وعلى الرغم من أننا لفتنا نظره في مقالنا المشار اليه آنفا : أن الإسلام يكره المدح وينهى عنه.

****

والشيخ جاد يعقد معاهدات (نعم يعقد معاهدات) مثل التي أبرمها مع رابطة العالم الاسلامي، وأجرَّ أحد مباني **المعهد العتيق** مفروشاً لأحد شيوخ النفط بحجة انشاء معهد لما يسمى بـ الاقتصاد الاسلامي استخدم فيه عدد من خشداشي الشيخ برواتب يسيل لها أي لعاب مقدس ، وآخر ارتباطاته مع(الاكاديمية العلمية الاسلامية) بـ كرلونيا / المانيا (نشر الخبر في عدد جمادي الاخر ١٤١٥هـ/ نوفمبر ١٩٩٤ م من مجلة الازهر بالقسم المكتوب بـ اللغة الانجليزية!!!) ، وهذه الجهات جميعها مشبوهة وصلاتها بأقلام الاستخبارات العربية والايرانية والاوروبية والامريكية معروفة كما ان تمويلها تتكفل به دول تكنّ لمصر خالص العداء.

وعندما كان يعالج الشيخ جاد في سويسرا (على ايدى الفرنجة الكفرة . أ. هـ) أرسل له بابا روما مع أحد الكرادلة الفرنسيين رسالة تكتم مضمونها كما انه تحالف مع الفاتيكان لتوحيد الموقف تجاه وثائق ثم توصيات مؤتمر السكان(سبتمبر ٩٤/ القاهرة).

وأصدر «مجمع البحوث الاسلامية» الذي يرأسه بياناً هاجم فيه المؤتمر المذكور واتهمه بأن يتبنى نقيض الاسلام ويشجع الشذوذ الجنسي .. الخ.

وسمح لجماعة اطلقت على نفسها (جبهة علماء الازهر) بنشر بيانين في المجلة -(حقته)-هاجمت فيهما مؤتمر السكان وتوجه وزارة التعليم في مسألة الحجاب بالمناقضة والمواجهة لسياسة الدولة.

(والآن يدعى الازهر بجامعة وجبهاته وندواته .. الخ انه يعارض الحكومة بسند من الشريعة وفي الماضي القريب عندما كانت الدولة والحكومة قويتي الشكيمة مرهوبتي الجانب كان يؤيدها تأييدا مطلقا وايضا بسند من الشريعة . أ. هـ)

وهكذا تحددت مواقف الشيخ جاد الحق تحديدا دقيقا لايدع مجالا لأي شك تجاه سياسات الدولة في أي مجال.

وبعد

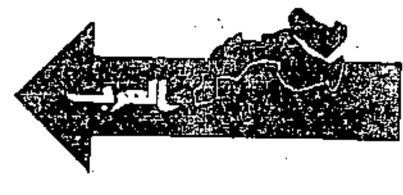
فقد سبق لكاتب هذه السطور ان نبه لأمور عديدة ثم تحقق ما حذر منه : مشكلة جماعات العنف وان علاجها سياسي (ديمقراطي) ، اجتماعي، اقتصادي، بيئي (أيكولوجي) وليس أمنيا مع التقدير البالغ لتضحيات رجال الامن.

والتخلف المزري الذي يعيشه **«الصعيد الجواني»** وآخر مقال في هذا الشأن كان في الاهالي في يناير من العام الماضي بعنوان **«رحلة الشتاء»** ثم جاءت كارثة السيول وصدقت كل حرف سطرناه.

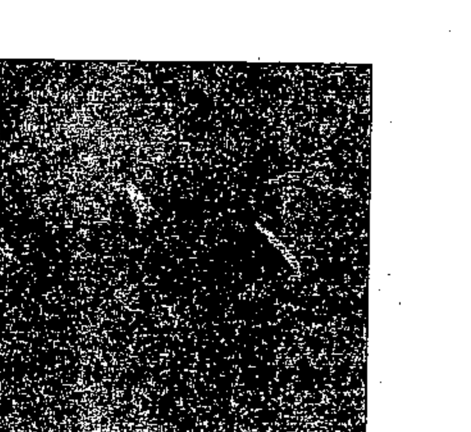
والآن نقول في «مشكلة الازهر ورئيسه **الشيخ «جاد الحق»** انه اذا استمرت حكومة الحزب الوطني **«الرخوة»** جاثمة على صدر المحروسة ، فلن تكون مفاجأة اذا استيقظنا ذات صباح على صوت الشيخ جاد الحق وهو يذيع **«البيان رقم واحد بقيام دولة الازهر»** ، حدودها قسم الجمالية ، على غرار الدولة الثيوقراطية القابعة في قلب عاصمة دولة أوروبية متوسطة.

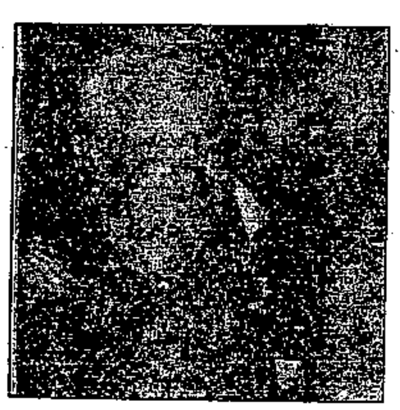
اللهم اني قد بلغت اللهم فاشهد

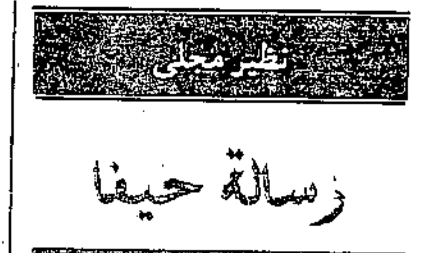
رسالة هذا العدد ليست سياسية ، مع انها تتعلق برجل السياسة الاول فى اسرائيل وزير الخارجية ، والقائم بأعمال رئيس الحكومة فى غيابه ، شمعون بيريز انها رسالة تتعلق بالدين وبرجال الدين اليهود والاحزاب الدينية السياسية . فكما هو الحال في عالمنا الكبير ولدى جميع الأديان والعديد من رجال الدين السياسى أو السياسيين كذلك لدى اليهود في اسرائيل ... الخلط بين الدين والسياسة يلخبط الاوراق ويسيئ لجميع الاطراف، وخصوصا للدين ، واليكم نموذجا



بيريس .. يتمرد على الملك داهود







من حين لآخر، يطلق احد رجال السياسة العلمانيين فى اسرائيل تصريحا .. ينمّ عن تشكيك فى أسطورة دينيـة أو يطعن فى جانب من جوانب التراث الدينى ، فتحدث أزمة سياسية تشغل فيها الدولة واحزابها بضعة أسابيع ، ثم يتجند رجال السياسة من كل حدب وصوب لتسوية الازمة إلى حين تنفجر أزمة جديدة..

بالنسبة للمراقب من بعيد، قد تكون هذه تسلية ممتعة ولكن، فى زمن الردة الذى نعيش ، وفى الوقت الذى يشهد فيه عالمنا العربى والاسلامى اشد الصراعات بين **العلمانية والدين العقلانى** من جهة **وبين احزاب الدين السياسى والمتعصبين** من جهة ثانية ، تبدو المعارك الدينية في اسرائيل مثيرة بشكل خاص ، فهنا ، وعلى الرغم من كل ما يمكن ان يقال دفاعا عن الدين أو عن العلمانية ، فان الصراع يظل فى اطار النقاش العام الذى يأخذ فيه كل طرف بعين الاعتبار مصالح القناعات الفكرية التى يدافع عنها ، وبعد تشرب المعركة ، يسعى كل طرف للتخفيف من حدة المشكلة والصراع ، حتى يخرج هو وقناعاته الفكرية بأقل ما يكن من الأضرار ، فلا **يتطور الامر الى** عنف وارهاب ، ولا يستفحل الصراع لتعميق الهوة بين الاطراف.

الملك داهود

المشكلة هذه المرة تتعلق **بالملك داهود.** والملك داهود هو بانى المملكة اليهودية فى القدس، يعتبره اليهود ،متدينين ، وعلمانيين، الثانى بعد **النبى موسى** فالأول هو النبى والقائد الروحى والفيلسوف ومؤسس الديانة اليهودية والثانى **هو القائد السياسى والعسكرى والشاعر ، صاحب المزامير الشهيرة بدأت شهرته** وهو صبى يرعى الماشية ، فعندما وقف جوليات الجبار على رأس الجيش الفلسطينى يتحدى بنى اسرائيل كل يوم،

ولمدة اربعين يوما، داعطوني رجلا فنتحارب معا» (التوراة في سفر صموئيل الاول- الاصحاح ١٧-الآية ١٠) ، فلا يجرؤ أحد من بني اسرائيل على قبول التحدي ، جاء الراعي داهود الفتى الاسمر الصغير، وخرج الى **جوليات** بمقلاعه، وضرب جوليات فأرداه قتيلا ، وقطع رأسه بسيفه.

وبات داهود اسطورة للبطولة **اليهودية ليس امام الفلسطينيين فحسب، بل في وجه كل الاعداء. وكانت هذه الاسطورة درسا اوليا في اليهودية ليس لدى المتدينين فحسب، بل تعلمها كل طفل يهودي في مدرسته ، وتناقلتها الاجيال ، واصبحت نظرية عسكرية متكاملة ، تبدو فيها دولة اسرائيل «الصغيرة» في المحيط العربي ، مثل داهود امام جوليات.**

واذا كانت الاسطورة ، نموذجا تراثيا بالنسبة لاسرائيل الفتية فانها بعد سنة ١٩٦٧ وحرب الايام الستة التي انتصرت فيها اسرائيل على مائة مليون عربي ، اصبحت تراثا حديثا جدا ، يرفع المعنويات ويلهب الحماس ويقوي النفس العسكري الاحتلالي المتغطرس.

ولكن داهود لم يبق فقط ذلك الفتى البطل. وهذا يعرفه كل يهودي ، وكل دارس للتوراة . غير ان هناك اجماعا توميا على أن لا يذكر شئ عن داهود سوى بطولاته.

وفي أواسط الشهر الماضي (٣١ كانون الأول- ديسمبر ١٩٩٤) خرق ذلك الاجماع رجل السياسة الاول في اسرائيل ، وزير الخارجية والقائم باعمال رئيس الحكومة في غيابه ، شمعون بيرس.

كان ذلك خلال جلسة برلمانية (للكنيست) ، قوى المعارضة اليمينية طرحت مشروع قانون معاد للحكومة ، فوقف **بيرس** يرد على النقاش باسم الحكومة ، بوصفه القائم مقام رئيس الحكومة **رابين**(الذي كان حينذاك يزور اليابان) ، وخلال الرد قاطعه أحد نواب اليمين صائحا ، عن **مدينة القدس مدينة الملك داهود** ، فرد بيرس بحركة استهتار من يده ، فصاح احد قادة الاحزاب الدينية في الكنيست محتجا: **«انت تستهتر بالملك داهود»** فأجابه بيرس من على منصة الكنيست : **«الملك داهود لا يعبر عن كل شئ في اليهودية ، وأنا لا أرى في كل ما فعله الملك داهود ، على الأرض وعلى أسطح المنازل ، أمرا يهوديا».**

فثارت العاصفة أحد قادة الاحزاب الدينية في الكنيست **الحاخام رابتس** ، صاح من القاعة في وجه بيرس: **«اغلق فمك»** وخرج جميع النواب المتدينين من القاعة (١٦ نائبا) ، واعلنوا انهم سوف يطرحون مشروع قانون لنزع الثقة عن الحكومة واسقاطها وطالبوا **رابين** بأن يقيل بيرس من الحكومة.

ونقل عن **رابين** إنه بعث ببرقية عاجلة إلى نائبه يطلب منه ان يصلح الموضوع مع الاحزاب الدينية في أسرع وقت ممكن بأي ثمن ، فهو أي **رابين** يفتش عن وسيلة لادخال حزب ديني الى الائتلاف الحكومي ، لكي **يوسع ائتلاف ولا يخضع الى ضغوط العرب واليسار في ائتلاف.**وكاد يتوصل الى اتفاق مع حزب **شاس** (المتدينين الشرقيين ، وله ٥ نواب) ، وفي هكذا حالة ، وحتى لو ارادات **شاس** الانضمام الى ائتلاف «رابين -بيرس» فان هذا التصريح من بيرس سيمنعها ، وسيحرجها أمام رجال الدين وبقية الاحزاب الدينية.

لذلك، أصدر **بيرس** بيانا في اليوم نفسه ، **يعتذر فيه عن «التعبير غير الموفق» ويعلن انه لم يقصد الاساءة ، للدين أو لرجال** الدين ، لكن قادة الاحزاب الدينية لم يكتفوا بذلك بل وطلبوا اعتذاراً علنيا وواضحا من على منصة الكنيست ، فبدون ذلك لا يمكن ان يصوتوا الى جانب الائتلاف ، ويصرون على المضي في مشروع نزع الثقة.

الملك البصاص

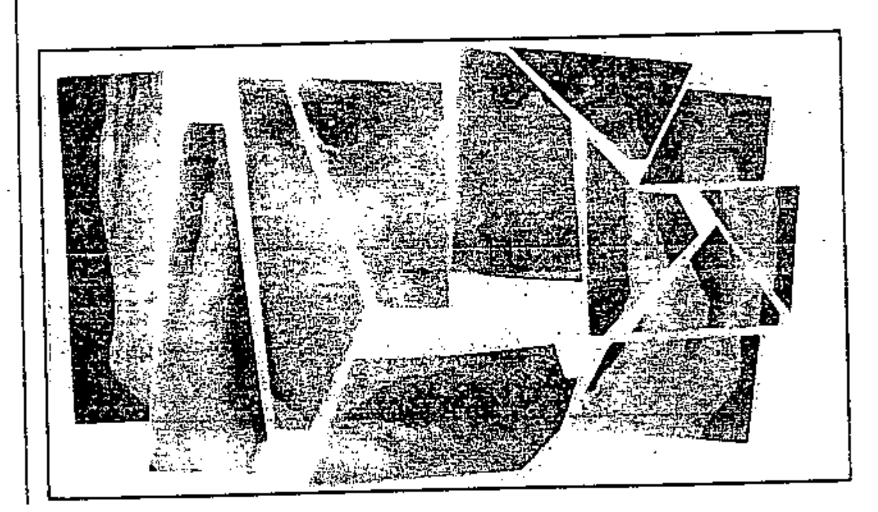
لكن، حل الاشكال «الحزبي- الائتلافي» ، لم يحل المعضلة بالنسبة للصحفيين ، والمعلقين والكتاب ، فهؤلاء ملزمون تجاه قرائهم بكتابة الحقيقة.

وكان السؤال الذي توقعت الصحافة ان الناس تريد عليه الجواب هو : ماذا فعل الملك داهود ولم يعجب السيد بيرس؟ ماذا فعل الملك داهود .. تحديدا؟ فوق أسطح المنازل والتعليقات والتحليلات والمقابلات تنشر ، في الصحافة المكتوبة والمسموعة والمرئية ، حول الملك داهود ، شخصيته وتاريخه.

وساهمنا نحن أيضا في البحث.

والمصدر الاهم للحديث عن الملك داهود، ملك أسرائيل الديني والسياسي والعسكري ، هو الكتاب المقدس -العهد القديم أي التوراة ، وشمعون بيرس رجل واسع الاطلاع عميق الثقافة ، وقد درس هو ايضا التوراة ، ومن هنا حديثه عن أفعال الملك داهود فوق اسطح المنازل.

وهذا ما وجدناه في التوراة» سفر صموئيل الثاني الإصحاح من الآية » رقم ٢ حتى الآية ٢٦ » :وكان في وقت المساء وان داهود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدا ، فأرسل داهود وسأل عن المرأة ، فقال واحد «اليست هذه بنت **شيبع بنت اليعام امرأة أوريا الحتي؟** فأرسل داهود رسلا وأخذها ، فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة ، فأرسلت واخبرت داهود وقالت «أني حبلى» ، فأرسل داهود الى يوآب يقول دارسل إلى أوريا **الحتي**»فأرسل يوآب اوريا الى داهود ، فأتى اوريا إليه ، فسأل داهود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داهود لأوريا : «انزل الى بيتك واغسل رجليك» فخرج اوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك ، ونام اوريا على



باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل الى بيته فقالوا لداهود : ولم ينزل اوريا الى بيته ، فقال داهود لاوريا : داما جئت من السفر ، فلماذا لم تنزل الى بيتك ؟ فقال اوريا لداهود دان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام ، وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتى الى بيتى لآكل واشرب واضطجع مع امرأتى ، وحياتك وحياة نفسك لا افعل هذا الامر .فقال داهود لاوريا :دأقم هنا اليوم ايضا ، وغدا اطلقه ، فأقام اوريا فى اورشليم ذلك اليوم وغده ودعاه داهود فأكل امامه وشرب واسكره وخرج عند المساء ليضطجع فى مضجعه مع عبيد سيده ، والى بيته لم ينزل.

وفى الصباح كتب داهود مكتوبا الى يوآب وارسله بيد اوريا ، وكتب فى المكتوب يقول دأجعلوا اوريا فى وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت . وكان فى محاصرة يوآب المدينة انه جعل اوريا فى الموضع الذى علم ان رجال البأس فيه ، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب ، فسقط بعض الشعب بين عبيد داهود ، ومات اوريا الحثى ايضا.

فلما سمعت امرأة اوريا انه قد مات اوريا رجلها ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة ارسل داهود وضمها الى بيته ، وصارت له امرأة وولدت له ابنا ».

رمز الشقاق

وتقول التوراة أن الله لم يحب تصرف داهود اللاأخلاقى هذا فعاقبه بأن جعل ابنه من امرأة اوريا الحثى يموت ،وهو رضيع ، ولم يكتف هذا بل جعل أحد ابنائه ، امنون يضاجع شقيقته ثمار احدى بناته ، ثمار ، وبعد ان فرغ امنون من مضاجعة شقيقته ثمار.. ضربها وطردها من قصره شر طردة فقام اخوها ابيشالوم بالانتقام لشرف اخته فقتل الشقيق الجانى ، امنون فلم يرق الامر لداهود فراح يطارد ابيشالوم وبعث له من يقتله ، ولم يقف ابيشالوم مكتوف الأيدى فرد على والده الملك داهود ، الصاع صاعين ، وراح يعرض الاطفال والعبيد على الملك ، فرجمه هؤلاء ، فهرب الملك داهود إلى شرق الأردن ، تاركا القدس لابنه المتمرد. ثم عاد بجيش مغوار يحارب ابنه.

وكان الملك داهود منذ انتصاره على جوليات رمزا للشقاق والصراع بين بنى اسرائيل.

فعلى اثر انتصاره حسده ملك اسرائيل شاؤول وخشى ان يحبه الشعب أكثر منه فراح



يدبر المؤامرة ، تلو المؤامرة لقتله.

وقد عرف عن داهود حبه للنساء ، فأرسل شاؤول ابنته ميخال لكى توقع به، ولكن ميخال احبت داهود فلم تؤذه ، فأرسل شاؤول ابنه يوناثان لتتل داهود فأحبه هو الآخر ، وأنشى لداهود بالسر.

فما كان من ملك اسرائيل شاؤول الا ان يحاول قتل داهود بنفسه ، فحمل سيفه وسعى اليه لكن محاولته انكشفت ، وتمكن داهود من الهرب ، وتخفى بين عامة الناس وتظاهر بالجنون، فاخذ يخربش على مصاريع الباب و يسيل ريقه على لحيته » (سفر صموئيل الاول- الاصحاح الحادى والعشرون الآية ١٣)

وعندما أصبح داهود ملكا ، كان اول ما فعله الهجوم على بيت نابال الكرملى واخذ منه زوجته ابجايل ، ثم فعل الامر نفسه على بيت فى يزرائيل حيث اتخذا له لزوجة اخينوعم ، وفى حبرون تزوج من اربع نساء اخرهن: معكة بنت تلماى ملك جشور ، ثم حجيت وابيكال وعجلة.

وحتى عندما كان الملك داهود على فراش الموت عاجزا لم يترك اخلاقياته التسرية ، وكما جاء فى سفر الملوك الاول- الاصحاح الاول -الآية (١-٥) وشاخ الملك داهود ، تقدم فى الأيام ،وكانوا يغطونه بالثياب فلم يدفأ ، فقال عبيده وليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء ، فلتقف امام الملك ولتكن له حاضنة ،ولتضطجع فى حضنك ، فيدفأ سيدنا الملك» ، ففتشوا على فتاة جميلة فى جميع تخوم اسرائيل فوجدوا ابيشيج الشونمية فجاءوا بها الى الملك ، وكانت الفتاة جميلة جدا ، فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه.

لفلفة الموضوع

وهكذا ، فان ملك اسرائيل ، الذى اعطى المكانة الثانية فى اليهودية بعد النبى موسى ، كان فاسقا ، استغل مركزه ليسبى البنات على هواه ، بمن فى ذلك النساء المتزوجات.

وعندما ضاجع زوجة أوريا الحثى التى بصبص عليها وهى تستحم وعلم انها حملت منه أراد جلب زوجها اليها حتى لا يتسائل بعد حين كيف حملت زوجته ، ولما رفض الزوج ان يضاجع زوجته بسبب اخلاصه لرفاقه فى الحرب ، ودبر له ان يقتل فى المعارك . والخ.

فلماذا ثار المتدينون اذن ، من كلمة شمعون بيريز عندما قال : دأنا لا أرى فى كل ما فعله الملك داهود على الارض وعلى اسطح المنازل امرا يهوديا » ؟ ثاروا بشكل هستيرى وقد توجه كل اعضاء كتلة دينية الى مجلس حاخاميه من فقهاء الدين يطلب المشورة .. عن الخطوات القادمة.

ولكن ، كان هناك بين الفقهاء اناس حكماء ، وقد انتبهوا إلى أن الأستمرار فى اثارة الموضوع فى الكنيست سوف يؤدى إلى طرح سيرة الملك داهود ونصول أخرى من التوراة على جدول الأبحاث البرلمانى والصحفى ، وفى اسرائيل لا توجد اية قيود على حرية النقاش والجدل الدينى ، ومما لا شك فيه ان الدين والمتدينين سيخرجون خاسرين من مثل هذا البحث.

فماذا يستطيعون القول دفاعا عن افعال الملك داهود وماذا سيفعلون اذا تحدث أحد النواب العلمانيين، وهم كثيرون وجريئون وغالبية الشعب معهم وتزيد افكارهم ضد الغيبية والسلفية والتطرف ، عن هذه السيرة؟

وماذا سيفعلون اذا طرحت التحليلات العديدة لشخصية الملك داهود ، التى تحدث بعضها عن دلوطيته»؟!.

لذلك ، قرر الحكماء طى الموضوع ، وأيجاد سبيل للفلفته فاكتفوا بالاعتذار الذى نشره بيرس ، ولكن وسائل الاعلام لم تكتف بذلك وواصلت نشر التعليقات والتحليلات .. عن الملك داهود وشخصيته وعن وقاحة رجال الدين فى الدفاع عنه كأنه مقدس.

وكما جرت العادة ، فان سكوت رجال الدين ،والاحزاب الدينية وعدم انجرارهم الى النقاش فى الموضوع ، سيسرع فى إغلاقه .. بانتظار المعركة الأخرى القادمة.

الانتخابات مقابل الأمن صيغة إسرائيلية لتحديد معالم الحل النهائي



رسالة القدس

المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية حول اجراء الانتخابات في الضفة الغربية والقطاع واعادة انتشار الجيش الاسرائيلي، ستبقى تراوح مكانها ، حسب رأي المراقبين لفترة غير قصيرة من الزمن ، ويبدو ان الجانب الاسرائيلي يفضل اسلوب المماطلة والتباطؤ في المفاوضات الجارية ما لم يجر الاتفاق مسبقا مع الجانب الفلسطيني على تطبيق تفاصيل المعادلة الاسرائيلية: «الانتخابات مقابل الأمن».

وتشير الأوساط الاسرائيلية بهذا الصدد، إلى أنه في حالة اذا ما أصر الفلسطينيون على الربط بين الانتخابات واعادة انتشار الجيش خارج المناطق السكانية الفلسطينية فمن المرجح أن تؤجل الانتخابات الى ان يتم اتخاذ الاجراءات الكفيلة بضمان الامن الاسرائيلي ! ومن هذه الاجراءات **شق طرق جديدة تلتف حول المدن والتجمعات السكانية العربية، وتؤمن الوصول الأمن للمستوطنات وبناء قواعد جديدة للجيش واقامة الاسيجة والمناطق العازلة وغيرها من الاجراءات.**

بالفعل فقد اعلن عن مخطط اسرائيلي واسع لشق مئات الكيلومترات من الطرق الالتفافية حول المدن والقرى العربية يهدف ربط المستوطنات الاسرائيلية فيما بينها من ناحية ومع اسرائيل من الناحية الاخرى . كما اعلن ايضا أن تكاليف هذا المخطط الواسع قد تتجاوز ٣ مليار شيكل أو مليار دولار وبالطبع فان هذا المخطط الذي ابتدأ بتنفيذه في عدة مواقع ، هو شأن اسرائيلي ، لن يخضع للمفاوضات الجارية مع الطرف المعني بالأمر أي الطرف الفلسطيني ، الذي سيدفع **ثمنا باهظا يتمثل في مصادرة المزيد من الأراضي العربية في الضفة وفي تهديد وحدتها الجغرافية والديمقراطية مقابل تثبيت واقع جغرافي وديمقراطي اسرائيلي جديد لصالح المستوطنين فوق الاراضي العربية.**

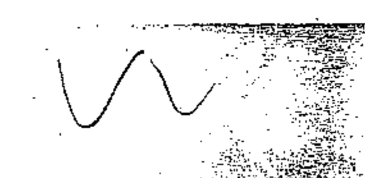
وعلى سبيل المثال فان هذه الشوارع الالتفافية ستؤدي الى محاصرة مدينة **نابلس** من الناحيتين الغربية والشرقية والى محاصرة مدينة رام الله من الناحية الشرقية ومصادرة حوالى ٢٦٠٠ دونم من أراضيها والى مصادرة مناطق كبيرة الى الشرق من مدينة **جنين** بهدف ربط مستوطنتين صغيرتين هناك مع مدينة **بيسان** داخل اسرائيل والى عزل مدينة **اريحا** عن منطقة الاغوار ، كما سيؤدي الشارع الالتفافي حول مدينة البيرة إلى محاصرتها من الشرق وإلى مصادرة مئات الدونمات التابعة للعديد من القرى العربية في تلك المنطقة وغيرها من الشوارع التي لم يكشف النقاب عنها حتى الآن.

ان هذا المخطط الاسرائيلي الذي يهدف لربط مستوطنات الضفة بشبكة طرق تحاصر المدن والقرى العربية واقامة مرقع ونقاط عسكرية ونقاط مراقبة ، واضاءة مناطق ، ووضع اسلاك اليكترونية عازلة، بالاضافة الى العملية الجارية بتوسيع حدود المستوطنات القائمة ، كما اقر مؤخرا عدد من قادة المستوطنين ، ان هذا المخطط يطرح عدة تساؤلات هامة حول **مستقبل المناطق المحتلة ضمن العملية السياسية** الجارية وعما قد تسفر عنه المفاوضات الحالية ومنها: هل المقصود وفق التصور الاسرائيلي ، اعادة انتشار الجيش كما نص اتفاق أوسلو ام تقسيم الضفة وتدمير وحدتها الجغرافية والديموغرافية والحيلولة دون اقامة دولة فلسطينية في المستقبل كما ينص برنامج حزب العمل !! وهل من المعقول أن تكون مثل هذه الإجراءات الاسرائيلية الواسعة هي مجرد اجراءات مؤقتة!! وهل يعقل ان تنفق الحكومة الاسرائيلية أكثر من مليار دولار لتنفيذ مخطط ثم تتخلى عنه بعد ثلاث سنوات اي بعد انتهاء المرحلة الانتقالية ؟

وبالمقارنة مع النموذج الذي طبق على قطاع غزة حيث احتفظت إسرائيل تحت سيطرتها بحوالي ٤٠٪ من مساحة القطاع بدعوى الحفاظ على أمن تجمعين استيطانيين هناك،فماذا سيكون حال الضفة التي تنتشر فوق اراضيها حوالي ١٤٠ مستوطنة!! وضمن هذه المعطيات فهل هناك جدوى للجانب الفلسطيني من مواصلة المفاوضات حول المرحلة الانتقالية وفق الأسس والشروط التي ترتئيها اسرائيل؟

وفي اطار الاجابة الاسرائيلية على هذه التساؤلات يتحدث وزير الزراعة يعقوب تسور عن مصادرة نصف أراضي الضفة في اطار الاتفاق حول الوضع النهائي! ويطالب سكرتير حزب العمل **نسيم زفيلي** بتجميد عملية السلام الى ما بعدعام ١٩٩٦ موعد الانتخابات الاسرائيلية ! ويقول وزير الشرطة **موشيه شاحال** بان خارطة الوضع النهائي لمتطلبات اسرائيل الامنية قد جرى وضعها منذ الآن لكي تحدد الخطوات الاسرائيلية خلال مفاوضات المرحلة الانتقالية ، ويؤكد **رابين** ان اي تقدم في المفاوضات يرتبط بقدرة السلطة الفلسطينية على الاستجابة لمطالب إسرائيل الأمنية وفي المقدمة وقف العمليات العسكرية.

ومن الأهمية في هذا المجال أن نشير أيضا إلى اجابة امريكية وردت على لسان وزير الخارجية **وارن كريستوفر** اثناء زيارته الاخيرة للمنطقة عندما قال: «**واشنطن لن تنصح اسرائيل بالسعي**



من اجل تقدم المفاوضات دون توفير ضمانات امنية كافية.. وقال أيضا: «ان تعديلات قد تجرى على اتفاق ارسلو من أجل إعادة انتشار الجيش الاسرائيلى فى المناطق!!

إن هذه الاجابات تنطوى على أخطار كبيرة بالنسبة لمستقبل المفاوضات الجارية وطبيعة الحلول المقترحة التى بدت تظهر معالمها وخصائصها النهائية بوضوح، ومما يزيد من هذه الأخطار مواصلة الجانب الفلسطينى التفاوض وفق المعادلة الاسرائيلية «الانتخابات مقابل الامن» واعتماد متطلبات اسرائيل الامنية كمرجعية لهذه المفاوضات بدل مرجعيتها الاساسية التى انطلقت منها ممثلة بقرارات الشرعية الدولية.

إن الخروج على هذه المعادلة وعدم تكرار الاخطاء التى وقع فيها الجانب الفلسطينى عندما وقع اتفاق غزة -اريحا يتطلب **اعتماد خطة سياسية جديدة تقوم على اعتبار عملية الانتخابات خطوة نحو إنهاء الاحتلال وليس تثبيته** كما تريد اسرائيل وفق معادلتها الانتخابات مقابل الامن.

ومن هنا فان ما يقال عن استعداد اسرائيل لتقديم تنازلات شكلية فيما يتعلق بانتخاب رئيس السلطة الفلسطينية بشكل مباشر او زيادة عدد اعضاء المجلس الفلسطينى مقابل موافقة الجانب الفلسطينى على اعادة انتشار القوات الإسرائيلية من ثلاث مدن فقط هى **نابلس وجنين ورام الله**، ما هو الا محاولة لتثبيت مطالب اسرائيل الامنية، وفرض تصوراتها واهدافها وشروطها بالنسبة لطبيعة التسوية المقترحة.

وكما ان الجانب الاسرائيلى يحاول فرض فهمه الخاص بمسألة علاقة الانتخابات بقضايا الحل النهائى واستخدامها كاداة لتثبيت الاستيطان ومواصلة سياسة التوسع والاحتلال، فان على الجانب الفلسطينى ان يرص صفوفه ويعزز وحدته وان يسعى لفرض فهمه لطبيعة واهمية هذه العلاقة من جميع المناطق المحتلة بما فيها القدس وليس العكس كما تريد إسرائيل.

لذلك فان الانتخابات يجب ان تكون تشريعية، ولذلك ايضا على الجانب الفلسطينى ان يتوقف عن اللعب ضمن قواعد اللعبة الاسرائيلية وان يباشر بالتفاوض حول المرحلة النهائية، خاصة وان نموذج غزة اريحا لم يعد قابلاً للتوسيع.

عن جريدة معريف

عمليات إرهاب..

ابتدعتها الاستخبارات الإسرائيلية

كذريعة لشن حرب على مصر

توفرت هذا الاسبوع الفرصة للكشف عن اكاذيب للاستخبارات العسكرية الاسرائيلية قبل سنوات طويلة، وقد وضعت هذه الأكاذيب فى كتاب جديد للدكتورة **ايل كفكالى** الباحثة والمحاضرة فى مدرسة التربية للحركة الكيبوتسية فى اورنيم، (حرب مخطط لها- الطريق الى سيناء والعودة منها ٥٦- ١٩٥٧) كشفت الباحثة عن عملية قامت بها الاستخبارات العسكرية حيث فبركت عملية عنف من اجل القاء المسئولية على الجيش المصرى وعلى الفدائيين الفلسطينيين.

قبل عدة ساعات من الهجوم الاسرائيلى بتاريخ ٢٩ تشرين الاول ١٩٥٦، اخذ ضابط الاستخبارات ابراهادار اثنين من رجاله وصفهما بعد سنوات بأنهما ضابطان اسمران، ونقلهما الى بركة وحل فى **مرتسهليا**، وقال ادخلتهما هناك الى الوحل الذى كان يشبه صورة الوحل فى سيناء ونقلتهما فى سيارة ووضعناهم فى مركز شرطة يافا.

وأخذهما رجال الشرطة الى مؤتمر صحفى. وقال «دار» بأن الضابطين كانا بائسين وانتبه الصحفيون الى بؤسهما واوضح «دار» للصحفيين المخدوعين، هكذا يبدو الانسان الذى يلقى القبض عليه «انه يبدو بائسا» تحولت الكذبة فى اليوم التالى (٣٠/١٠) الى «حقيقة» وحصلت على تغطية إعلامية واسعة وقد نشرت صحيفة «معاريف» على سبيل المثال الخبر فى رأس الصفحة الاولى الى جانب النبأ عن اقتحام القوات الاسرائيلية لسيناء، وورد فى النبأ : القى القبض على اربعة فدائيين بعد معركة قصيرة مع قوات الامن الاسرائيلى فى منطقة ايرز فى النقب.. انفجر بئر ماء فى ساعات بعد الظهر فى تلك المنطقة جراء قنبلة وضعت فى المكان، ويعتقد بأن الخلية التى أسرت ومن بين اعضائها وكما يبدو ضابط مصري أو خلية أخرى نجحت في وضع العبوة الناسفة في البئر واعترف قائد الخلية فى التحقيق الذى جرى معه بأنه ارسل الى اسرائيل من اجل القيام بأعمال تخريبية واعمال قتل.

وكتب المراسل العسكرى للصحيفة أن القاء القبض على الفدائيين شكل «اثباتا جديدا على النوايا العدوانية المصرية».

وغص التقرير الكاذب بالتفاصيل، وعلى سبيل المثال : القائد ضابط مصرى اما الفدائيون فقد كانوا فلسطينيين، وابتعلت الصحف هذه الاكاذيب الى درجة كتابتها : عثر فى المنطقة على ٦ بنادق من نوع كارلو غوستاف وقنابل وكمية كبيرة من المواد المتفجرة، وشوهدت اثار اقدام اشخاص وقربها بقع دم. ونقل جريحان الى المستشفى اما الاحياء، فقد تم تسليمهم للشرطة الاسرائيلية.

تمادت صحيفة «معاريف» التى كانت أداة بأيدى الاستخبارات العسكرية مثل الصحف الاخرى وكتبت ان ظهور رجال الكوماندوز هؤلاء الذين كانوا مدججين بالاسلحة والمواد المتفجرة، يمكن ان يشكل صفحة ذات مغزى كبير بالنسبة لنوايا الجيش المصرى.

قال القدماء، وكما هو معروف، انه من المسموح **الكذب من اجل السلام لكن وجد لهؤلاء نسل قلبوا هذا المفهوم رأسا على عقب، اذ اكدوا : بالامكان الكذب من اجل شن حرب، لماذا نصدقهم الآن؟**

(مقتطفات من مقال كتبه حاييم جنفيس فى صحيفة «معاريف» ١٩٩٤/١١/٢).

كتاب جديد

ما بعد الملك فهد

ولاية العرش فى العربية السعودية (٢)

معهد واشنطون لسياسة الشرق الادنى

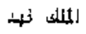
تأليف : سيمون هندرسون

ترجمة : مصطفى الجمال

فى العدد الماضى قدمت «اليسار» ترجمة للفصلين الاول والثانى من هذا الكتاب الهام ، تعرض فيهما المؤلف لتأسيس الدولة السعودية فى الجزيرة العربية على يد الملك عبد العزيز آل سعود ، وفروع هذه الأسرة الحاكمة وأصهارهم والصراعات والتحالفات العائلية فى مختلف العهود «عبد العزيز -سعود- فيصل- خالد- فهد» والعوامل والقوى المؤثرة فى ولاية العرش، بدءا من ابناء الملك عبد العزيز (٢٦ أميرا) ، ونساء البيت السعودى ، والعلماء .. الخ

وننشر فى هذا العدد ، الفصول «الثالث والرابع والخامس».





الملك فهد

(٣) ولاية العرش في المستقبل
(مرسوم فهد في مارس ١٩٩٢)

رغم عدم وجود شرح مكتوب لعملية تولية العرش فإن أغلب السعوديين يشعرون ان لديهم فكرة اساسية عن كيفية سير هذه العملية . لكن الملك فهد قرر في الأول من مارس عام ١٩٩٢ أن يوضحها للبعض ويجعلها ملتبسة أمام البعض الآخر ، مما اعطى دفعة هائلة للمناورة داخل العائلة المالكة من أجل تبوأ أعلى منصب في المملكة.

ويضم القانون الاساسي للحكم الذي أصدره الملك فهد اثنتين وعشرين مادة تتوزع على اربعة فصول ، ويعالج احد هذه الفصول المبادئ العامة للدولة كديانتها ودستورها (القرآن والسنة) ولغتها الرسمية وعطلاتها وعلمها وشعارها .. ويتناول فصل آخر سمات الاسر السعودية الحاكمة بوصفها نواة المجتمع السعودي ، يؤكد على قيمة العربية والاسلامية ويشير الى أهمية التربية لغرس حب الوطن والاعتزاز بالتاريخ في نفوس الشعب ، ويتطرق فصل ثالث الى المبادئ الاقتصادية فيؤكد على ملكية الدولة لموارد البلاد وحرمة المال العام وضرورة ان تفرض الضرائب عند الحاجة على اساس العدالة.

إلا ان الفصل الثاني كان الأكثر أهمية ، وأحدث ضجة سواء داخل أو خارج آل سعود فيقرر القانون (الذي صدر كمرسوم ملكي يعمل به كقانون من تاريخ نشره) **أن العرش** حق لأبناء **عبد العزيز بن سعود** ، ومنهم إلى ابنائهم **وأن تتم البيعة طبقا لمبادئ القرآن وسنة الرسول** -ص- **ويختار الملك ولي عهده** ، وبإمكانه اعفاءه **من منصبه بمرسوم** ملكي ، ويضطلع ولي العهد بالسلطة بمجرد وفاة الملك حتى تؤدى له يمين البيعة.

وتؤكد مصادر عديدة ان هذا القانون قد قوبل بالانزعاج من جانب عديد من **الأمراء** الرئيسيين . ويقال ان **عبد الله** ولي العهد

قد استحث لإقرار منصب كرويث للعرش بإرادة ملكية، أكثر منه حقا خالصا له برصفه التالي في الترتيب ويتمتع بصحة جيدة وينظر الى نفسه كمسلم صالح، وقيل ايضا ان الأمير **سلطان** أصابه القلق لإدراكه ضرورة ممارسة الضغط والنضال بصورة اقوى من أجل حماية وضعه كرويث ظاهر لعبد الله الذي **اصبح بإمكانه الآن اختيار ولي عهد من أبناء الجيل التالي -أي احفاد عبد العزيز بن سعود.**

استهدف مرسوم فهد تحقيق استقرار مستقبلي ليس فيما يتعلق بولاية العرش فحسب وإنما في مختلف المسائل الدستورية المحتمل وقوعها، وذلك على الرغم من حرص الملك على انكار وقوع أي شكل من اشكال «الفراغ الدستوري» من قبل، واكتملت هذه العملية بصدور مرسوم في أغسطس ١٩٩٣ يحدد مدة عضوية مجلس الوزراء بأربع سنوات على الأكثر وضرورة ألا يحصل الوزراء على فائدة مالية من شغل مناصبهم سواء كانت مباشرة أو بالانابة. وفي نفس الوقت تقريبا تم اعلان اسماء اعضاء مجلس الشورى الوطني، وصدرت القوانين التي تحكم عمل مجالس الشورى المماثلة على مستوى المناطق الثلاث عشرة في المملكة.

ومن الامور المثيرة للدهشة ان تصدر هذه المراسيم مع ما تتطلبه من نشاط من جانب الملك فهد، على الرغم من اعتبار البعض له ملكاً بطيئاً سواء من الناحية البدنية او السياسية.

وخاصة بالمقارنة بالحيوية التي كان يتمتع بها إبان تولي منصب ولاية العهد في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات.

وقد احدثت هذه الاصلاحات دهشة كبيرة لدى اعلانها على الرغم من أن جذورها تعود الى فترة حكم **الملك فيصل**، كما تكرر الوعد بها منذ مجيء **فهد** الى الحكم عام ١٩٨٢. وفتح الباب أمام عدة تفسيرات فرأى البعض ان **الملك فهد** قد قرر ادخال هذه الاصلاحات بالفعل في وقت سابق، ولكن التنفيذ تأجل بسبب غزو صدام حسين للكويت عام ١٩٩٠.

ويعتقد آخرون ان **حرب الخليج قد تسببت في اضعاف صلات الأسرة الحاكمة بالشعب، وأن المراسيم تأتي في واقع الامر كتنازلات سياسية من جانب آل سعود. وهناك تفسير ثالث ذو مغزى** هام مؤداه ان ادراك **الملك فهد** لأنه أصبح طاعناً في السن جعله أكثر عزما عن

(٤) ولاية العرش في الجيل الحالي

ذي قبل علي ارساء اسس راسخة لحكم بيت سعود، ليس فقط فيما يتعلق بضوابط ولاية العرش، وإنما ايضا من خلال محاولة انشاء مؤسسات بالمملكة لها نوع من الثبات.

وأخيراً فإن البعض ينظر الى العملية كلها **كرد فعل لمظاهر معارضة ونقد آخذة في الازدياد بحق آل سعود من جانب دوائر كانت تعتبر تقليديا على ولاء تام لهم، مثل التكنوقراط ابناء الطبقة المتوسطة، والجماعات الدينية التي أخذت تستخدم الاسلام لنقد الاسرة الحاكمة بدلا من تأكيد مشروعيتها.**

اذا وافت المنية **الملك** فهد البالغ من العمر ثلاثة وسبعين عاماً - قبل نهاية عام ١٩٩٤- فسوف يتمكن ولي العهد **الأمير عبد الله** من الفوز بتأييد فوري تقريباً من الاسرة المالكة لتبوء منصب الملك. لكن اذا امد الله في عمر الملك أبعد من هذا فإن التكهن بالمستقبل سيكون أكثر صعوبة.

فالتحدي الرئيسي للنظام المعمول به حاليا يتمثل في كون ابناء **عبد العزيز بن سعود** يشكلون دائرة آخذة في الانكماش، تعددهم حاليا ستة وعشرون أميراً أصغرهم **الأمير حمود** الذي يبلغ السابعة والأربعين من عمره. وكان عمر **فهد** لدى توليه الحكم واحداً وستين عاماً، وهو اصغر في السن من ثمانية أخوة يكبرونه، ويدل تاريخ الوفاة في الاسرة المالكة على ان افرادها توافيهم المنية عادة في اوائل العقد الثامن.

وقد وضع أحد الرسميين الذين تقابلت وإياهم أثناء إعداد الدراسة الحالية- المشكلة كالآتي: «**سوف يسقط طائر جديد من على الفرع كل عامين او ثلاثة**».

ترى هل بإمكان النظام ان يتحمل تعاقب وفيات الملوك في مثل هذه الأزمنة المتقاربة مع استمرار السياسة المعمول بها من اختيار ولي عهد ووريث ظاهر في نفس الوقت؟

ويتمثل تحد آخر في أن ولي العهد **الأمير عبد الله** (٧١ عاما) قد يوافيه الأجل قبل أخيه **الملك فهد** مما ينذر بصراع مبكر على منصب ولي العهد والوريث الظاهر.

وفقا للمنطق السائد فإن **الأمير سلطان** -الأخ الشقيق لفهد ووزير الدفاع والطيران- سوف يكون التالي في التسلسل. ويشير بعض غير السعوديين الى وضعه كنائب لرئيس الوزراء، (النائب الأول هو **الأمير عبد الله** ولي العهد) ويذكر آخرون ان **بندر بن عبد العزيز**-الاخ الاصغر المباشر لعبد الله- يمكن التغاضي عنه. ورغم انه يمكن اعتبار دعوى بندر مغالى فيها (بل هي سرعان ما تندر البعض) فإن ولاية **سلطان-مع ذلك- أبعد** ما تكون عن أن تتم بصورة آلية.

ومن الممكن تناول تلك اللوحة المعقدة باستخدام عدد من السيناريوهات المحتملة.

السيناريو الأول:

(امتداد عمر فهد لعدة سنوات)

سيظل فهد في منصب الملك طالما ظل على قيد الحياة، ما لم يقرر التخلي عن

العرش بمحض ارادته وحتى اذا تناقصت قدرته -بشكل متزايد -على اداء مهام منصبه فانه من أبعد الاحتمالات أن يلجأ أخوته الي اقصائه عن العرش ، بل إنهم على العكس من ذلك سيقومون بتغطية جوانب النقص لديه.

اما اذا اصر على الاحتفاظ بسلطاته كاملة في وقت يتزايد فيه عندئذ عجزه عن ممارستها فانه قد يجبر عندئذ على التنحى .ولكنه من غير المرجح أن يقع هذا لأنه سوف **يطرح مسألة الملاءمة الذهنية لتولى العرش ، وهى قضية لا يرد بيت آل سعود ان تصبح محل جدل حتى في اطار الاسرة نفسها، لأن هذا المعيار سوف يتسبب في إبطال دعوى بعض الامراء** . وعوضا عن ذلك ستحبذ الاسرة الاحتفاظ بفهد كحاكم شرفي ربما يتخلى عن رئاسة الوزراء ، لكنه يحتفظ بكرامة وضعه كملك وهذا هو الدور الذى اختاره لنفسه **الملك خالد** الذى شغل منصب رئيس الوزراء من الناحية الشكلية ولم يكن يشغل نفسه بأمور الحكم اليومية.

السيناريو الثاني:

وفاة ولي العهد عبد الله قبل وفاة الملك فهد

يبدو أن **الأمير عبد الله** يتمتع بالصحة والحيوية خصوصا اذا قورن بأخيه نصف الشقيق (فهد) الذى يعانى من زيادة ملحوظة في الوزن . ولكن لا يمكن استبعاد احتمال وفاة ولى العهد قبل الملك . وهنا ينشأ سؤال حول من يمكن ان يحل محله في منصب ولى العهد ، وهو أمر يخضع- من الناحية النظرية- لاختيار الملك فهد وحده ،ولكن يتم التوصل إليه عمليا من خلال الإجماع.

والاختيار الواضح عندئذ سيكون : **سلطان** الذى يجمع بين الطموح والخبرة الادارية في وزارة الدفاع والطيران . ولكن هناك اثنين من أولاد ابن سعود يكبران سلطان في السن ، وكلاهما ولد في نفس عام مولد **الأمير عبد الله (١٩٢٣).**

والأول هو **الأمير مساعد بن عبد العزيز** الذى لا يعتبر مرشحا مطروحاً لأن ابنه **خالد** قد لقى مصرعه علي ايدي قوات الامن عام ١٩٦٥ اثناء احداث شغب وقعت حينها احتجاجا على ادخال البث التليفزيوني في المملكة ، أما ابنه الآخر- **فيصل فلقد أقدم عام ١٩٧٥ على اغتيال عمه الملك فيصل** ثأرا لأخيه ، ومن ثم جرى إعدامه . أما الأخ الأكبر الآخر لسلطان فهد بندر بن عبد العزيز (عم سفير السعودية الى واشنطون) ، ويصور عادة في صورة المتعبد الزاهد ، وكان قد فشل من قبل في نيل منصب حكومي رئيسي . ففي عام ١٩٨٢ أخفق في الحصول على تأييد كاف من داخل الاسرة لتسميته وزيراً للدفاع ، حيث لم يعتبر كفؤاً لتولى هذا المنصب بسبب افتقاره لأى خبرة سابقة في شئون الحكم. وليس من الواضح ما اذا كان قد افصح من قبل -فعلاً -عن ادعاء بحقه في العرش ، وذلك على الرغم من شيوع الاعتقاد بذلك ،ومع ذلك ، فإن **بندر بن عبد العزيز يتمتع بتأييد شعبي ربما كان مرجعه ما عرف عنه من استقامة دينية.**

ومن العقبات الاضافية التى تقف أمام تسمية **سلطان** وليا للعهد ان ذلك سوف يعزز من قبضة «السديرى السبعة» وهو ما يثير حفيظة أخوتهم غير الاشقاء من ابناء عبد العزيز بن سعود ويحاولون انهاءه ، ومن الاساليب المتوقعة لتحقيق ذلك اصطناع أزمة داخلية قد يتطلب حلها ابعاد احد مناصب الحكم الرئيسية (وزارة الدفاع أو وزارة الداخلية) عن آل سديرى.

السيناريو الثالث:

تولى عبد الله بعد وفاة الملك فهد

هناك القليل من الشك في رغبة **الأمير عبد الله** في منصب الملك واعتباره ذلك حقا من حقوقه . إلا انه لا مفر من ان تنشب حينئذ أزمة الحكم- على عكس ما تدعيه المملكة و المدافعون عنها- وسوف تبدد طاقات كبيرة في مسألة الترضية بالاستخلاف القادم.

فعلى العكس من فهد واخوته الاشقاء الستة(السديرى) الذين يتولى خمسة منهم مناصب حكومية رفيعة ، ليس لدى عبد الله اي أخوة اشقاء .ويتوجب عليه حينئذ ، اذا اراد ان يحكم بفعالية ، ان يضطلع بتحالفات من نوع آخر داخل الاسرة ،والا فمن المتوقع -كما هو

الامير عبد الله ولى العهد



شائع على نطاق واسع -أن الاشقاء «السديري» لن يسمحوا بخسارة المناصب الاساسية التي يحتلونها الآن ، وهو الوضع الذي يريدون توريثه لأبنائهم .ولا شك ان احتفاظهم بتلك المناصب الهامة يمكن ان يعرقل بصورة حادة من قدرة **عبد الله** على الحكم.

ويمهد عبد الله الأرض فعليا من الآن لبناء تحالفات مع بعض أخوته غير الاشقاء ، فعلى سبيل المثال هناك **الأمير بدر** نائب قائد الحرس الوطني (وهو معروف على نطاق واسع بعدم الفاعلية) وهو مدين لعبد الله بإنقاذه من مذمة كونه يوما من «الامراء الاحرار».

اما المنطقة الصالحة لتحالفات ممكنة وأكثر فائدة لعبد الله فهي تقع وسط ابناء الملك الراحل **فيصل**، ويسمون جميعا «الفيصل» وهم مشهورون بقدراتهم الفكرية والادارية (فضلا عن القدرات السياسية) ويتمتع **سعود الفيصل** بخبرة كبيرة كوزير للخارجية، ولكنه نادرا ما يسمح له في عهد **فهد** باستخدام كامل مهاراته ، وبدلا من ذلك يضطلع **فهد** بنفسه ببعض الشئون الخارجية ، أو من خلال الأمير الموالي له: **بندر بن سلطان** سفير المملكة الى واشنطون ، أما **تركي الفيصل** رئيس الاستخبارات السعودية فهو موضع احترام العاملين بالجهاز ، وإن كان مضطراً الى تقبل دور **سعود بن فهد** الذي فرض عليه نائباً وهناك **الفيصل** ثالث هو **الأمير خالد** حاكم منطقة عسير.

وبامكان عبد الله بالطبع ان يحصل على دعم ابنائه ولكنهم مرتبطون حاليا بالعمل في ديوانه أو تولي مواقع قيادية في الحرس الوطني ، ولم يظهر احدهم قدرة أو مهارة سياسية بارزة.

السيناريو الرابع
(بروز أخ أصغر كأفضل مرشح)

تحاشيا لاختيار ملك جديد كل عامين أو ثلاثة قد يضطر عدد من الاخوة الأكبر سنا إلى الاقتناع بالتنازل عن حقهم في العرش لإعطاء الفرصة لأمير اصغر سنا . ان الصحة الجيدة تعني- ما لم يحدث أمر عارض ، عشر سنوات أو أكثر من الحكم المستقر ، وقد استمر فهد على العرش لمدة اثنى عشر عاماً رغم ما قد يزعمه البعض من ان تردده الحالي ليس له تأثير بالسالب على المملكة.

وربما يكون المثل الافضل هو **الملك فيصل** الذي حكم أحد عشر عاماً لا زال ينظر اليها بوصفها فترة الانتقال الناجح من مجتمع قبلي الى دولة حديثة تكنولوجيا.

والمرشح الذي يقفز إلى اذهان السعوديين والغربيين على الفور- وفق هذا السيناريو -هو **الأمير سلمان بن عبد العزيز** المولود عام ١٩٣٨ ،وقد حكم لفترة إمارة الرياض التي تضم العاصمة وتمتد جنوبا إلى الحدود مع اليمن ،وقد اكتسبت سمعة -نادرة في الاسرة- بكونه قادراً ومعتاداً على العمل الشاق وغير متورط في الفساد.

ويضاف أيضا مرشح آخر هو **الأمير مقرن** ثاني اصغر ابناء عبد العزيز بن سعود ، وهو طيار سابق بالسلاح الجوي ويحكم حالياً منطقة حائل التي تقع بين الرياض والحدود الاردنية ،ويرى أحد السفراء السابقين انه «يمكن أن يكون ملكاً جيداً».

والصعوبة الرئيسية أمام تحقق هذا السيناريو انه من الأمور بعيدة الاحتمال ان يوافق عدد كبير من ابناء **عبد العزيز** على تخطيهم في ولاية العرش ، وأفضل مثال على ذلك هو الأمير **نايف بن عبد العزيز**، وهو اخ شقيق للملك فهد يتولى **المهمة الدقيقة للحفاظ على الأمن بوزارة الداخلية منذ عام** ١٩٧٥ . كما هناك من أخوة فهد الاشقاء الأكبر سنا من نايف : **الأمير عبد الرحمن** الذي يعتبر مع الأمير **متعب**-وزير **الاشغال** العامة- صاحبي حق أكيد في **المطالبة بالعرش** في دورهما . وتركي هو الآخر يكبر **نايف في** السن ، ولكنه مغضوب عليه من **العائلة** بسبب زواجه من عشيرة **القاسي المفرطة** اجتماعيا.

كما يضم المرشحون الآخرون **محل السؤال** : «الأمراء الأحرار» (**طلال** -بدر- **فواز**) وتعتقد تحليلات غربية انهم **فقدوا حقهم في** العرش .ويضاف اليهم **الأمير مشاري الذي** اطلق الرصاص على **القنصل البريطاني في** جدة عام ١٩٥١ ، والأمير مشعل الذي ينظر اليه على انه سيئ التصرف.

الملك فهد

(٥) ولاية العرش في الجيل التالي

هناك خمسة سيناريوهات محتملة لأن يقفز خط توريث العرش الى جيل احفاد **عبد العزيز بن سعود** . وبالرغم من أن المزاعم التنافسية لفروع الاسرة داخل الجيل التالي قد تبدو مسألة موغلة في الافتراضية بسبب بقاء العديد من أبناء عبد العزيز على قيد الحياة، فإن تناقص عدد هؤلاء يعني أنهم مضطرون الى إدخال الأحفاد - سريعاً- في عملية الاختيار من أجل كسب التأييد، وأن هذا بالمقابل سوف يجعل من الأصعب تجاهل دعاواهم باعتبار أنفسهم مرشحين هم الآخرين.

لقد فتح مرسوم الملك فهد في مارس ١٩٩٢ الباب رسميا أمام أحفاد عبد العزيز للمطالبة بالعرش.

وإن كان المرسوم ذاته لم يذكر شيئا عن تخطي جيل، ولا كيف سيكون خط التوريث بعد حدوث مثل هذه القفزة هل يجب ان تذهب ولاية العرش الى أكبر أبناء الملك الراحل **سعود** الذي كان موضع عدم تكريم ثم أعيد اعتباره الآن ؟ وإن حدث فهل ينبغي أن تذهب بعد ذلك الى أكبر ابناء الملك الراحل **فيصل**؟ وماذا عن أبناء الأمير الراحل **محمد** الذي تنازل عن حقه في ولاية العرش عام ١٩٦٥ لصالح أخيه الشقيق خالد الأصغر منه سنا؟.

آل فيصل

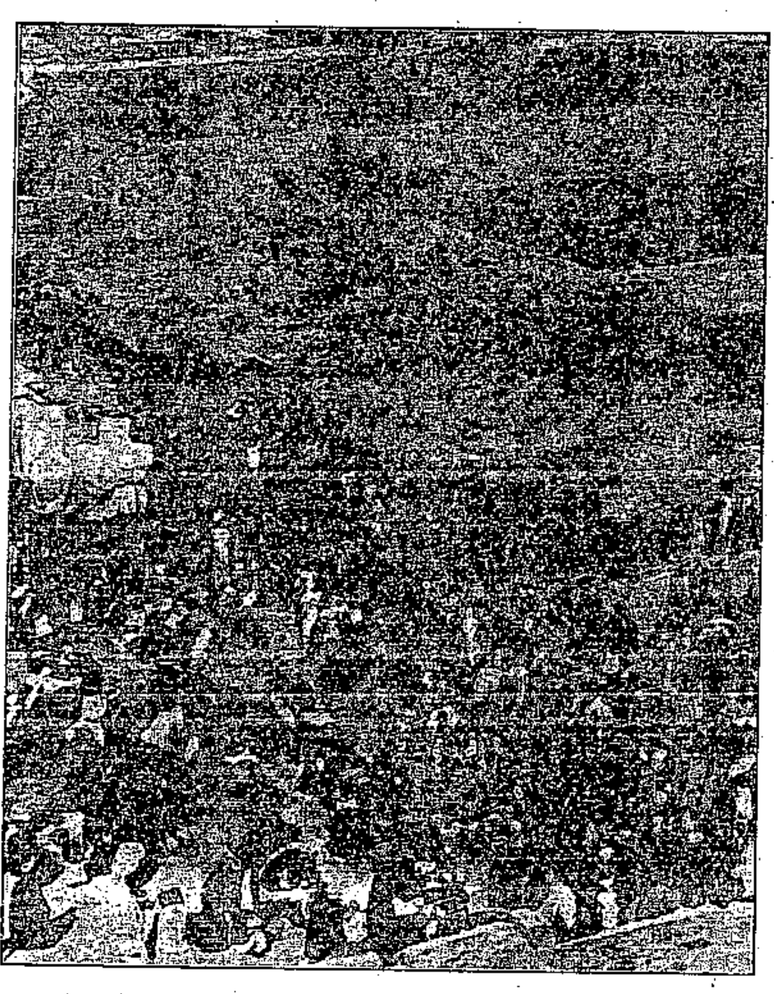
يحتل امراء سعوديون كثيرون مناصب حكومية ، ولكن القليل منهم يمكن أن يعتبر جديرا بها. ويأتي أبناء الملك الراحل فيصل ضمن من يستحقون مناصبهم فعلاً . ويعد الإلحاح على سعوديين بارزين لتحديد من يمكن أن يكون مرشحا اذا حدثت قفزة جيلية فإنهم يشيرون الى **آل فيصل** ، وهم أيضا موضع تفضيل الغربيين الخبراء بشئون المملكة . ويبرز منهم على وجه الخصوص: سعود، وزير الخارجية ، وتركي مدير الاستخبارات الخارجية، وخالد الحاكم على منطقة عسير على الحدود الجنوبية الغربية مع اليمن.

يحتل سعود الفيصل منصب وزير الخارجية منذ عام ١٩٧٥ وهو محبوب جدا من الدبلوماسيين ومنصبه صعب وحساس بشكل استثنائي لأن العديد من كبار الامراء اختطوا لأنفسهم خطوطاً خاصة في السياسة الخارجية ، فمثلا نجد أكثر جوانب السياسة الدولية أهمية ، وهي إدارة العلاقات مع الولايات المتحدة ، تجري بعيداً عن يديه حيث يتولى فهد هذا الأمر بنفسه أو يفوضها -بصورة متزايدة الى سفيره في واشنطون الأمير بندر بن سلطان أما على المستوى الإقليمي فإن **للأمير عبد الله** اهتماماً شخصياً بالعلاقات مع سوريا ، بينما يرتبط **الأمير سلطان** بصلات مع اليمن ، وبالنسبة للأمير تركي -شقيق سعود- فقد كون خبرة في التعامل مع أفغانستان وباكستان.

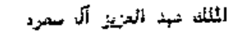
وقد تجرع سعود في صمت وإخلاص كل هذه التعديات على صميم عمله ، ولكنه بعد ان اصبح الآن جدا في العقد السادس من عمره يتردد انه يطمح الى التقاعد عن العمل ، إلا انه اذا اصبح **عبد الله** ملكا فمن المرجح أن يحفز هذا سعوداً الى الاضطلاع بدور أكثر فعالية . فالأمير **عبد الله** الذي يفتقر إلى وجود أخوة أشقاء له ينتظر الدعم من آل فيصل وبالمقابل فإن الاخيرين يأملون أن يمكنهم ذلك من الاحتفاظ بمكانتهم حتى لا تجرفهم موجة غامرة من ابناء اعمامهم آل سديري.

وثاني ابرز ابناء فيصل هو **الأمير تركي** الذي يتولى منصب مدير الاستخبارات الخارجية منذ ١٩٧٧ ، وعمل نائبا لمديرها منذ ١٩٦٨ .وقد ساعده هذا المنصب على توفر المعلومات القيمة لديه ، كما حقق له علاقات وثيقة بأجهزة استخبارات الدول الحليفة للمملكة .

وهو مسئول الارتباط بالمخلين







الملك عبد العزيز آل سعود



محمد بن عبد الوهاب

المحلين لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية الذين يعملون تحت غطاء دبلوماسي بسفارتي البلدين في الرياض. ويقال انه «لامع جداً» ، وقد يكون هذا صحيحا على الرغم من اعتياد غربيين كثيرين الافراط في استخدام عبارات كهذه لوصف اعضاء الاسرة المالكة.

ومثله كمثل سعود أخيه فإن تركي على يقين من تولي موقع رئيسي اذا تولى عبد الله الحكم ، وربما كان الموقع نفسه الذي يحتله الآن **مع توسيع مسئولياته للتخفيف من قبضة آل سديري على وزارة الداخلية التي يشغل اخوا فهد الشقيقان : نايف وأحمد منصبي الوزير ونائبه فيها على الترتيب.**

وهناك تساؤل حول صحة تركي الذي تعرض وزوجته لحادث اختناق في منتصف الثمانينات بسبب عطل مدفأة في مخيمه بالصحراء ، أمضى بعده عدة شهور تحت العلاج بعيداً عن العمل ، وإن كان يقال أنه قد شفي الآن تماماً.

ومن ابناء فيصل الآخرين : **الأمير محمد** الذي عمل على انشاء مشروع تحلية المياة في الستينيات وهو يعتبر متدينا ورعاً . كما تنسب اليه فكرة جلب جبال الجليد العائمة من القطب الجنوبي وهو يرأس البنك الاسلامي الخاص المسمى «دار المال الاسلامي» الذي يمارس نشاطه في بلدان عديدة، ولكنه لا يعمل في داخل المملكة.

أما خالد فهو يحكم منطقة عسير **وعبد الرحمن** يقود وحدة مدرعات في الجيش السعودي **وسعد** يرأس مؤسسة الملك فيصل- وهي مؤسسة خيرية لتمويل أعمال البر أقيمت تخليدا لذكرى والدهم الملك الراحل.

أبناء فهد

يتمتع أبناء فهد بوضع خاص من حيث الامتيازات والسلطة نتيجة كونهم أبناء ملك يحكم ، وهم جميعا على درجة من الثراء العريض ، بل وحتى قبل ان يصبح والدهم ملكاً حيث توفرت لهم ميزة تولي والدهم رئاسة الوزراء في عهد الملك خالد ، وقد أضاف بعضهم خبرة الحكم الى رصيده خلال السنوات القليلة الماضية.

ربما يكون أكثرهم قدرة هو **الأمير محمد** الذي يحكم المنطقة الشرقية حالياً ، وكان -فيما مضى- موضع شائعات بسبب عمولات صارخة يقال انه حصل عليها في صفقات شهيرة . وقد عينه فهد عام ١٩٨٥ حاكماً على **المنطقة الشرقية التي تمتد من الحدود الكويتية على طول الخليج الى سلطنة عمان وتضم معظم الاقلية الشيعية بالمملكة ،** وذلك فيما ثبت انها كانت مناورة سياسية بارعة من الملك . وكان من يحكم هذه المنطقة يأتي تقليدياً من **عشيرة جلوي** التي اثبتت فعالية كبيرة في معاونة **عبد العزيز آل سعود** على بسط نفوذه على المنطقة منذ عام ١٩١٣. والأسلوب التقليدي لحكم المنطقة الشرقية هو **قمع الشيعة الذين يشكلون ٥٪ من سكان المملكة ولكنهم يشكلون اغلبية محلية في أجزاء كثيرة من المنطقة الشرقية.** وقد استجاب شيعة السعودية بالفعل لنداءات الثورة الاسلامية التي أتتهم عبر الخليج من **آيه الله الخميني** في ايران بعد الاطاحة بالشاه عام ١٩٧٩ ، فوقعت اضطرابات شيعية عامي ١٩٧٩و ١٩٨٠ ،وعندما مرض **عبد المحسن بن جلوي ١٩٨٥ تحرك فهد** بسرعة وعين نجله محمد حاكماً محله . وهناك افادات كثيرة بأن **محمد قام بعمله خير قيام ، وأخمد سريعا الكثير من غضب الشيعة بالاستثمار بكثافة في**

الطرق والمنشآت.

ويتولى فيصل أكبر ابناء فهد رئاسة رعاية الشباب ، وهو موقع بناظر الوزارة يعطيه المسئولية عن المنشآت الرياضية والاتصال بالاتحادات الرياضية الدولية- ومن بينها اللجنة الأولمبية الدولية- ولكن لفيصل ماض محسوب عليه ، وهو لا يعتبر- حتى في رأي السعوديين -ممن يعتمد عليهم ،ولا يؤخذ أمره بجدية كملك محتمل في المستقبل.

وهناك ابن آخر هو **سلطان بن فهد** الذي يملك خبرة عسكرية ، ويعمل حاليا نائبا لرئيس رعاية الشباب ، ولكنه لا يقدر تقديراً عالياً.

أما النموذج الكلاسيكي للنزعة المحافظة بين ابناء الملك فهد فهو الأمير سعود ، الذي يشغل منصب نائب الأمير تركي بن فيصل في الاستخبارات الخارجية منذ عام ١٩٨٥ ، وينظر اليه بعض المحللين كنموذج على زحف ابناء آل سديري على مواقع السلطة ،وإن كان العكس هو التفسير الافضل فيما يبدو ، فيروى ان زائرا لمقر الاستخبارات في الرياض في إحدى المناسبات تم تقديمه الى **الأمير سعود** ، ولكنه في زيارة تالية لاحظ عدم وجود الأمير فلما سأل عنه أجابه مسئول كبير بأن سعود يأتي الى العمل نادراً «كما انه لا يحب القراءة». وقد يكون التفسير الأصح في واقع الأمر- ما عرف عنه من التمسك بالشعائر الدينية.

أبناء عبد الله

اذا تولى عبد الله العرش فسيكون أبناؤه في موقع ممتاز لتولي مناصب رئيسية ، وإلى أن يحدث ذلك فإن أي مرتبة ينالونها سوف تزول اليهم من خلال أبيهم ، وهي في العادة مناصب في الحرس الوطني الذي يعد في الواقع بمثابة جيش خاص بعبد الله . فقد كان ابنه الأكبر **خالد** مدير ادارة في الحرس الوطني، وابنه **متعب** يتولى رئاسة اكاديمية الحرس الوطني ولعله أقل ضباطها إطلاقا من الناحية الفعلية. أما الأبن الثالث **عبد العزيز** فقد التحق بالحرس الوطني بعد دراسات في انجلترا ثم أصبح مستشاراً في ديوان ولي العهد وكون مثل هذه الخبرة كافية لاداء دور أكبر في الجيش أو الحكومة .. فهو موضوع آخر ، فقد ترقى خالد ليصبح نائب وزير في المنطقة الغربية ، ولكنه ترك المنصب عام ١٩٩٢ بسبب نزاع بيروقراطي ، وهو الآن منغمس في عقد الصفقات التجارية.

أما **متعب** فيقدر جيدا كرجل مهذب وجندي جيد ، لكن وراءه دائما مصالحه التجارية حيث يمتلك وكالة فورد في المنطقة الوسطى.

وقد أرسل الابن الرابع فيصل- للتدريب كضابط في اكاديمية «ساندهورست» العسكرية بانجلترا ، ولكنه لم يكمل الدراسة- طبقا لضابط تدريب بالاكاديمية -بسبب الغياب مرتين دون عذر.

وعموما فإن **أبناء عبد الله لا يوضعون في الدرجة نفسها مع آل فيصل**. ومع ذلك فإن بإمكان عبد الله أن يتغلب على نقص الكفاءة بالسعي لعقد تحالفات مع أبناء الملكين الراحلين فيصل وسعود . فنجد **مشاري بن سعود** قائد لواء في الحرس الوطني ، **ومحمد بن سعود** يحكم منطقة الباحة ، **أما معتز بن سعود** فهو يدرس حالياً في واشنطون ولكنه يعمل فعلياً كإحدى حلقات الصلة بإدارة كلينتون.

أبناء سلطان

من بين كل أبناء الأمير سلطان وزير الدفاع: حقق **بندر** الموقع الدولي الأكثر بروزاً من خلال موقعه كسفير لبلاده الى واشنطون منذ عام ١٩٨٣ .وقد تأثرت مكانته واقعيا إبان أزمة الخليج بسبب تألق نجم **أخيه الأكبر خالد** قائد القوات السعودية التي عملت مع القوات الامريكية ودول التحالف الاخرى ولكن بندر استعاد مكانته ثانية بعد ذلك.

وبندر ابن لسلطان من أم سودانية، ولذا لا يعتبر مرشحا لتولي منصب الملك، كما ان منصبه الرفيع ذي البريق في واشنطون يزعج أكثر من أمير رئيسي في الأسرة المالكة . وتتمثل مشكلة اضافية له فيما اثير عن انه **ليس على علاقة متينة بأبيه حيث يدين بمنصبه لعلاقته بعمه- الملك فهد**.

بيد ان مشكلة خالد ،مختلفة ، بل كانت أكبر فقبل غزو العراق للكويت كان خالد قائد القوات الدفاع الجوي ، وهو سلاح مستقل في الجيش السعودي ،وقد تضخمت ذاته بشكل كبير بسبب المنصب الممتاز الذي تولاه أثناء عمليات درع وعاصفة الصحراء ، حيث كان يرى دائما برفقة جينيى نورمان **شوارتسكوف** قائد القوات المتحالفة ، ، وبعد تحقيق النصر على القوات العراقية توقع خالد ان تتم ترقيته ، ولكن لم يتحقق له ذلك لأن قادة الاسلحة السعودية الرئيسية يجب الا يكونوا تقليديا من افراد الاسرة المالكة . بيد ان هذا لم يمنعه- طبقا لمصادر عديدة- من تخيير الملك فهد بين ترقيته او قبول استقالته.

وفي النهاية طلب منه الملك ان يتقاعد ، وربما كان الملك منزعجا ايضا من اقتراح خالد الذي اكتسب شعبية بأن تبنى المملكة جيشاًعاملاً كبيراً ، وتحت قيادته فرضاً.

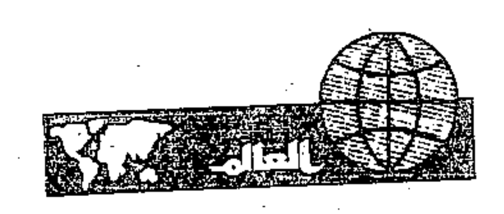
ولا شك أن الملك ، والاسرة المالكة قد تحملوا خالد بما فيه الكفاية ابان تلك المرحلة ، فبعد الانتصار في حرب الخليج اصبح أكبر من حجمه الحقيقي وبدا انه نسى ان المجتمع السعودي ينبذ عبادة الفرد بشكل عام ، وهو الامر الذي اتضح انزلاقه إليه حينما شرع دون استئذان في القيام بجولة -تم الترويج لها دعائيا بشكل جيد- على دول الخليج الاخرى.

أما مشكلة خالد الاخرى فهي التصورات الشائعة **بانه حقق اموالا طائلة في الحرب. وتتراوح التقديرات -طبقا لمسئولين كبار في الغرب- بين بضع مئات من الملايين وسبعة مليارات من الدولارات** . فقد أصر خالد على ان ترتب وزارة الدفاع السعودية كل وسائل النقل والاتصالات والامدادات الغذائية والمائية من خلال عقود سعودية محلية، **ويقال انه كان يقتطع عمولته عن كل صفقة وعلى الرغم من شيوع ممارسات كهذه في المملكة فإن هذه المبالغ الضخمة قد اربكت حتى والده الأمير سلطان وزير الدفاع الذي يقال ان اسمه يقترن بالعمولات على العقود العامة.**

أحفاد بارزون آخرون

يستحق ابناء **الأمير سلمان** ان يكونوا محل الاهتمام حيث يوجد بينهم اثنان كانا موضع اهتمام عام في مناسبتين ، أولهما هو **سلطان بن سلمان** أول ملاح فضاء عربي حيث شارك في رحلة مكوك الفضاء الامريكي «ديسكفري» عام ١٩٨٥. وهو الان برتبة فريق في الجيش السعودي. والثاني هو **عبد العزيز بن سلمان** مساعد وزير البترول **هشام بن ناظر** ، وهو على نزاع مستمر مع الوزير- وإن حرص الاثنان على الظهور في العلن بمظهر الفريق الواحد- ويشترك **عبد العزيز**- مع مساعد آخر هو **فيصل بن تركي**- في الازدراء بالوزير ، وهو مصدر كل الروايات التي تنتقص من مكانته.

وعلى الرغم من ان ابناء آل سديري الآخرين: **عبد الرحمن ونايف وتركي وأحمد** ، لا يعتبرون من العمد المهمة في رهانات السلطة فمن المهم ملاحظة انهم يمكن ان يلعبوا دوراً هاماً في مساندة هذا او ذاك من مرشحي آل سديري.



التحدى الكوبى لأطول حصار فى التاريخ

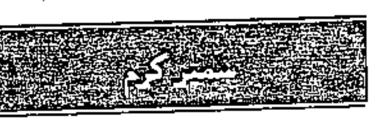


تمثال الحرية يتحول الي منصه لشنق المهاجرين«عن نيويورك تايمز»

فى تاريخ كـوبا حكاية قـديمة من القـرن السابع عشر، أى منذ عهد الاحتلال الاسبانى .. جديرة بأن تحكى اليـوم ليس لما فيـها من إبهار- وفيها منه الكثير- وليس لما فيها من «تطهير» بالمعنى الدرامى للكلمة -وفيها منه ما يفوق معظم الاعمال الدرامية العظيمة -انما لما فيها من انعكاسات سياسية على الواقع .. واقع كوبا اليوم.

تقول الحكاية التاريخية ان الكونت **كاسا بايونا** الاسبانى أحد حكام كوبا الاسبانية ، وهو بالتالى أحد أثرى أثريائها.. فقد كان هذا هو الحال دائما ، كان يجمع ١٢ من العبيد الكوبيين ويجلسهم معه على مائدته الحافلة بخيرات الأرض ليلة«**خميس العهد**» ، أى الليلة السـابقـة التى تسـبق «**الجمعة الحزينة**».

كـان الكونت يجلس على الأرض بعـد



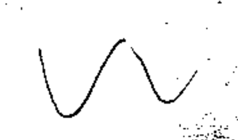
رسالة واشنطن

العشاء ويغسل اقدام المجموعة المختارة من عبيده مؤكدا تواضعه الدينى فى أقصى صورة ممكنة .. مقلدا السيد المسيح(...).

فى اليوم التالى كان العبيد الاثنى عشر يتحولون الى مجموعتين عندما يعودون الى مزارع القصب التى يملكها الكونت ، مجموعة يجتاحها الحماس لرد الجميل للكونت الكريم الورع ، **فتعمل وتعمل حتى لا تعود ظهورهم تتحمل** ، ومجموعة ثانية يجتاحها الحقد على الكونت بسبب ما رأت داخل قصره من ترف يفوق الخيال المصنوع من فقرهم شقاء يفوق الخيال بالمثل ، فتشعل النار فى المزارع ومصانع السكر وما تضع عليه أيديها من دواعش ثروته ، باختصار تضرم حقدها فى كل ما يرمز إليه.

وتنتهى الحكاية بمجموعة احكام إعدام عشوائية تشكل من غسل الكونت اقدامهم وتشكل غيرهم أيضا.

تقفز هذه الحكاية الى الذهن عند تذكر مشاهد خفر السواحل الامريكيين يستقبلون الكوبيين الفارين على الواح خشبية تتقاذفها الامواج طلبا لفرصة عمل أو لفرصة حياة على الطريقة الامريكية .. هربا من فقر صنعته



امريكا . وصحيح ان خفر السواحل الأمريكيين الأشداء المترلى العضلات الذين تعكس وجوههم وأجسادهم تغذية فائضة عن الحاجة لا يفسلون أقدام الكوبيين الهاربين.. لكنهم يقدمون لهم بعض الغذاء والشراب وبعض الكساء وكلمات طيبة عنه شجاعتهم في وجه طغيان لبديل كاسترو ونشر نظامه.

بعدها يرسلون اما الى قاعدة «جوانتانامو» البحرية الامريكية في شرق وطنهم كوبا نفسه .. أو إلى القاعدة العسكرية الامريكية القريبة في أراضي بنما ليعيشوا داخل اسوار من الاسلاك الشائكة في معكسرات اعتقال جماعية بائسة. فلا عمل ولا حركة ولا فرصة حياة على الطريقة الامريكية .. أو حتى الكوبية والأتعس من هذا بلا وطن.

نسبة العبيد الاثنى عشر الذين كان الكونت يغسل اقدامهم قبل اكثر من مائتي سنة الى العدد الاجمالي للعبيد الذين كان يلكهم الكونت لا تختلف عن نسبة الكوبيين الذين يفضلون القيام بهذه المحاولة للرحيل من وطنهم الى «الشمال» .. الى الرلايات المتحدة، مقارنة باعداد الكوبيين الذين يؤثرون البقاء في وطنهم واختيار طريق الاستقلال والكرامة الانسانية بكل مصاعبه ، **وكما ان الكونت (والحكم الاسباني) كان مسؤولا عن فقر وشقاء العبيد الكوبيين فان امريكا المعاصرة مسؤولة عن فقر وشقاء الوطنيين الكوبيين الذين يبقون في وطنهم والذين حاولوا الفرار على السواء ،** ولعل الفرق الاساسي الآن- وبعد شهور قليلة من توقف الامريكيين كلية عن استقبال الكوبين الفارين- هو ان الفارين ادركوا ان مشقة الحياة في معسكرات اعتقال امريكية في **جوانتانامو أو في بنما** ، حتى انهم **بدأوا باعداد كبيرة يتطوعون رحلة العودة الى الأراضي الكوبية هربا من جحيم اللاوطن واللاحرية واللاعمل خلف الاسلاك الشائكة الامريكية وأجهزة المراقبة الالكترونية.**

تبقى أرجح التماثل ..-ولو كانت رمزية- كثيرة بين أوضاع العبيد الكوبيين في مزارع الكونت واوضاع الكوبيين الفارين الذين وقعوا اسرى معسكرات الاعتقال الامريكية ، وبين اوضاع العبيد الكوبيين في قرون الاحتلال الاسباني، وأوضاع الشعب الكوبي في قرن الهيمنة الامريكية والعقوبات والحصار..

لكن المسألة أعقد من مجرد تماثل رمزي أو حتى تاريخي.

لقد توقف تيار الفارين من كوبا ..اضطرت الرلايات المتحدة الى الجلوس مع السياسيين الكوبيين والتوصل معهم الى اتفاق «يحرم» الكوبيين الذين طالما اغرتهم امريكا بنعيم الحياة الامريكية من «حق» السفر أحق الحقوق التي تتغنى أمريكا على نظام كاسترو حرمان الكوبيين منه وبعد ذلك صمتت امريكا فجأة عن الكلام ، عادت إلى مقاطعة الحديث مع كوبا بعد أن أراحت نفسها من صراع الكوبيين الفارين .. لكن ايضا بعد ان كشفت عن نفاق النظرة الأمريكية الى محنة كوبا .

****

عندما عقدت «قمة الامريكتين» في مدينة ميامي بولاية فلوريدا الامريكية في الشهر الماضي (من ٨ الى ١١ ديسمبر ١٩٩٤) كان من اوائل الملامح التي اهتم الامريكيون بابرازها ان هذه أول قمة للامريكتين منذ عام ١٩٦٧ .. ٢٧ عاما كاملة لم يستطع فيها الأخ الأكبر (أمريكا) ان يقنع جمهوريات امريكا اللاتينية بعقد مؤتمر على مستوى القمة بينهم .. بالأحرى لم تستطع امريكا اجبار الامريكيين على الالتقاء.

في عام ١٩٦٧ كان عمر الحصار الاقتصادي الذي فرضته الرلايات المتحدة على كوبا ٤ سنوات فقط.

في عام ١٩٩٤ -مع القمة الامريكية الأخيرة- كان عمر هذا الحصار قد بلغ ٣١ عاما ، وأصبح بذلك اطول حصار من نوعه في التاريخ القديم والحديث . وبالتالي فان«حجم» أو «كمية» الشقاء التي تسبب فيها إذا جاز ان نقيس الشقاء «كميا»- تجاوزت كل الحدود ، والتوقعات ، خلال هذه السنوات لم يمر عام دون ان تظهر دعوات صريحة بل ورنحة في أمريكا بضرورة تصفية النظام الكوبي بعد ان اخفق الحصار الاقتصادي المطبق عليه في اسقاطه.

طبعا بلغت التوقعات ذروتها وخفتت أصوات الداعين الى غزو آخر لكوبا ينهي «نظام كاسترو» عندما وقعت الطامة الكبرى بكوبا بقرارات حكومة «البروسترويكا» الروسية بوقف مساعداتها لكوبا ، وقد سبقت هذه القرارات سقوط النظام السوفيتي وصعود «الرأسمالية الوحشية» ، كما يسميها معارضوها الروس وكما يسميها اليسار الامريكي ايضا- مع بوريس يلتسين ، **فقد اعتبر اليمين الامريكي اغلاق ابواب المساعدة الاممية بوجه كوبا النهاية المؤكدة للاشتراكية والتجربة الكوبية وكاسترو** ، واعتقد خصوم كاسترو الألداء الذين يعيشون في المنفى منذ السنوات الاولى للثورة الكوبية ان سقوط الاتحاد السوفيتي والدول التي كانت تسير على نهجه في أوروبا الشرقية يرفع عن كاهلهم عبء الاعداد لأي غزو عسكري آخر لكوبا .. وهو ما لا تتوفر له أي ضمانات للنجاح ، تماما كما حدث في غزو خليج الخنازير قبل ٣٢ عاما.

وعندما أخذ يتضح ان انقطاع شريان المساعدات الى كوبا لتعويضها عن خسائر رهيبة ألحقها بها الحصار الاقتصادي الامريكي لا يحدث الأثر الحاسم المطلوب منه سنة بعد سنة من سقوط النظام السوفيتي ، بدأ القلق يستبد بكوبيي المنفى .. أي «الكوبيين -الامريكيين» بتعبير اصدق - وبدأوا يثيرون حجة منطقية للغاية.

طوال السنوات منذ «أزمة الصواريخ الكوبية» عام ١٩٩٢ الى سقوط النظام السوفياتي كانت حجة الادارات الامريكية المتعاقبة ضد غزو كوبا أن **واشنطن تعهدت مقابل سحب الصواريخ السوفياتية من الأراضي الامريكية لانهاء هذه الازمة بعدم غزو كوبا او المساعدة في غزوها** /... وبالتالي فان نقض هذا العهد يكن ان يفجر حربا عالمية نووية ، والآن وقد سقط النظام السوفياتي لابد أن يسقط معه هذا التعهد نظريا ومحليا ، نصا وحرفا.

وعندما كانت الادارة العسكرية الامريكية تستعد لغزو هايتي لأسباب شبيهة للغاية بالازمة مع كوبا- أي تدفق المهاجرين الفارين الى القوارب والألواح الخشبية باتجاه شواطئ الرلايات المتحدة -ارتفعت أصوات كثيرة تؤكد غزو كوبا أولى وأهم .. بل لقد تأخر

* *

* **رأي كاسترو في منع اشتراكه في قمة الامريكتين .. وماذا سيقول لو حضرها**

أوانه كثيرا.

وأوضحت الازمة خلال الشهور الماضية ان حكام امريكا يعرفون شيئا لا يعرفه «الكوبيون -الامريكيون» .. وهو ان **غزو كوبا ليس مهمة سهلة حتى يقدم عليها أي رئيس امريكي .. بل ان غزو كوبا يمكن ان يفجر امريكا اللاتينية كلها ضد واشنطن والمصالح الامريكية** . ولم يكن معنى هذا ان حكام الولايات المتحدة يعلنون التسليم في مواجهة صمود النظام الكوبي ، انما كان معناه انهم يفكرون في «وسائل أخرى» فما هي ؟

ان أوضح الخطط البديلة وأكثرها جاذبية للداعية الى إحكام الخناق الى حد القتل حول رقبة النظام الكوبي ، وقد ثبت انها جذبت الرئيس كلينتون نفسه ، على الرغم من انها صدرت عن أشد القوى السياسية عداء له ، **هي خطة شرح تفصيلاتها اليوت ابرامز** الذي شغل في عهد رونالد ريجان منصب مساعد وزير الخارجية لشئون امريكا اللاتينية. وتقضي **هذه الخطة بتحويل قاعدة « جوانتانامو» البحرية الامريكية في أراضي كوبا الى«برلين غربية أخرى** .. الى مدينة حرة صغيرة داخل كوبا الشيوعية ، حيث يستطيع الكوبيون أن يمارسوا حرية التجارة مع أمريكا وأن يمارسوا ايضا انتخاب حكامهم».

وفي برلين الغربية الكوبية هذه يمكن لسلاحي الاذاعة والتلفزيون أن يلعبا الدور الذي ادته برلين الغربية في خلق الظروف التي ادت الى تحطيم سور برلين.

ولا يخفى صاحب هذه الخطة شيئا من افكاره ، حتى أكثرها اثارة للاشمئزاز من نوع قوله : أن كوبا ليست دولة عظمى ، ولا هي تستطيع ان تهدد مصالحنا حول العالم ، ولهذا ينبغي أن تكون المسألة يسيرة الحل. **عدم الاستقرار في كوبا - العنف- تدفق اللاجئين والكوارث الطبيعية عبر البحر- كلها اجزاء من اشواك الموت في جسم نظام كاسترو، وستنتهي كلها عندما ينتهي هذا النظام ، والحقيقة أن الامور لابد ان تزداد سوءا في كوبا على ان يتم خلع هذا النظام .. ان علينا ان نزداد تشددا لا ان نكون أكثر ليونة».**

والمعنى الصحيح لهذه العبارات الأخيرة: مزيدا من التجويع للكوبيين ، مزيدا من انتشار الفقر والمرض والحاجة . مزيدا من المآسي الاجتماعية ومزيدا من التدهور العام بسبب نقص المصادر ونفاذ الطاقة ، هو السبيل الاوفق للإنتهاء من نظام كاسترو ، وفي نفس واحد: لا تأخذكم بالكوبيين شفقة .. اقتلوهم حتى يمكن انقاذهم(...).

وقد جاء الحديث عن هذه الخطة في وقت كانت «الازمة الكوبية» نفسها قد أدت الى تصاعد نوع آخر من التفكير بين الامريكيين ، وحتى بين الكوبيين في المنفى» - يتذكرون في ولاية فلوريدا التي تقع كوبا على مرمى المدافع منها ، يمكننا حتى أن نقول ان التيار الاعلى صوتا في الساحة السياسية الأمريكية عندما صعدت ازمة الفارين من كوبا إلى ذروتها كان صوت المطالبين برفع الحصار عن كوبا باعتبار ذلك وأفضل السبل لانهاء نظام كاسترو» .. **وان كوبا تحتاج الى مساعدة لا الى عقاب »« ان العقوبات هي السبب الحقيقي لقدرة كاسترو على البقاء ، انها سبب اعجاب الكوبيين بالتحدي الذي يظهره لأمريكا- ان الحصار الاقتصادي ينال من الشعب الكوبي لا من حكامه..»**

بالاضافة الى هذا كان هناك «البعد اللاتيني» للأمة الكوبية.

لقد عرف الرئيس الامريكي **كلينتون** -كما عرف كل رئيس امريكي توالى على الحكم منذ انتصار الثورة الكوبية ، وهم ثمانية رؤساء قبل **كلينتون** من ايزنهاور إلى بوش - انه من الضروري تجنب الصدام العسكري المباشر مع كوبا كاسترو ، ذلك ان «فيدل» لا يتمتع فقط بشعبية داخل كوبا ، انه يتمتع بشعبية لا نظير لها في جميع انحاء امريكا اللاتينية ، قليلة للغاية هي الحكومات اللاتينية التي تجاهر بأي تأييد لسياسة الحصار الأمريكية ضد كوبا ، **كاسترو** يستقبل استقبال الأبطال في أي مدينة لاتينية ينزل بها .

وسط هذه الاعتبارات والحسابات بما فيها حسابات اصوات الكوبيين الامريكيين في الانتخابات ،،، قرر **كلينتون** ان يأخذ بقدر من السياسة التي يدعو اليها المحافظون الامريكيون من الحزبين الديمقراطي والجمهوري ، دون ان يصل بها الى حد التفكير في الغزو ... ويقدر من السياسة التي يدعو اليها الليبراليون في الحزب الديمقراطي ، وكذلك اليسار الامريكي بوجه عام، دون ان يصل بها الى حد التفكير في رفع العقوبات حتى وان كان البعض يعتبر ذلك واحدا من أقصر السبل الى الاطاحة بنظام كاسترو. من هنا كانت المفاوضات المحدودة التي ادت الى وقف تدفق المهاجرين من كوبا الى الشواطئ الامريكية .. لكنها لم تزد كما كانت كوبا تتمنى الى توسيع نطاق الحوار مع واشنطن ليشمل العلاقات الثنائية والعقوبات الاقتصادية ، على الرغم من اعتراف خصوم كوبا وانصارها في الولايات المتحدة بأن هذه كلها امور متشابكة : هجرة الكوبيين والحصار الاقتصادي وسياسة العزل ضد كوبا ومشكلة قاعدة « جوانتانامو» التي لا تزال تبحث عن تفسير : لماذا قررت الثورة الكوبية من البداية أن لا تقاوم وجودها؟ هل ارادتها رهينة أمريكية؟ أم قدرت الثورة الكوبية أن تمسك امريكا بالقاعدة يجعلها ذريعة لتدخل عسكري أمريكي واسع النطاق؟.

ولقد كان من أخطر تداعيات ازمة كوبا حتى بعد الاتفاق الامريكي الكوبي الجزئي بشأن وقف تدفق المهاجرين بالقوارب - ان الوضع في القاعدة بعد الاعداد الكبيرة التي اعتقلت فيها وصل الى درجة من التوتر استوجبت اعلان حالة استنفار بين القوات الامريكية .. ولم يحل ذلك دون وقوع المحاولات التي تزداد يوما بعد يوم للهروب من القاعدة للعودة الى الأراضي الكوبية .. عبر حقول الالغام التي تفصل القاعدة الامريكية عن باقي الاراضي الكوبية. وقد رفضت السلطات العسكرية الامريكية في «جوانتانامو» أن تصف رحيل الكوبيين من القاعدة التي تحولت الى معتقل كبير تحت

**

★ ادارة كلينتون حائرة بين استراتيجيتين:

★ الأولى تحول قاعدة «جوانتانامو» البحرية إلى برلين غربية في كوبا تمهيد لغزو من نوع آخر .

★ والثانية تطالب بها المؤسسة العسكرية الامريكية: فتح الحوار مع كاسترو .. لأن البديل بالغ الخطورة.

حراسة القوات الامريكية - بأنه «دروب» .. على الرغم من أنه يتم خلسة وضد ارادة هذه القوات ، وعلى الرغم من ان الكوبيين الهاربين الى داخل وطنهم فى رحلة العودة يعرضون حياتهم للخطر ، فهم كما يقول المراسلون الامريكيون من داخل القاعدة- «يضطرون لاجتياز حاجز من الاسلاك الشائكة خطر كحد الموس» ، وبعد اجتيازه يقفزون من فوق جرف من الصخور بارتفاع ٣٠ قدما الى الماء ، ثم يسبحون وسط ألغام بحرية حتى الوصول الى الشاطئ الكوبى ، وهناك يخوضون فى حقول ألغام ارضية .. وهى الألغام التى تحمى اراضى كوبا ضد احتمال انزال من البحر يقوم به اعداء الثورة منطلقين من ولاية فلوريدا الامريكية.

وعلى الرغم من ان عدد الكوبيين الباقين فى معكسر الاعتقال الكبير فى «جوانتانامو» لا يقل حتى الآن عن ٢٠ الفا .. الا ان معظمهم الآن من المسنين والنساء والاطفال الذين لا يستطيعون خوض مخاطر العودة. **وقد اعترفت الصحافة الامريكية بأن حياة الكوبيين فى «جوانتانامو» هى «حياة مزرية داخل سجن كبير».**

والوضع لا يختلف ف معسكرات اعتقال اللاجئين الكوبيين فى بنما .. سوى فى بعدها نسبيا عن الاراضى الكوبية بالمقارنة بقاعدة «جوانتانامو» **وقد عبّر الانفجار المفاجئ للعنف بينهم ضد حراسهم من** القوات الامريكية عن سوء أحوالهم الأمر الذى دعا القيادة الامريكية فى بنما الى تحذير واشنطن وقبل هذا الانفجار من اسوأ الاحتمالات ، وما لبث المهاجرون الكوبيون ان أكدوا صحة هذا التوقع .. مما ادى الى انفجارهم ضد «حراسهم» الامريكيين الى اصابة أكثر من مائتين من هؤلاء الحراس.

والآن تبحث السلطات الامريكية فى واشنطن عن وسيلة تفريغ المعكسرات من المهاجرين الكوبيين سواء فى جوانتانامو او فى بنما بسرعة تكفى لتجنب مزيد من الاضطرابات من جانب المعتقلين وببطء يكفى لتجنب «موجة جديدة من لاجئى القوارب قادمين من كوبا» على حد تعبير مسئولين امريكيين لصحيفة «واشنطن بوست» (فى ١٤ ديسمبر الماضى).

ويعبر هذا بوضوح عن الازمة التى تجد الادارة الامريكية نفسها فيها .. **انها تحصد ما** زرعته بسياسة الحصار ضد كوبا طوال اكثر من ٣١ عاما . ولا تزال تتمسك بعناد بتطبيق السياسة نفسها ، على الرغم من اعترافها الضمنى بالعجز عن ايجاد «حل حاسم»، **والحل الحاسم هو دائما -عندما يكون الحديث عن كوبا- انهاء نظام كاسترو».**

ويبدو أن أكثر الهيئات قربا من المؤسسة العسكرية الامريكية تعى أكثر من غيرها خطورة المغامرة باستمرار السياسة الراهنة بقدر خطورة المغامرة بالاستجابة للداعين الى غزو كوبا بعد ان سقطت التعهدات بالاحجام عن ذلك بسقوط النظام السوفيتى الذى قطعت له هذه التعهدات قبل ٣٢ عاما.

فقبل اسابيع قليلة من التطورات الخطيرة فى جوانتانامو وفى بنما بشأن اوضاع المعتقلين الكوبيين ، رفعت مؤسسة راند البحثية الامريكية -تقريرا على درجة كبيرة من الاهمية بشأن كوبا الى وزير الدفاع الامريكى وليام بيرى.

ومؤسسة راند تجرى «ابحاثها» وتضع التقارير والدراسات لحساب البنتاجون (وزارة الدفاع الامريكية) لتكون بمثابة أسس للقرارات السياسية ، وفى هذا التقرير عن كوبا اوصت «راند» بضرورة التعامل مع كاسترو وعقد صفقة لانقاذ ماء الوجه معه .. بدلا من المخاطرة بازمة لا يمكن السيطرة عليها.

ويقول واضعو التقرير انه ينبغى الحذر من كاسترو لأنه اذا وجد نفسه محاصراً فى ركن ضيق فسوف يقاتل حتى الموت لكنه اذا اتيحت له خيارات سلمية قد يصل الى حد التنازل عن السلطة اذا ما تأكد ان ذلك ينطوى على مكاسب لكوبا .. لهذا تحث مؤسسة راند الادارة الامريكية على صياغة اقتراح يكون بمثابة صفقة كبرى تتجنب التدخل الخارجى وتنقذ ارواح الالاف من الكوبيين وربما الامريكيين ايضا.

بل تذهب المؤسسة التى تلعب دورا استشاريا اساسيا فى رسم سياسات

Summit of the Americas 1994
MIAMI

«البنتاجون» الى حد الاقتراح ان تشمل هذه الصفقة انسحاب امريكا من قاعدة «جوانتانامو» وتسليمها الى كوبا ... لكن بعد أن يكون قد تم تشكيل حكومة كوبية منتخبة أما في حالة حتمية التدخل العسكري فينبغي ان يتخذ شكل عملية من اجل السلام تحت مظلتي الأمم المتحدة ومنظمة الدول الامريكية» وقد فوجئ كثيرون من المعنيين بالشئون الكوبية في الولايات المتحدة بتوصيات مؤسسة «راند» التي تعبر عادة عن فكر المؤسسة العسكرية الامريكية .. خاصة و انها ضمت صوتها الى الداعين الى فتح ابواب الحوار مع نظام كاسترو .. وقد سبقها الى ذلك كثير من رجال الاعمال الامريكيين والهيئات المعبرة عن مصالحهم والتي اكدت ان الولايات المتحدة خسرت كثيرا بمقاطعتها لكوبا.. وان ما خسرته ذهب الى دول اخرى لا تزال تقيم علاقات اقتصادية وتجارية مع كوبا (انظر اليسار رسالة واشنطن- عدد أكتوبر ١٩٩٢).

****

ولقد تجددت الدعوة على نطاق واسع الى ضرورة فتح ابواب الحوار مع كوبا وكاسترو منذ بداية مرحلة الاعداد لقمة الامريكتين ووجدت الدعوة من يعبر عنها حتى في افتتاحيات كثير من الصحف «القومية الامريكية» مثل «لوس انجليوس تايمز» و «نيويورك تايمز» و «واشنطن بوست» ، وكانت أوضحهم تعبيرا عن هذا الرأى صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور» التي قالت في مقال افتتاحي يوم ١٤ ديسمبر الماضي : «يتعين على الرئيس كلينتون الآن أن يفعل بالنسبة لكوبا ما يفعله طوال الوقت مع غيرها وهو ان يفتح خطوط الاتصالات مع كاسترو ، أن ادارته لم تنتهز الفرصة التي اتيحت لها في سبتمبر الماضي عندما طلب الزعيم الشيوعي محادثات تغطى عددا كبيرا من المسائل . كما فوّت الرئيس كلينتون فرصة أخرى في قمة الامريكتين .. لقد اظهرت الولايات المتحدة استعدادها للتعامل مع بلدان مثل الصين وهايتي وفيتنام)، ولقد نفذت خياراتها الاخرى بالنسبة لكوبا».

والحقيقة ان كثيرين من الامريكيين ، ربما يستثنى منهم فقط أعداء كاسترو الذين يعيشون في أمريكا منذ انتصار الثورة الكوبية يتساءلون : لماذا استقبل كلينتون ياسر عرفات في البيت الأبيض وفتح حوارا مع كوريا الشمالية ، وأقام علاقات دبلوماسية مع فيتنام ، ويقيم اوسع العلاقات التجارية مع الصين و..لا يفعل الشئ نفسه مع كاسترو وكوبا؟

ويعرف الجميع أن السبب يكمن في «المجموعة الضاغطة» التي تتمثل في الكوبيين -الامريكيين ، الذين اصبحوا يشكلون مركز قوة انتخابي سواء بالنسبة لانتخابات الرئاسة أو انتخابات الكونغرس في بلد أصبحت فيه الفروق بين الفائز بالرئاسة ومن يخسرها لا تتجاوز نسبة ٥٪ بالمئة من أصوات الناخبين .. وأحيانا أقل.

وبسبب هذا العامل الداخلي -الذى يذكرنا في قضايانا العربية بالعامل الذى يمثله «اللوبي الاسرائيلي» -مارست الولايات المتحدة أقصى ضغوطها على دول نصف الكرة الغربي جميعا ونجحت في منع كوبا من المشاركة في قمة الامريكيين.

وفي لقاء نادر عقده كاسترو في هافانا يوم ١٢ ديسمبر الماضي (اليوم التالي لنهاية قمة الامريكتين) لمجموعة كبيرة من محررى صحيفة «نيويرك تايمز الامريكية» قال الزعيم الكوبي : اذا كانت هذه القمة في ميامي عرضا رائعا فانها كانت ستصبح عرضا اروع لو انني كنت هناك ، لكن الحقيقة اننا آخر الثوار ،، ولم يكن هذا اجتماعا للثوار».

أهم من هذا ما قاله كاسترو في هذا اللقاء :«يوم يريد رجال الاعمال الامريكيون ان يأتوا الى هنا لاقامة اعمال لهم فان ذلك سيسبب لنا صراعا شديدا ، ولكننا مستعدون لمواجهة هذا التحدى ، هل سيفسدوننا؟ هل سنسقط مرضى بعدوى الرأسمالية الرهيبة ؟ نحن مستعدون لان نرى ، لكن من الزائف بصورة مطلقة الادعاء بان الحصار يخدمنا كادارة

**

إذا كانت سياسة أمريكا قد استهدفت بالحصار الحاق الشقاء بملايين الكوبيين فقد نجحت الى حد كبير.. أما إذا كانت قد استهدفت كسر الثورة الكوبية.. فقد حققت فشلا ذريعا.

سياسية للحفاظ على الشعب متحدا .. الثورة تتجدد ، تفتح كوادر جديدة قادرة تسحق المسئوليات المتزايدة التي يعهد بها اليها إننا نثق بانهم يطيحون بنا ولم يضعونا أمام فرق الاعدام رميا بالرصاص»

ثم يعود كاسترو الى قمة الامريكتين ليقول:

«إن زملاءنا قادة امريكا اللاتينية يبيعون بثمن بخس للغاية ما يملكون للاستثمارات الخاصة في اندفاع لا يعرف التوقف لاعادة بناء اقتصادياتهم التي كانت في السابق تحاط بحماية زائدة وليكسبوا تجارة أكثر تحررا مع الولايات المتحدة.

وعندما سأل محرور «نيويورك تايمز» عما كان يفعله لو اتيح له التحدث أمام القمة في ميامي قال:

«كنت سأحذر من الحاجات الاجتماعية التي تركت دون تلبية عن التنمية الاقتصادية التي خرجت عن السيطرة ، عن بلد فقير تبتلعه ذراعا الولايات المتحدة الضخمتان».

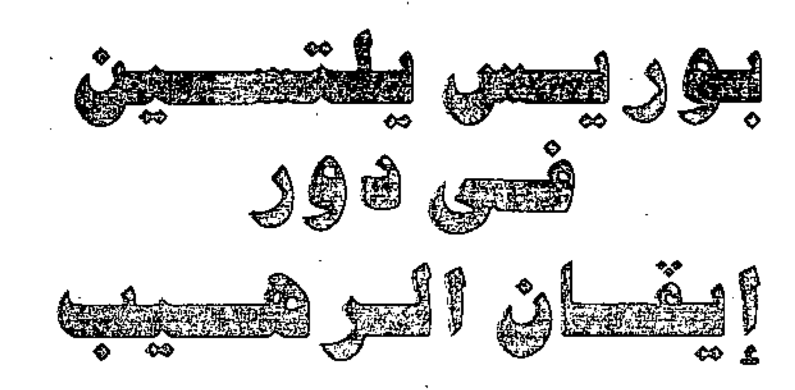
لكن حتى بعد أن انتهت «قمة الامريكتين ناقص كاسترو» ، كما جرت تسميتها في الصحافة الامريكية - وبعد أن انتهى لقاء كاسترو مع الصحفيين الامريكيين في هافانا لا تزال تتردد اصداء التساؤل الملح عن مغزى الاستمرار في سياسة اثبتت فشلها على مدى ٣٢ عاما .. إلا في صنع الشقاء لشعب معتز باستقلاله يقدس سيادته ويعرف حقيقة ما تعلنه الثورة له ، ويخشى ما يمكن ان يفعله به اسقاطها.

والآن وعوامل الخطر تلوح بوجه السياسة الامريكية التي شملها جمود الاعتياد وحاصرتها الاعتبارات الانتخابية الضيقة ، تجد أمريكا نفسها مضطرة الى التفكير من جديد: وماذا بعد كاسترو ؟ ماذا يمكن ان يملأ الفراغ الرهيب الذي يمكن ان يتركه في كوبا ذهاب هذا العملاق الذى نجح في تحدى الامبراطورية الامريكية على مرمى مدافعها كما لم ينجح في تحديها احد في نصف الكرة الغربي باجمعه .. في تاريخه كله؟

حتى أمريكا قلقة مما بعد كاسترو .. وهي كما قال الصحفيون الامريكيون الذين التقى بهم الزعيم الكوبي ، ترقبه وقد شاع الشيب في كل ملامحه .. ولم يعد كاسترو الثلاثيني الذى عرفته من بدايات الثورة في الخمسينات ، انما أصبح في الثامنة والستين .. وهموم وطنه تجعله يبدو أكبر سنا بكثير، لكنه لا يزال يثبت قدرة الثورة على التحدى».



شيشانيات مسلمات يعلن التأييد للرئيس دودايف في تظاهرة أمام القصر الرئاسي في غروزني



بوريس يلتسين في دور إيفان الرهيب

أحمد الخميسي

رسالة موسكو

ما زالت الاوساط الإعلامية الروسية تتندر بصورة الرئيس بوريس يلتسين الذي قام في آخر زيارة له إلي ألمانيا بقيادة الأوركسترا -الذي وقف يرحب به- وجسده الضخم يتطوح مع الانغام وهو في قمة النشوة الكحولية.

وقد ظل التليفزيون الألماني- بعد سفر يلتسين -يعرض الشريط الذي لاقى نجاحا هائلا-في التليفزيون لجمهور واسع استمتع بالمشهد طويلا ، ثم زاد الطين بلة ان الرئيس في الرحلة التالية له الى ايرلندا لم يستطع أن يخرج من الطائرة -بتأثير من نفس النشوة الكحولية -للقاء الرئيس الايرلندي الذي ظل واقفا في البرد يفرك يديه من الحرج حتى خرج له مساعد يلتسين ليعتذر بأن الرئيس مرهق بعض الشئ ، وتأجل اللقاء على مرأى من ملايين المشاهدين الروس الذين تابعوا المنظر على الشاشات التليفزيونية وهم يدقون كفا بكف! وأخيرا رقد الرئيس في مستشفى الدولة- لمدة تزيد عن أسبوعين -لعلاج أنفه- .. وان كان الأطباء في البرلمان الروسي المعارضين يؤكدون أن أعقد العمليات الجراحية في الأنف لا يمكن ان تستغرق كل تلك الفترة ، وخلال ذلك طالب فلاديمير جيرنوفسكي الزعيم المتطرف وعضو البرلمان السماح له بإذن برلماني بزيارة يلتسين للتأكد من أنه مريض ، وأنه حي! إلا أن رئيس المجلس ايفان ريبكين رفض التصريح على ذلك المطلب : ان زيارة المرضى مسموح بها للأقارب فقط.

على أية حال فقد أعلن يلتسين -رغم أنفه- قيام حملة تأديبية على شمال القوقاز شاركت فيها ثلاث فرق عسكرية تتألف من أربعين ألف عسكري أي حوالي نصف عدد العسكريين الذين حاربوا افغانستان وشغلت الحرب- التي ارتدى خلالها يلتسين عباءة ايفان الرهيب -الرأي العام عن مشكلات هامة سابقة بين روسيا وأمريكا داخل مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي ، الذي اتضح فيه أن **الخلاف الروسي الامريكي ينتقل تدريجيا من اطار الخلاف بين الدولتين الكبريين الى اطار أوسع من الحرية في مواجهة القرار الامريكي.**

وانشغل المجتمع الروسي عن كل شئ بتفسير دوافع تلك الحماسة المفاجئة التي انتابت الرئيس لشن الحرب على جمهورية الشيشان فجأة ، ولم تكن قد لاحت مثل هذه النوايا العدوانية سوى مرة واحدة من قبل- عندما استولت الحماسة على الكسندر روتسكوي (وكان نائبا ليلتسين) عام ١٩٩١ فور اعلان الشيشان عن استقلالها فقرر انه لابد من تأديب القوقاز بحملة عسكرية أو على حد قول صديقنا صلاح عيسى «تجريدة» . ومنذ ذلك الحين هدأت الأمور ، ولم يناد أحد بالحرب على الجنرال جوهر دودايف الذي قاد في ٦ سبتمبر ٩١ عملية الاطاحة برموز الحكم الشيوعي المحلي في الشيشان بدعم وتأييد الكرملين ، ثم أعلن في ٢٧ أكتوبر عن انتخابه رئيسا للشيشان ، وأعقب ذلك في الأول من نوفمبر بالاعلان عن استقلال الشيشان- قاصدا بهذا انها ليست جزءا من روسيا .

وكان دودايف - وهو من مواليد ١٥ ابريل ١٩٤٤ -قد تجاوز السابعة والأربعين حينذاك ، ولم يكن في تاريخه السابق ما يوحي بأنه كفء لصدام عنيف مع روسيا ، فقد قضى ستة وعشرين عاما في سلاح الطيران السوفيتي، وشغل أعلى المناصب متدرجا من طيار عام ١٩٦٦ حتى منصب رئيس أركان ورئيس حامية عسكرية بمدينة

«تارتو» في استونيا ، هذا علاوة على أنه **كان عضوا بالحزب الشيوعي السوفيتي لأكثر من عشرين عاما ما بين ١٩٦٨ حتى ١٩٩١.**

ودونما سابق انذار قدم دودايف استقالته من عمله ، ورحل الى بلده شيشانيا وتزعم «**المؤتمر القومي العام لشعب الشيشان**» وقاد عملية الاطاحة برموز الحكم الشيوعي ، وشاع حينذاك أن دودايف رجل الكرملين ، دفعه الكرملين ليكون رئيسا للجمهورية ، وزادت تلك الاشاعات على ضوء تاريخ دودايف وبروزه السياسي المفاجئ ، وصلاته القوية بموسكو وجنرالاتها.

ومع ذلك وقع الصدام مبكرا بين دودايف والكرملين- فما إن أعلن دودايف عن استقلال الشيشان (عدد سكانها مليون نسمة) في الأول من نوفمبر ٩١ حتى اجتمع له البرلمان الروسي في الثاني من نوفمبر مباشرة ليصدر قرارا بأن الانتخابات التي رفعت دودايف رئيسا انتخابات غير شرعية ، وفي السابع من نفس الشهر -ردا على الاستقلال- أصدر يلتسين قراره بفرض حالة الطوارئ في الشيشان،وبعد يومين اثنين عزز قراره **بإرسال قوة عسكرية بالطائرات لمطار الشيشان فمنعتها من الهبوط في المطار الآلاف محتشدة من المواطنين فعادت القوة الى قواعدها سليمة.**

وفي ١١ أكتوبر ١٩٩٢ حشدت روسيا قوات ضخمة لها على حدود الشيشان ، فرد دودايف باعلان حالة الطوارئ والتعبئة العامة في بلاده تحسبا لهجوم روسي ، فتراجعت القوات دون حرب ، وظلت أزمة «الاستقلال من طرف واحد» معلقة تنتظر لحظة مناسبة لإعادة النظر في كيفية حلها.

وفي ٢٠ ديسمبر ١٩٩٣ أعلنت نتائج الاستفتاء في كل جمهوريات روسيا على الدستور الروسي ، إلا أن **جمهوريتين اثنتين فقط لم تشاركا في الاستفتاء وهما تتارستان التي تقع على نهر الفولجا ، والشيشان في القوقاز.**

وفيما بعد وقعت **تتارستان** في فبراير ٩٤ المعاهدة الاتحادية التي تعترف فيها بأنها (تتارستان) جزء من روسيا ، بينما رفض دودايف توقيع تلك المعاهدة حتى الآن متشبثا بالاستقلال التام ، وبذلك أمسى **موقف الجنرال دودايف يهدد من الأساس** فكرة «الفيدرالية الروسية» التي **تتألف -وفقا للدستور الروسي- من تسع وثمانين طرفا أو وحدة.** ولما كان الحل العسكري صعبا لأسباب كثيرة، **لجأت موسكو الى افتعال معارضة مصنوعة صنعا بزعامة عمر أفتورخانوف** الذي يكتب عنه المراقبون الروس : «ان ميزته الوحيدة التي عرف بها هي طاعته العمياء لجنرالات الكرملين؟» ، وقام عمر بتأسيس المجلس المؤقت للمعارضة وأعلنت موسكو رسميا في ٢ أغسطس هذا العام عن تأييدها للمجلس المعارض ، وراحت تمده بالأسلحة والمعدات علّه يتمكن من حل الازمة من داخلها تفاديا للتدخل العسكري ، لكن عمر لم يستطع -مع انعدام مطلق لأي تعاطف معه- أن يحل أو يربط ، حتى دفعت موسكو لشن أكبر هجوم عسكري على مقر الرئيس دودايف في ٢٥ نوفمبر الماضي، ومع فشل الهجوم ادركت موسكو ان الرهان على عمر غير مجد، خاصة بعد ان اسرت قوات دودايف ضباطا روس كانوا يقاتلون نيابة عن عمر ، وفي الأول من ديسمبر الماضي يعترف وزير الدفاع الروسي صراحة بأن طائرات وزارة الدفاع هي التي تولت عملية قذف جروزني، بعد ان ظل ينكر ذلك طويلا . وفي ٦ ديسمبر يجتمع وزير الدفاع الروسي مع الرئيس دودايف في انجوشيا المجاورة للشيشان ليتفقا علي اطلاق سراح الاسرى الروس . وفي ١١ ديسمبر بعد اطلاق سراح الاسرى تبدأ القوات الروسية زحفها الى الشيشان تحت حماية الطائرات وخلال ذلك تتعثر المفاوضات بين وفدي دودايف ووفد الحكومة الروسية في شمال اوسيتيا ، حتى يعلن يلتسين -بعد ستة أيام من القتال-عن مبادرة يدعو فيها الرئيس دودايف باسمه- للمرة الأولى- للمشاركة في المفاوضات التي سيمثل روسيا فيها رئيس الوزراء ورئيسا مجلسي البرلمان **شوميكو وايفان ريبكين** . وقد راهن الكرملين على شئ واحد- أن قواته الزاحفة المجلجلة ستلقي الرعب في نفس دودايف ، هذا كل رهانه .. ولم يفكر الكرملين فيما عليه ان يفعله اذا صمد دودايف ولو لأيام قليلة؟ وهكذا وجدت القوات الروسية نفسها عند مشارف جروزني العاصمة ، دون خطة لاحقة.

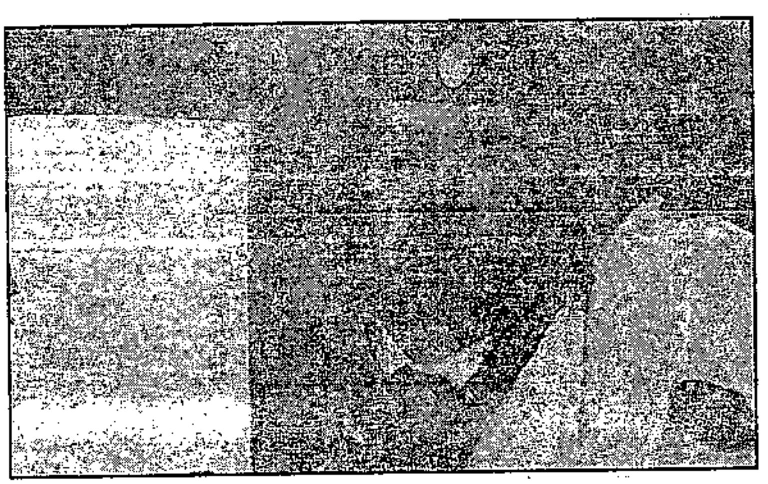
فهل كان ينبغي عليها أن تواصل التقدم لتخلع دودايف بالقوة من كرسي الحكم وتسوقه أسيرا الى موسكو ؟

أم أن عليها أن تنتظر وأن تتلقى خلال ذلك ضربات من فدائيين تستميت نساؤهم وأطفالهم في مواجهة الدبابات؟

علما بأن دودايف كان يكسب الكثيرين في صفه مع كل لحظة تمر دون ان يلقى فيها الهزيمة النهائية.

وهكذا وجد الكرملين نفسه في مأزق : النصر العسكري المحتوم بفعل التفوق العسكري الواضح دون تحقيق نصر سياسي. وخلال ذلك كان دودايف يخاطب الجماهير الشيشانية بقوله : «ان لروسيا شهية الحيتان الكبرى ، ولم يعد هناك ما ننتظره منها سوى العدوان المتكرر ولم يعد هناك فرد واحد يأمل في رحمة تأتي من قبل روسيا . والآن لم يعد أمامكم سوى أن تدحروا الغزو الروسي في كل ركن ، فأضربوهم بلا هوادة ، وتمسكوا بحرب

جوهر دودايف



الجبال المختبرة العريقة: اضرب واهرب، اضرب واهرب، حتى يقتلهم النزع والرعب من كل ناحية» وخلال ذلك **تشكلت مراكز للمتطوعين في كافة جمهوريات القوقاز** بدعوة من كرنفيدرالية شعوب القوقاز، واتضح أن قوات دودايف لا تعاني من عجز في المعدات والذخيرة، كما اتضح ان خسائر الجيش الروسي أكبر بكثير من الأرقام المعلنة، وأن جمهوريتي اينجوشيتيا وداغستان تزيدان دودايف. ففي الأولى تم حصار الفرقة التاسعة عشر لمنعها من التقدم صوب الشيشان، وفي الثانية تم حصار فرقة أخرى وأسر عدد من ضباطها، كما تكررت حالات استسلام العسكريين الروس الذين لا يدركون هدف الحرب بوضوح، وقدم مجموعة كبيرة من الضباط استقالة جماعية، وبينما حاولت الحكومة اغراء الجيش بأنها سترفع الرواتب ثلاثة أضعاف. على حين وقفت كافة الاحزاب السياسية الروسية تقريبا ضد قرار الحرب، ولم يجد يلتسين من يؤيد قراره سوى **فلاديمير جيرنوفسكي** السياسي الذي تحيط به وبحزبه أكبر الشكوك، واتهم «الديمقراطيون» القوميين الروس بأن الحرب قد أعدت بهدف واحد هو اعلان حالة الطوارئ في روسيا كلها ونسف دعائم التجربة الديمقراطية الحديثة. بينما اتهم القوميون «الديمقراطيين» بأنهم يعملون على تفسيخ وحدة الدولة الروسية. ولم تستطع القيادة الروسية أن تغطي الحملة التأديبية بأهداف واضحة، فمرة تدعي أن سبب الحرب هو كثرة أعداد المجرمين ومزيفي العملات ومهربي المخدرات في الشيشان (وكأن اعدادهم قليلة في موسكو) - ومرة تدعي أن هدفها الدفاع عن الأقليات الروسية في القوقاز، ومرة تقول ان القصد هو اعادة الدفاع عن الأقليات الروسية في القوقاز، ومرة تقول ان القصد هو اعادة الشرعية لنصابها، في الشيشان باجراء انتخابات رئاسية حرة وتشكيل حكومة ائتلافية، ومرة تقول ان الهدف هو نزع أسلحة التشكيلات العسكرية غير الشرعية (مقصود بها جيش دودايف فقط) الى آخر ذلك.

وبطبيعة الحال فإن الجنرال دودايف لا يستطيع خلال ذلك ان يدعي أنه يعبر عن شعبه بالكامل في ظل حكم رئاسي فردي يقوم على صلات عشائرية وعلاقات متخلفة، وفتح ابواب بلاده **للنهب الامريكي والبريطاني للبترول الشيشاني**. وعلاوة على ذلك فقد وفر دودايف للمعارضة الرمزية ذرائع قوية حين قام **بحل البرلمان وتسريع الحكومة وتركيز السلطات بين يديه وحده مع رائحة الفساد والرشاوى وصفقات الأسلحة والنفط السرية التي يتقاضى عنها رجال دودايف عمولات هائلة**. وبالرغم من ذلك- فقد كان صوت دودايف المعارض يعبر بدرجة ما عن قضية أكبر منه، هي قضية شعوب القوقاز التي أخضعتها روسيا وبدأت تضمها اليها بالقوة فواجهتها انتفاضة الشيخ **منصور الشيشاني** عام ١٧٨٥ حتى ١٧٩١، ثم عادت روسيا بحملات أقوى الى القوقاز عام ١٨٢٨، فاندلعت ضدها حركة **شعبية واسعة النطاق استمرت ثلاثين عاما** من ١٨٢٤ حتى ١٨٥٩ بقيادة الإمام الثائر الشيخ **شاميل** الذي يحفظ له الشيشانيون قوله لمواطنيه: «**اعشقوا شعاب الجبال وقدسوا الحرية كأنها أمهاتكم، وكافحوا من أجلها، فليس لكم حياة من دونها يا أهل الجبال**» وكان الاسلام قد دخل الى القوقاز عبر آسيا الوسطى في القرن الثالث عشر فتغذى الصراع الروسي القوقازي من أبعاد مركبة ثقافية وقومية ودينية.

ومع اخضاع القوقاز ودخول السلطة السوفيتية فيما بعد، أطاح الجيش السوفيتي عام ١٩٢١ بأول حكومة شيشانية مستقلة كان يترأسها **تاباي شيرموف ثم قامت السلطات بتبديل الابجدية العربية التي كان القوقازيون يكتبون بها الى اللاتينية عام ١٩٢٧، ثم الروسية**. وخلال الحرب العالمية الثانية أصدر **ستالين** قراره بترحيل(!) **شعب الشيشان والانجوش في فبراير ١٩٤٤ من أرضه** وتهجيره الى الأراضي الكازاخية، فمات في تلك الرحلة آلالاف من الاطفال والنساء. وكان ذلك بدعوى أن القوقازيين قد ساعدوا الجيش الألماني، ومن ثم حل العقاب ليس على افراد محددين «تعاونوا» بل على الشعب كاملا، وهو العقاب الذي انزله ستالين بالتتار وغيرهم من الشعوب الصغيرة: الترحيل.

ويتألف **القوقاز** من ست جمهوريات تربطها أواصر القرابة العرقية، والدين ومستوى مشترك من التطور الاجتماعي والاقتصادي ويسكنه ستة ملايين نسمة، ومع وصول دودايف للحكم عام ١٩٩١ كان من أول أهدافه المعلنة: «**توحيد شعوب القوقاز في اتحاد كونفيدرالي على أساس حقوق متساوية وتمثيل سياسي وقومي عادل**» أما عن برنامجه السياسي فإنه يعلن تمسكه ببناء «**دولة علمانية تسترشد بالدين والشريعة**»، وعلى المستوى الاقتصادي يعمل على كسر احتكار الدولة للانتاج والتجارة **وفتح الابواب للاستثمارات الاجنبية والمشاريع الخاصة** وتطوير القطاع الخاص واجتذاب رؤوس الأموال وبناء دعائم الاقتصاد الرأسمالي الحر على أساس الملكية الخاصة.

ونتيجة للوضع الخاص **لجمهورية الشيشان** من حيث انها أكبر الجمهوريات تعدادا، فإن دودايف يعتبر نفسه مسئولا عن مصير القوقاز وزعيما مرشحا لقيادة شعوبه الجبلية، ولم تكن صدفة ان يعلن **موسى شانيبوف** رئيس كرنفدرالية شعوب القوقاز أن «حركة الشيشان تشل الآن قلب القوقاز كله، وستحدد تلك الحركة مصير القوقاز بأكمله، **فإذا انتصر الشاشانيون فقد انتصرنا جميعا**». ومع كل هذا، فإن دودايف لم يقم بأكثر من استغلال الطاقات الشعبية والاحلام **التي تتصور أن الاستقلال عن روسيا سيجعل القوقاز مزدهرا يحيا حياة شعوب الخليج العربي**. أما عن قضية الانفصال عن روسيا فإن الكثيرين لا يرونها مطلبا محتملا، ولكن من المؤكد أنه لابد من أن يسود منهج آخر للتعامل الروسي مع القوميات الصغيرة، وفي ذلك التقى دودايف مع الكثير مما يتوق إليه شعب الشيشان وتتوق إليه شعوب القوقاز البعيدة عنا، والتي لم تجد روسيا طريقة للتعامل معها سوى تزييت عجل الدبابات ودفعها الى هناك.

جاك ديلور آخر الرجال المحترمين

د. مجدي عبد الحافظ

رسالة باريس

كان لإعلان **جاك ديلور** (رئيس المجموعة الأوروبية حتى نهاية ديسمبر٩٤) عن عدم ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة الفرنسية المقبلة وقعا كالصاعقة فى صفوف الحزب الاشتراكى الفرنسى، الذى وجد نفسه فجأة فى خضم امواج هائلة دون ربان ، خاصة بعدما حل ترشيح الحزب لديلور اشكاليات كبيرة بين التيارات المختلفة المتصارعة داخل الحزب ، كما كان لهذا الإعلان غير المتوقع صدى آخر لدى المراقبين والمتابعين للشئون الفرنسية داخل فرنسا وخارجها.

كان إعلانا مباغتا للجميع،فلم يتوقع أحد ان يرفض أحد الرجال فى عالمنا اليوم السلطة بعد ان قدمت اليه على طبق من ذهب فالاشتراكيون **جميعا تكتلوا وأعلنوا بكافة فصائلهم وتياراتهم أنهم يؤيدونه كمرشح وحيد للحزب** ،ولم يجرؤ أحد من اليسار الاشتراكى على مخالفة هذا الاجماع باستثناء حركة المواطنين التى يترأسها **جان بيير** وزير الدفاع الاسبق والمنشق عن الحزب الاشتراكى ، بل وتنازل **ميشيل روكار** رئيس الوزراء الاشتراكى الاسبق عن ترشيح نفسه مؤيدا ترشيح ديلور بل وأيده قادة التيارات المختلفة داخل الحزب .ولم تتأخر استنتاجات الرأى التى أجمعت جميعها خلال الشهور القليلة الماضية على أن خطوط **ديلور** كبيرة جدا للتفوق على المرشح اليمينى فى الدور الثانى للانتخابات أيا كان



جاك ديلور

، حيث تفوق على **جاك شيراك** بنسبة ٥٦٪ ، بينما تفوق على إدوارد **بلادير** بنسبة ٥٤٪ وها هو ذا يعلن فى يوم السبت ١٢/١٠ فى البرنامج التليفزيونى الشهير ٧ على ٧ عن عدم ترشيح نفسه فى الانتخابات المقبلة.

ولعل من فاجئه هذا الإعلان - ونعترف بأننا منهم- قد خدع بما قدم فى وسائل الاعلام المختلفة عن الرجل الذى لم يكن يحب الحديث فى أي وقت من الأوقات عن نفسه ، وترك من عرفوه ومن لم يعرفوه يتحدثون عنه ، لم يكن يعلق إلا فى القليل ، وحتى قليله كان يفهم دائما على أنه مكر ودهاء، من قبل الرجل الذى سيرشح نفسه حتما ، فهو لا ينفصل عن هذه النوعية من رجال السياسة فى الغرب والشرق ممن يتشبثون بمقاعدهم ويحاربون العالم والناس دفاعا عن السلطة حتى ولو بقوا على رأسها عقود طويلة ، وكان لسان حالنا يقول وكيف يرفض أحد خارج السلطة الوصول اليها دون تعب ، أو معاناة، وفى دولة كبرى كفرنسا؟ لقد خذلنا **جميعاجاك ديلور** بل وتحدانا جميعا مؤكدا ان فى عالمنا اليوم ما زال هناك أناس محترمين ، وما زال الإنسان يملك من الحس السليم ما يجعله قادرا على اتخاذ اصعب القرارات ، مبتعدا عن الاتانية والتسلط والمصلحة الخاصة.

أسباب جاك ديلور المعلنة

قال جاك ديلور انه قد قرر ألا يكون مرشحا لانتخابات رئاسة الجمهورية ، وأن هذا القرار لم يكن بالسهل ، وانه قد سأل نفسه سؤالين : كيف سأحكم؟ ومع من؟ حيث أنه لا يوجد طبيب معجزة ، وأضاف أنه لم يكن يريد أخذ قرار يؤدى إلى الدخول فى تحالفات ويكذب على الفرنسيين . وقال **«أقولها لكم بصراحة ، إننى لا أتمنى بعد انتخابى أن أكون مجبرا على أن أتعايش مع حكومة لا تشاركنى توجهاتى»** وأضاف «وأن أنهى مناصبى الرسمية فى مقر الاليزيه (مقر رئاسة الجمهورية) **كتتويج** لحياتى العملية ، لم يكن ابدا هدفا لى ، اذ ان **هدفى أن أكون نافعا ، وسوف أكون نافعا خلال السنوات المقبلة على قدر وسائلى»** . ولم ينس ديلور التأكيد على أن كثيراً من الأسباب الشخصية أيضا قد منعته من الترشيح حيث قال انه **سيبلغ قريبا عامه السبعين ،** وأنه **قد عمل دون انقطاع منذ خمسين عاما**. ومن العقل فى مثل هذه

الظرف إتيان حياة متزانة بين التأمل والعمل . كما لم ينس ديلور أيضا أن يقول بخصوص من يخدعون الناس بوعود من البراقة قبل الانتخابات مثل رئيس الوزراء الحالي أدوارد بلادير الذي قال بشأنه عندما يعد بالإصلاحات دون كسور ، وأيضا بشأن شيراك الذي يعد بالاصلاحات دون تحميل الناس لفاتورتها ، «فإن الاثنين يكذبان على الفرنسيين».

ولكي يقلل من آثار الصدمة على الحزب الاشتراكي أعلن «أن الحزب الاشتراكي يظل ملجأ اليسار ، فإذا أتفق مع الحزب الراديكالي ، فسيكون في المرتبة الثانية في الدور الأول من الانتخابات إذ منذ ١٩٦٩ كان الحزب الاشتراكي دائما منافسا في انتخابات الرئاسة في الدور الثاني وكانت نتائجه بين ٤٨٪ و ٥٢٪ وسيظل».

لكن ما هي الاثار الفعلية لانسحاب ديلور من السباق على مقر الاليزيه على الانتخابات الرئاسة المقبلة؟

طبيعيا أن تكون الاثار بالغة ، نتيجة ما قلناه من أن ديلور كان الوحيد من المرشحين ممن لهم شعبية خارج الحزب الاشتراكي نفسه ، بل وفي صفوف بعض احزاب الوسط المتحالفة في اليمين، وفي شهر نوفمبر الماضي أسفر قياس للرأي عن أن ٥٦٪ من رؤساء مجالس ادارات الشركات الخاصة (أصحاب الاعمال) يؤيدون ترشيح جاك ديلور رئيسا للدولة ، والمسألة ليست غريبة فقد كان جاك ديلور على يمين الحزب الاشتراكي ، وكان المعروف أن آراء ديلور والتي أعلنها في كتابه الاخير منذ شهرين تقريبا لا تتطابق تماما مع ما أعلنه ويعلنه الحزب الاشتراكي ، خاصة بعد التعديلات الأخيرة في هيئته القيادية ووصول هنري ايمانيولي رئيس الجمعية الوطنية السابق سكرتيرا عاما للحزب ، خاصة بعد مؤتمر الحزب في الشمال والذي أقر اتجاه الحزب ناحية اليسار ، خاتما المؤتمر بإنشاد الأعضاء لنشيد الأممية ، عدم التطابق هذا مع إصرار الحزب بكامل قياداته وهيئاته على مساندة جاك ديلور كمرشح الحزب الوحيد في الانتخابات الرئاسية لم يكن موضوعيا متسقا مع ذاته ، وقلل كثيراً من الاشتراكيين من تلك المسألة على أهميتها ، والحق أننا نجد بين السطور ما يمكن ان نستشف منه ان ديلور لم يكن يريد أن يجعل نفسه رهينة الحزب الاشتراكي الذي حاولت بعض قياداته أن يتبنى ديلور برنامج الحزب بكامله أو مع مواءمة بين برنامجه وبرنامج الحزب.

من وجهة نظرنا أن جاك ديلور ذلك الرجل الذي يعشق أن يكون حرا ، ولم يستسغ هذه الصيغة التلفيقية التي فرضت عليه ، والمعروف أنه قد أخفى قراره حتى اللحظات الأخيرة من البرنامج التليفزيوني الذي أعلن فيه هذا القرار قبل انتهائه بربع ساعة ، ولم يعرف احد بقراره سواء من أصدقائه أو من معارنيه والعاملين معه إذ فاجأهم جميعا ،ولعل الحزب الاشتراكي هو الذي سيدفع ثمن هذا القرار كاملا. فهو الذي لا يملك أي مرشح غير ديلور في مقابل اليمين الذي لا يقل عدد مرشحيه المستعدين إلى عشرة مرشحين يتنافسون علنيا فيما بينهم ، والحق ان ديلور كان الشخصية الوحيدة التي لم يختلف عليها احد في صفوف الحزب، بل وهي الشخصية التي أستطاع من خلالها أيمانيولي ان يوحد صفوف الحزب مرة أخرى بعد صراعات عنيفة بين التيارات المختلفة خاصة عقب الهزة التي أصابت الحزب صبيحة اخفاقه الشديد في الانتخابات الاوروبية والتي حقق فيها أسوأ نتيجة يحتلها الحزب الاشتراكي الفرنسي منذ عشرين عاما (١٤٪). شخصية ديلور كانت اذن بعيدة عن الصراعات الداخلية بأعتبار وجوده على رأس المجموعة الأوروبية مما جعل مسألة قبول ترشيحه هي في نفس الوقت رفض لأن يكون احد التيارات المختلفة هو الرابح الوحيد . فديلور كان عنصر توازن داخل الحزب الاشتراكي وذلك لعدم انفرازه بالمشاكل الداخلية للحزب، وهذا ما يفسر عدم الانشغال من مسألة أن ديلور لا تتطابق أفكاره كلية مع الحزب.

ويقول هنري ايمانيولي سكرتير عام الحزب والذي طالب في مؤتمر الحزب الأخير جاك ديلور بألا يتخلى عن واجبه في أن يكون مرشح الحزب ، يقول بأنه مُحبط ، ويأسف لذلك، ويضيف أن الحزب الاشتراكي موجود وسيظل ، وأن الأمل يظل كاملا ، وأنه سيعمل ما في وسعه اذ ان الاشتراكية لم تمت وستعيش، وقال «أن الحزب سيصل الي اتفاق في نهاية يناير القادم ، وسيكون للحزب مرشح ليس مفروضا عن طريق قياس الرأى ولكن سيختاره أعضاء الحزب ، وأتعشم أن يتحدث بوضوح، وأوجه نداء الى كل النساء والرجال في اليسار أن يكونوا مرفوعي الرأس ، إذ ليس هناك منقذ عظيم.

كما اعلن جاك لانج وزير الثقافة السابق وأحد أعمدة اليسار ومن المؤيدين لفرانسوا ميتران «أشعر بضيق شديد اذ لم أكن أتوقع ، أحترم قراره، ولكن اقول الحقيقة فأنى لم أفهم كلية أسبابه وأضاف اذا ما انتخب جاك ديلور فهو قادر على خلق اغلبية للعمل وللأفكار آتية من عمق المجتمع» ، وطالب بمحاولة إقناع ديلور ، وأعلن أنه لا يفكر في ترشيح نفسه.

رفض بيير موروا رئيس الوزراء الاسبق وزعيم الاشتراكية الدولية عن الاعلان عما اذا كان قرار ديلور الذي أسف له سيجعله يتقدم للترشيح ، ولانه ، قائلا بأن ذلك ليس موضوع اليوم طالبا بحشد وتعبئة اليسار.

وأعلن رئيس الحزب الراديكالي والمتحالف مع الحزب الاشتراكي جان فرانسوا أوري بأنه يحترم دوافع جاك ديلور والذي لم يفاجئ بقراره- كما قال - وأعلن عن أن حزبه

بلادير.. وجاك شيراك.. معا

سيتقدم بمرشح، وقال من جانبه يود ان يكون مرشح حزبه هو برناردتالي ومن جانبه أعلن تابي عن حزبه ، وقال «ان الافكار التي يدافع عنها ديلور هي أفكار غالبية الفرنسيين ، وعليه ينبغي تأمين متابعة هذه المعركة»، وأضاف أنه ينبغي رفع التحدي الذي بدأ جاك ديلور الاجابة علي اسئلة حتى وان كان صعبا».

كما رأى روبير إي سكرتير عام الحزب الشيوعي الفرنسي «أن أهمية اليمين في هذا البلد ليست قدرا ، وأن بديل تقدمي من اليسار يمكن ايجاده ، وهذا هو معنى تقدمي للترشيح ، ولأفعالي في الفترة المقبلة».

اذ بانسحاب جاك ديلور الذي ملك الشجاعة ليقول لا للسلطة يصبح الوضع صعبا في اليسار ، بل ويبدأ الحزب الاشتراكي مرة أخرى من نقطة الصفر بعد ان كان الحزب على بعد خطوات قليلة ومؤكدة من عتبة الاليزيه للمرة الثالثة منذ عام ١٩٨١ ، بهذا القرار على اليسار ان ينتظر مرة أخرى وربما طويلا هذه المرة في صفوف المعارضة ، وعلى من حلموا بإعادة رسم الخريطة السياسية للأحزاب الفرنسية نتيجة وصول ديلور الى الحكم -وهذا حقيقي حينما ستتجه فصائل الوسط الى جانب ديلور- عليهم أن يبتلعوا احلامهم ، ويهدوا أنفسهم لسبعة أعوام هذه المرة سيكون فيها رئيس الدولة والحكومة على اليمين ، وهكذا ساد الارتباك كل مكان في الحزب الاشتراكي. لعل الصوت الوحيد الهادئ والذي دعا الى أخذ الوقت للتأمل هو صوت سيجولين رويال وزير البيئة في الحكومة الاشتراكية السابقة اذا أعلنت انه على الحزب الا يجعل الترشيح لرئاسة الجمهورية معركة شخصية.

لكن من هي الشخصيات التي يمكن ان ترشح من قبل الاشتراكية ؟

في استطلاعات الرأي الاخيرة هناك اسم جاك لانج الذي اعطته الاستطلاعات نسبة ٤٢٪ من الفرنسيين يودون ان يروه في دور هام في الدولة في الشهور والسنوات القادمة بينما كانت النسبة التي حصل عليها ديلور في نفس الاستطلاع ٦٢٪ . والحق ان نسبة الـ ٤٢٪ هي نسبة أقل من أقطاب اليمين اذ يسبقه في الاستطلاع **إدوار بالادير** ، **وشارل باسكوا**، وأيضا **شيمون فيل**. وهو في نفس الوقت يتساوى مع **فيليب سيجان**، ويتفوق على **جاك شيراك وريمون بار** الذي حصل كل منهما على نسبة ٣٥٪، ويتفوق أيضا على **جيسكار ديستان** ٢٣٪ ويتفوق في نفس الوقت على فيليب ديفيليه مؤسس حركة اليمين الجديد ٢٢٪

وهناك نقاط قوة لدى **جاك لانج** فقد كان أهم وزير ثقافة في الفترة الماضية، وبجهوده حدث دفع للحركة الثقافية والفنية داخل فرنسا ، كما انه محبوب ضمن قطاعات الشباب وعمل وزيراً للتعليم أيضا ولديه خبرة في التعامل مع مشاكل الشباب، ويعد واحد من الاعمدة التي تساعد على تشجيع الابداع الشبابي اذ كان وراء إنتشار موسيقى وأغاني الراب بفرنسا ، **وجاك لانج** استاذ جامعي فهو استاذ القوانين المقارنة، وهذه الصفة الأخيرة تعطيه أهمية عن غيره من المرشحين خاصة فيما يتعلق بتطوير القوانين ومؤسسات الدولة.

وهناك اسم آخر هو **مارتين اوبري** إبنة جاك ديلور ووزيرة العمل السابقة في الحكومة الاشتراكية الاخيرة ، وهي تأتي في استطلاعات الرأي بعد جاك **لانج** للترشيح الا انها تفضل الانتظار ، ولا تسعى مثل ابيها الي بريق السلطة ، كما انه في حالة تقدمها للترشيح يمكن ان تتحمل نتائج القرار الذي اتخذه ديلور.

والاسم الثالث هو **ليونيل جوسبان** ، والذي خلق مسافة بينه وبين الحزب في الفترة الأخيرة مما جعله منعزلا ، وهذا لا يمنع ايضا ان يختبر حظه لعل وعسى خاصة وانه يود اعادة بناء نوع من اليسار على أسس معنوية

والاسم الرابع هو **لوران فابيوس** سكرتير عام الحزب الاسبق ورئيس الوزراء الاسبق الا انه لا يستطيع ان يخوض حملة انتخابية في هذه الأيام نظرا لأن قضية الدم الملوث المنظورة الآن أمام القضاء، لم تنته بعد ، وهو مسئول عن أحداثها بحكم انها تمت أثناء رئاسته للوزراء.

كما يتردد أيضا اسم **ميشيل روكار** السكرتير العام السابق للحزب ورئيس الوزراء الأسبق ، وقد أيد منذ أكثر من شهر ترشيح ديلور بعد ان كان قد خرج من السباق على الرئاسة بعد هزيمة الحزب القاسية اثناء توليه سكرتارية الحزب في الانتخابات الاوروبية الماضية ، وما زال روكار بتياره الذي يسانده داخل الحزب، وبإمكان مناصريه ترشيحه مرة أخرى ، لكن السؤال هل سيقبل روكار الذي استقال أخيرا من منصب العمدة في المدينة التي يسكنها معلنا انه لا يتشبث بالمناصب وانه يستطيع تركها كما فعل، هل سيقبل العودة مرة أخرى ليكون مرشح الحزب ؟ لا أعتقد .

هناك أيضا اسم **بيير موروا** ، وقد أبدى من قبل عدم اهتمامه بترشيح نفسه، الا انه في ظل الظروف الحالية ، يصبح هو الشخصية القادرة في الحزب على تجميع التيارات المختلفة حوله، لكن هل سيقبل هو ذلك؟

هناك ايضا اسم **ماري نويل لينمان** الوزيرة السابقة والتي دافعت مع اصدقائها وصديقاتها في اليسار الاشتراكي عن فكرة ترشيح مرشح واحد للحزبين الاشتراكي والشيوعي بالاضافة لأنصار البيئة لكن هل ستتجرأ على الدخول في لعبة الترشيح للرئاسة؟ إحتمال بعيد.

هذه الاسماء جميعها تعيد للحزب الاشتراكي تلك النزاعات القديمة الكامنة ، بل وتحييها من جديد بعد ان طويت صفحتها او تكاد ، لذا يجد ايمانيولي سكرتير عام الحزب نفسه في موقف لا يحسد عليه ، كيف يمكن ان يحافظ على وحدة الحزب، وان يكون للحزب في نفس الوقت مرشحه في الانتخابات



ميشيل روكار

الرئاسية المقبلة؟ سؤال أكثر من صعب، حتى حينما يقترع في نهاية يناير المقبل مرشح الحزب ، هل سيكون هذا الاقتراع كاف بأن يلتزم الجميع به . ثلاثة أشهر وتشرف مرحلة ميتران على الانتهاء، وسط تهديد حقيقي بتمزق الحزب ، الا اذا فكر ايمانيولي بترشيح نفسه للرئاسة ، ومن الممكن ان يحوز على ثقة الحزب الا انه سيكون صعبا جدا ان يصبح الرئيس الاشتراكي لفرنسا بعد ميتران حيث ستصبح المعركة صعبة بينه وبين اليمين الذي من الممكن ان يصل قطباه شيراك وبلادير ليتنافسا معا في الدور الثاني على الرئاسة.

وربما لم يفكر أحد في كل هذه الاسئلة التي طرحت نفسها فجأة عقب قرار أحد الرجال الذي زاد احترامه لدى الجميع ، حتى وإن وقفوا ضد أفكاره ، ولم يشاركوه إياها ، فديلور- حسبما يقول بول جيلبير من الفيجارو - مثقف ملتزم وليس من محترفي السياسة ، حيث ان شجاعته ان يقول «لا» للسلطة هي شئ نادر في عالمنا ، فقد أظهر ديلور أمانة ،وكشف عن أنه لم يكن على الإطلاق وراء الحركة التي أنشأها بعض الكوادر من شباب الحزب الاشتراكي تحت اسم «**حركة الرأي**» والتي كانت تدعو له إن ديلور قد ذكرنا بعظام الرجال من أمثال **ديجول** الذي أحترم ذاته وتخلى عن السلطة عندما قالت له الجماهير في شئ آخر لا يتعلق برئاسته .لا لقد امتنع ديلور عن ايهام الفرنسيين بأنه يمكنه تحقيق وعود بعينها ، وكان قادرا على أن يفعل وكانه لم يفعل. ولم يرد أن يقف ضد قناعاته وضميره ، وهو يعرف ان الاغلبية البرلمانية حتى وان حل الجمعية الوطنية لا يمكن ان تكون لأنصاره ، وبالتالي لا يريد ان يرى نفسه في موقع من يرتكب الغش السياسي اليومي في شتى بلدان العالم الغربي والشرقي ومع ذلك فقد أعطى ديلور أكبر هدية لليمين، وتنفست احزاب اليمين الصعداء ، فالآن وبعد ان طالب الجميع في الأغلبية البرلمانية بضرورة الاتفاق من على مرشح يمينى واحد لتمكين اليمين من مواجهة ديلور، أصبح الآن هذا المطلب في اليمين لا يشكل خطورة عليه ، ومن هنا يمكن **لشيراك وبلادير** أن يتقدما معا للانتخابات القادمة دون خوف علي اعتبار ان احدهما يمكنه ان يكسب الانتخابات الرئاسية القادمة كما تؤكد الشواهد.

هل لنا ان نطمع في أن يأتي ديلور آخر في بلداننا ، أم أن ديلور هو آخر الرجال المحترمين في هذا العالم؟

نص خطاب جاك ديلور

كما يعرف كثيرون، انني لم أنظم حياتي ابدا بطريقة الحصول على منصب حاولت دائما اختيار العمل ومواصلته في المكان الذي شعرت فيه بأني سأكون أكثر نفعا من أجل القيم التي ادافع عنها ، من أجل المجتمع ومن أجل بلدي. وإنه بنفس العقلية اتجهت بتأملاتي في الشهور الأخيرة. قررت الا اكون مرشحا لرئاسة الجمهورية ، لم يكن قرارا سهلا لذا سأحاول شرحه بأسهل ما يمكن ، كلما قلناه بطريقة أكثر وضوحا ، كثير من الاسباب الشخصية دفعتني لأن أقول لا.اذ سوف ابلغ السبعين عاما ، وأعمل دون انقطاع منذ خمسين عاما. وانه لمن دواعي العقل في مثل هذه الظروف الاتيان باسلوب حياة متوازنة بين التأمل والعمل، واذا كان هذا بسبب هذه العوامل الشخصية ، فلقد فكرت طويلا في المستقبل بالتزام جديد لأني أعتقد أن بلدي في حاجة الى إصلاح عميق ، خاصة لتجديد الديمقراطية ، وتشجيع مشاركة المواطنين والنضال ضد البطالة والاستبعاد ، وتوثيق الصلة الاجتماعية ، وتأمين التلاحم في بلدنا ،دون نسيان- ولكن يمكنني ان أنسى -الطابع الحيوي لفرنسا في أن تظل الملهمة لأوروبا سياسية قوية وفي نفس الوقت كريمة أنني متأكد ان الفرنسيين يودون اعادة بناء مجتمع مؤسس على التضامن مع الجميع ، وأيضا على مسئولية الجميع ، ان السؤال الذي يلح على كان منذ الآن أن أعرف في فرضية اذا ما كنت سأنتخب رئيسا للجمهورية ، ستكون لدى الإمكانية والوسائل السياسية لإنجاح هذه الإصلاحات التي لا غنى عنها .

بعد ان فكرت طويلا واستشرت ، وصلت الى قناعة وهي أن غياب اغلبية لمساندة سياسة مثل تلك ، مهما كانت المعايير التي اتخذت بعد الانتخابات، لن تسمح لي أن أضع حلولي محل التطبيق ، أقول لكم صراحة لا أود بعد انتخابي أن أكون مجبرا على التعايش مع حكومة لا تشاركني توجهاتي ، إذ سيكون لدى الشعور حينئذ بأني كذبت على الفرنسيين مقترحا عليهم مشروعا من أجل فرنسا لا يمكن أن يوضع موضع التغيير مع مشاركتهم النشطة ، إنه هنا واجبي والذي يلتقي بضرورة خلق كثير من التناسق المنطقي ، وكثير من الشفافية في الحياة الديمقراطية ، وعدم اعطاء أو هام للفرنسيين ، بالفعل إحباطات الغير ديمقراطية ، ستكون أسوأ من تأسفات اليوم.

بدون شك سوف ينتقدني البعض من أجل موقف ليس معتادا في الحياة السياسية . لكن أتجشم أن يفهم الفرنسيون الذين يعرفون قناعاتي وهؤلاء الذين اظهروا إلى تشجيعهم في الفترة الأخيرة الأسباب وعلى الأخص التحليلات التي في نهاية الأمر جعلتني أن «أتخذ هذا القرار».

خرز لأهالي المستعمرات

نشرت الأسبوعية السياسية الألمانية «در شبيجل» في عددها الصادر في ١٢ ديسمبر مقالا خطيراً يكشف عن مدى تغلغل احتكارات الاعلام الالمانية في شرق اوروبا .

وتحت عنوان «خرز للمستعمرات» كتبت در شبيجل في شرق اوروبا: يسيطر الناشرون السويسريون الالمان على سوق الاعلام والنقاد يشكون من السيل القادم من الغرب».

وقد تطورت ازمة المؤسسات الاعلامية في بلاد أوروبا الشرقية مع نشوء وتعمق ازمة النظام السياسي فقد انهار النظام الاعلامي في النهاية مع سقوط النظام الاجتماعي . وقد لعب التنظيم السياسي والاقتصادي للصحافة دوراً هاما في التدهور الذي حدث والذي انتهى بالانهيار الكامل . وكان التحول السياسي بمثابة اختفاء الارض التي اقيمت عليها المؤسسات الاعلامية ، فبين يوم وليلة زال التنظيم القائم لملكية الصحف التي كانت في حوزة الاحزاب والمنظمات النقابية والاجتماعية الاخرى ، وسقط الدعم الحكومي للاسعار (التي كانت احيانا تقل عن عشر التكلفة الفعلية) ، ومع صدور صحف جديدة ، وفتح الابواب للصحف الاجنبية (الناطقة باللغة المحلية) هبت رياح المنافسة القوية على صحف لم تملك القدرة الموضوعية والذاتية على المقاومة ومعظم الصحف التي كانت تعبر عن الاحزاب والقوى السياسية الحاكمة كانت قد انخفضت مصداقيتها وانحسر جمهور قرائها ، بحيث لم ينفعها كثيرا اجراء تغييرات سياسية وشخصية في هيئات تحريرها . وانخفضت الطبعات الى النصف ثم الربع . والصحف التي حافظت على العشر استطاعت البقاء على قيد الحياة نويس دويتشلاند في شرق المانيا.

نبيل يعقوب

رسالة المانيا

مالك واحد /لديلي ميرو/ ومعاريف وأكبر صحف المجر.

وكانت قيادة المجر سباقة كعادتها فعرضت كبرى الصحف اليومية نيبسابادشاج(حرية الشعب!) في السوق للمشترين الاجانب قبل ان يذهب النظام السياسي وحزبه الحاكم! والصحيفة الآن في قبضة واحد من أكبر الاحتكارات الاعلامية في العالم (بيرتلزمان الالماني) بالاشتراك مع جرونر ويار (المانيا).

ومما يذكر ان روبرت ماكسويل Robert Maxwell ؛ عاش كواحد من أكثر شخصيات العصر غموضا ، ومات أيضا ميتة غامضة . وهو اليهودي التشيكي الاصل، بريطاني الجنسية ، ضابط المخابرات البريطاني الذي اصبح من أهم رجال الموساد الإسرائيلي ، وامبراطور الصحافة في بريطانيا (مالك مجموعة صحف بريطانية منها الديلي ميرور، وكان صاحب معاريف الاسرائيلية) ، واصبح في عهد جورباتشوف أحد ثقاة القيادة السوفيتية ، ماكسويل كان من اوائل المبادرين بشراء اسهم عدد من الصحف في المجر وبلغاريا عام ١٩٨٩.

> "حرية الصحافة في بلاد وسط اوروبا تعتمد على الدويتشه مارك".

الالمان يزيحون/ المنافسين الفرنسيين)

مقال شبيجل المشار اليه يفضح بالتفصيل استيلاء الاحتكارات الاعلامية الالمانية على المواقع التي كان قد سبق اليها ملك الصحافة الفرنسية روبرت هيرسان Robert Hersant الذي يسمونه لوبابيفور « أو ملتهم الورق واضطر صاحب لوفيجارو وفرانس سوار الغارق في الديون ان يتخلى للناشرين الالمان عن اقطاعياته الاعلامية الجديدة التي كان قد اشتراها في بلاد الشرق. وكان هيرسان قد عجز عن تسديد ٣٠٠ مليون مارك للبنوك يحل موعد سدادها في نهاية العام، وفي البداية اشترت منه صحيفة المانية اسمها باساور نويه بريسه Passauer Neue Presse ٨ صحف بولندية مقابل ١٠٠ مليون مارك، منها صحف يومية تصدر في عدد من المدن الواقعة في اقاليم كانت تابعة لالمانيا الثانية جزءا من اراضي بولندا مثل دانتسيج.

جاهزون دائما

وأكبر الانتصارات التي حققها الزحف الالماني حتى الآن يمكن مشاهدتها على الطبيعة في تشيكيا والمجر وبولندا وقبل أربعة أسابيع فقط ضربت دار صحيفة راينشه بوست من دسلدورف (وتبلغ مبيعاتها نصف مليار مارك) ضربتها كما

تكتب **درشبيجل** ، تاشترت ٧٤٪ من الشركة التشيكية ، ومن ضمنها «ملادا فرونتا دنيس أكبر صحف تشيكيا رتبيع ٤٠٠,٠٠٠ نسخة.

وتكتب **شبيجل** كلما عرضت احدى صحف الشرق للبيع تجد احتكارات الاعلام الالمانية حاضرة وبسرعة الريح تجدها قدمت عرضها مكان الاحتكارات الشيوعية السابقة . ويستثمر المديرون الغربيون المليارات لتجهيز المطابع ودور النشر . وتعبر المجلة الاسبوعية عن قمة المأساة- المهزلة- عندما تكتب: «ان حرية الصحافة في الديمقراطيات الجديدة ترتكز الى الدويتشه مارك او الفرنك السويسري».

وقد وصل الاحتكار الاجنبي لسوق الصحافة في بولندا وتشيكيا والمجر حدا غير متصور اذ يبيع ناشرو الصحف الالمان للجمهور في بولندا ٢٠ مليون نسخة من مجموع ما يطبع وقدره ٥٠ مليون نسخة . وفي تشيكيا يملك الأجانب أكثر من نصف الجرائد ، وفي المجر يسيطرون في مجال الإعلام على ٨٠٪ من الرأسمال.

وكل ما يشكو منه الناس في المانيا انتقلت عدواه بسرعة الى بلاد الشرق. وتكتب **شبيجل** عن الربح الذي تحققه الشركات الالمانية من القذارة. والمقصود هنا طوفان الاعلانات التي تغرق صناديق بريد المواطنين بمئات الالاف من اطنان الورق في المانيا .وحسب تقديرات احد معاهد الابحاث يبلغ **ما ستنفقه الصناعة في بلاد شرق اوروبا على الاعلان ١٨ مليار مارك سنويا.** هذا المبلغ يسيل لعاب اصحاب الاعمال الالمان الذين يملكون التكنولوجيا والخبرة ورأس المال . ويعبر عنهم احدهم قائلا: والآن بعد اختفاء الستار الحديدي ظهرت خلف ظهرنا قارة جديدة على السطح .وكل سوق الاعلان في الشرق لا زال يحبو مثل الاطفال ، ثم يتحدث **هيرترايتر** لا عن تحقيق نمو او توسع لاعماله وانما عن تطور «انفجاري» في الصراع على مناجم الذهب يتنافس الالمان والسويسريون والبريطانيون والفرنسيون والامريكان .. وقد حقق السويسريون والالمان حتى الآن نجاحات ملحوظة أما «أسمن القطع» في السوق فقد استولى عليها الناشر السويسري **ميشائيل رينجير (مجلات** Blick Cash، ويورجين ماركسارد Popcom Maedchen,) ، ودار نشر **هاينريش باور في هامبورج** (Tina) . وهي من مجلات التسلية والفضائح واخبار النجوم . ومن الطريف والمعبر عن اتجاه «التطور الثقافي» ان مجلة «بلاي بوي» كانت كلما بدأ يترنح أو يسقط نظام اشتراكي تحتل «بتحرر شعبه بتخصيص موضوع الغلاف لواحدة من فتياته!

صحيفة المانية تشتري ٤٤ صحيفة تشيكية وبولندية

وتكتفي در شبيجل بان تضع علامة استفهام على ظاهرة ملفتة في السباق على الاسواق الجديدة. وهي الدور البارز الذي يلعبه عنصر غريب تماما عن هذا الجو: الصحيفة الاقليمية «**باساور نويه بريسه**» Pas-sauer Neue Presse ، وتصدر هذه الصحيفة المغمورة عن دارنشر عائلية اسسها عام ١٩٤٨ صديق لحزب **الاتحاد الاجتماعي المسيحي** CU S **هانز كامفينجر** (متوفي) ، ما لم تكتبه شبيجل وهو معروف جيدا في المانيا ، ان هذا الحزب هو الحزب الشقيق لحزب المستشار كول(الاتحاد الديمقراطي المسيحي) وشريكه في الحكم ، ويوجد فقط في مقاطعة بافاريا ، ويحكمها منذ ٤٠ سنة .هذا الحزب معروف بانه من اشد الاحزاب المحافظة يمينية ، وله اهتمام خاص بالاوضاع في تشيكيا (التي بينها وبافاريا حدود مشتركة) وسلوفاكيا وبولندا، وقد دعم في الماضي صراحة ، وهو يدعم الآن بشكل غير مباشر ، الاتحادات والجمعيات السياسية التي تطالب باستعادة منطقة «سوديتيلاند» من تشيكيا ومناطق شليزيا وغيرها من بولندا ، وقد لعب حزب الاتحاد الاجتماعي المسيحي C U S دوراً هاما في تشجيع وتمويل انقسام دولة تشيكوسلوفاكيا السابقة كما كتبت بعض الصحف الالمانية في حينه ، بفضل التوسع نحو الشرق زادت الصحيفة المذكورة مبيعاتها من ٨٨ مليون مارك عام ١٩٨٨ الى ٧٥٠ مليون حاليا.

واصبحت صحيفة باساور الجديدة فجأة عملاقا اعلاميا بامتلاكها ٤٤ صحيفة في تشيكيا وبولندا ، وتسجل در شبيجل تشككها قائلة: مكان مؤسسة محلية صغيرة تآكلت طوابير كاملة من مديريها ، نشأ من خلال عملية الشرق احتكار عريض البنية ، ويزعم الملاك انهم قد مرلوا بانفسهم استثمارات تبلغ على أقل تقدير ٣٠٠ مليون مارك ، من الارباح ، ومن الدعم الذي تحصل عليه المشاريع المقامة في مناطق الحدود ، ومن قروض صندوق ادخار مدينة باساور.

المنة الاعلام في شرق اوروبا

اكسيل ديكمان ، وهو الشريك المسيطر في الجريدة ، قريب **كامفينجر** مؤسس الصحيفة والاسم «المفتاح» الذي يشير الى الصلة بأحد أحزاب المانيا الحاكمة ، عثر على شريكه المناسب في شخص المدير **لرانتيس كسافير**، ٣٨ سنة، والذي تصفه المجلة كما يلي : « مربى الأبقار البافاري وصاحب مصنع الاخشاب والصحفي يطير الآن بلا توقف عبر البلاد ويستثمر بنفسه عدة ملايين من الماركات في الدار الصحفية ، وانجازه الفذ تمثل في الاستيلاء الكامل على الصحافة الاقليمية في بوهيميا (احد أكبر واغنى اقاليم تشيكيا) رغم المقاومة التي بذلتها لمدى من الزمن المصلحة التشيكية لمكافحة الكارتيلات ، وهو يقوم حاليا باستكشاف الاتحاد السوفيتي السابق من خلال بولندا بوصفه «مركزاً للتوزيع».

ويتحدث مقال شبيجل عن خوف الاوروبين الشرقيين من ان تتحقق الألمنة بعد ٥٥ سنة من بداية الحرب العالمية الثانية وذلك «بالقوة الناعمة».

أكبر صحف المانيا

تلفت النظر في كل مدن المانيا وبكثافة خاصة في مدن الشرق ملصقات ضخمة «أكبر صحف المانيا- **بيلد تسايتونج**». والذي يكلف نفسه عناء قراءة هذه الجريدة يشعر بواجب تقديم العزاء للشعب الالماني ، اذ يصعب تصور تفاهة وسطحية وديماجوجية هذا الشئ المسمى جريدة، ولكنها تصدر عن واحد من أكبر الاحتكارات الاعلامية وأكثرها تأثيرا على الرأي العام وهي دار آكسيل زيزار شبرانجر Axel Cesar Springer التي كانت اول من بادر بالزحف على ميدان الاعلام في الشرق عام ١٩٩٠ ، واستولت شركة بيلد Bild على ٧ صحف من ١٩ صحيفة اقليمية في المجر ، وجلبت العملية المثيرة احتجاجات شديدة ضد بيع البلد . وسن البرلمان في براديست قانوناً ضد الاحتكار ، يمنع ان يشتري المستثمر اجنبي أكثر من صحيفتين.

ويعترف أحد اقطاعيي الصحافة في الشرق للمجلة بأن «المشاركة الالمانية في الصحافة تثير حساسيات ، وتكشف شبيجل ان جماعة باساور المذكورة عملت في عام ١٩٩١ على تغطية غزوها لمجال الصحافة البولندية في البداية بالاختباء **«خلف قناع»** ، وكانت مشاركتها في الصحيفة العمالية في **بروسلاو** * وفي احدى صحف مدينة **كراكاو** من خلال شركة سويسرية Inter-publication AG.

عنوان مقال شبيجل والذي استعرناه هنا جاء على لسان آدم هالير نائب تحالف اليسار الديمقراطي (الذي خلف الحزب الشيوعي) والذي شن هجوما عنيفا على الناشرين الالمان ، يقول هالير ان المستثمرين ينظرون إلى بلده كمستعمرة ، يمكنهم ان يبيعوا فيها خرزا للأهالي.

وتعاني بولندا مثلها مثل كل بلدان اوروبا الشرقية التي ترقمت خبرا من «الحرية» ، تعاني من سيل المجلات المصورة القادمة من الغرب ، وعندما يقول نائب بولندي «ان شبابنا يدفع نحو الهاوية» فهو يقصد بكل تأكيد الاعلام الهابط الذي يروج للعنف وللفساد الخلقي والذي يغرق اكشاك الصحف والمكتبات.

وقد اتبعت الاحتكارات الاعلامية الالمانية الضخمة في الخارج نفس الاسلوب الذي جربته في القضاء على الصحافة الجادة في شرق المانيا .. بالمجلات المصورة ذات الورق المصقول والثمن المعقول ، وبعشرات المجلات المتخصصة في الاثارة الجنسية ، جرى احتلال المساحة الاكبر في سوق الاعلام ، وتبيع الطبعة البولندية من مجلة «تينا» التي تصدرها دار باور (الالمانية) ٢ر١ مليون نسخة ومجلة «كلاوديا» التي تصدرها دار جرونر اونديار (الالمانية) تبيع نحو ٧٥٠٫٠٠٠ نسخة، ومن المفهوم هنا ان الصحفيين المحليين يتحولون الى مترجمين ، فطالما كان الامر مجرد تسلية لا تكون هناك حاجة لصحفيين يبحثون عن هموم الناس واسبابها ... ولن تكفي كل مرتبات القساوسة الكاثوليك الغاضبين في بولندا لجمع وافناء المجلات الهابطة ، وكان قس غاضب في مدينة بولندية قد اشترى كل النسخ المعروضة من مجلة باور تفوى ريك اينذ لانثانها كلها كما قال.

التلفزيون الخاص فقط هو الذي لم ينجح الالمان حتى الآن في شرائه وتذكر شبيجل ان عملاق الاعلام بيرتلزمان فشل في بولندا بعرض تقدم به لمحطة الارسال الوحيدة في البلد.

وفي بوهيميا لا زال البافاري ليو كيرش ، «ملك التليفزيون» الذي يتعرض لنقد عنيف لسيطرته على قطاعات واسعة من الاعلام في المانيا ، لا زال يتفاوض من اجل المشاركة ببرنامج بريميرا . ولكن هناك من يخطط لان يقفز فوق كل الحدود ليصل الي ٤٠٠ مليون اوروبي بواسطة الاقمار الصناعية ، هذا المشروع الكبير يخطط لتنفيذه «عمدة الراديو الخاص» يوزيف فون فيرنتش» ويريد ان يبدأ الارسال من قناته متعددة اللغات «الفاتي» في عام ١٩٩٧ .

بعد المرسوم الاخير للرئيس الروسي **يلتسين** والذي يقرر فيه خصخصة جزء من اكبر مراكز التلفزيون الروسية **«اوستانكينو»** تتوقع صحيفة نويس دويتشلاند (١٢/٦) ان تتسارع التغيرات في مجال الاعلام في روسيا ، وتكتب ان امبراطوريات الاعلام مثل (CNN) NBC,BBC,Ted Tumer ستقفز لتسد الثغرة وتشتري عددا من محطات الارسال.

ما لم تكتبه دير شبيجل

والهجوم الاعلامي الالماني علي الجبهة الشرقية سبق الهجوم الاقتصادي ومهد له، وخلق مستعمرات اعلامية في عالم اليوم، الذي يجري تقسيمه واقتسامه دون الحاجة لحروب عالمية ، هو شرط لامتلاك المستعمرات الاقتصادية.

ومن عايش عملية التحول الهائلة التي جرت في وسط وشرق اوروبا يعرف مدى التأثير الهائل لوسائل الاعلام الاجنبية تحديدا علي عمليات تشكيل الرأى والارادة السياسية لشعوب البلدان المعنية ، ناهيك عن التأثير الطاغي على اتجاهات الناخبين.

وان كان **انهيار اشتراكيات الدولة قد جرى اساسا بفعل التناقضات العميقة الكامنة في صلب هذه الانظمة ، بفعل التأخر الاقتصادي وغياب حرية التعبير والمشاركة الشعبية ، وبسبب افتقاد النظام السياسي للقدرة على فهم الوضع واجراء التطوير اللازم**، الا ان من السذاجة نفي الدور الذي لعبته القوى الخارجية علي كافة الاصعدة في اتجاه تعميق الازمة، وسلب هذه الانظمة عنصرا حاسما بدونه يستحيل ايجاد مخرج منها، وهذا العنصر هو الوقت. وكان هنا تحديدا دور الاعلام . لان الصواريخ وقاذفات القنابل الاعلامية كانت تنسف بغاراتها التليفزيونية التي لا تتوقف كل فكرة أو مشروع إصلاحي قبل ان تصل الفكرة إلي الجماهير. وكانت هي التي تحدد جدول أعمال اليوم سواء للمتظاهرين وللسياسيين . ولكن خصوصا بعد انتصار الرأسمالية بدأت أكبر عملية غسيل مخ في تاريخ هذه الشعوب.

المقرر الجديد

وقد بدأ العمل المنهجي الذي يتردد المركز المهيمن لخلق الانسان الجديد بالتهليل لقيم الفردية ، وبنسف قيم التضامن بين الناس ، والذي يوصف بهزء بانه خيال طوباوي ، لا يزيد عن ان يكون قشة يتوهم الضعفاء انها قد تنقذهم ،ومن الملاحظ **ان الكنائس في شرق المانيا خصوصا تعبر عن قلقها الشديد من الجو الاجتماعي البارد بسبب ضياع روح التضامن بين الناس ، كما تسجل النقابات بانزعاج هبوط اعداد الاعضاء بشكل يهدد بقاء بعضها** . وتسهم نظريات ومقالات وافلام لا حصر لها في ازالة الشعور بالانتماء المشترك ، وتضع الدعايات الانتماء للاقليم في مواجهة الانتماء للشعب، ويروج لفكرة ان الرابطة الحقيقية بين الناس هي الاقليم الذي ينتمون اليه ، وسرعان ما ظهرت اسماء واعلام الاقاليم واناشيدها ، وبهتت في ذاكرة الناس تلك الرابطة التاريخية التي خلقوا في اطارها لغاتهم وثقافاتهم الوطنية وادلو من خلالها باسهاماتهم في عمارة التقدم الانساني ودافعوا بانتمائهم لها عن ارضهم وعن حريتهم وكرامتهم ضد الغزاة والطغاة وضد النازية والفاشية . **الدعاية ضد الامة ووصفها بالموضة القديمة في المحيط تجرى في نفس الوقت الذي تنمو فيه الاتجاهات القومية المحافظة في بلدان المراكز المهيمنة.**

وليس المقصود هنا نشاط مجموعات النازيين الجدد والقوميين التقليديين بل المقصود هو ما يشاهد من انتقال عام لكل المجتمع نحو اليمين.

وقد وجدت القيم الجديدة انتشارا سريعا ومدمرا وسط الناس ، النقود هي كل شئ هي مانحة الحرية والسعادة ، الذي عنده نقود انسان ناجح ، من ليس عنده فاشل ، هذا كان ولا زال منطوق معظم الاعلام الجديد ، والرأسماليون الالمان الذين يستهدفون ارباح مالية وسياسية لن يصدروا ولن يترجموا صحفا من المستوى الرفيع مثل **دي تسايت أو فرانكفورتر روندشاو** ناهيك عن صحف توجه نقدا اساسيا لنظام اقتصاديات السوق، او تتعامل بجدية مع التاريخ الالماني.

واحد اهم وظائف المنظومة الاعلامية هي إعادة كتابة التاريخ ، وتصحيح ما في رؤوس الناس مما تبقى من دعايات شيوعية ، وسيل افلام الفيديو والتليفزيون والكتب التصحيحية لا نهاية له.

ولنأخذ مثلا موضوع العرب واسرائيل

لا فرق عند صحف دور شبرينجر بين حركات التحرير والحركات الارهابية. الدرس الجديد

المقرر على شعوب الشرق والذى يحمله الاعلام الجديد هو ان كل ما كانوا يعرفونه مشوه لانه ناتج عن نظرة وحيـــدة الجـانب (**ظلمنا إسرائيل وايدنا العرب الارهابيين!)** والعدالة هى العكس : تشويه صورة العرب، وتجميل صورة اسرائيل : الفلسطينيون ارهابيون يريدون محو اسرائيل عداء قديم قدم التاريخ .. **فقط بعد اوسلو اصبح عرفات (وليس الفلسطينيين عموما) محبا للسلام ولكنه ضعيف واصله ارهابى.**

درس ثان من المقرر الجديد هو التسوية بين النازية والشيوعية ، لانهما مثل بعضهما البعض : كلاهما مسئولان عن الحرب الثانية، كلاهما نظامان شموليان اما الرأسمالية فهى الديمقراطية ، وهى حقوق الانسان .. انها النظام الوحيد الممكن اقتصاديا ، أى انها عمليا نهاية التاريخ.

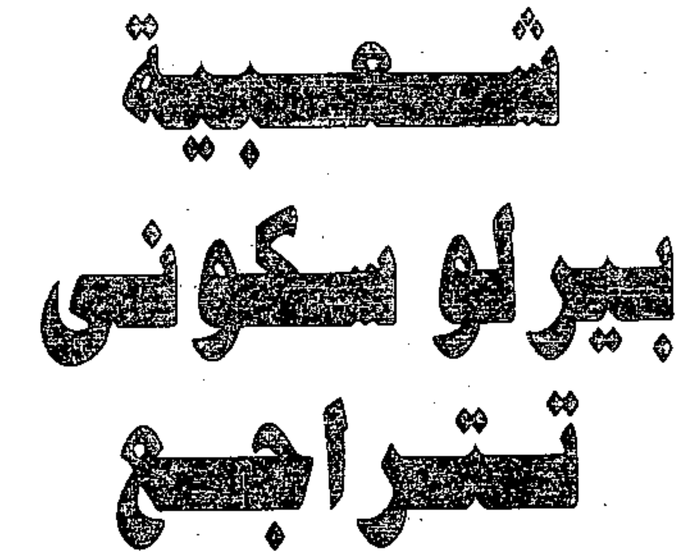
قادة اوروبا الشرقية سواء كانوا من «ابطال المعارضة» او من البيروقراطية الاشتراكية» الابقة التى اثبتت انها اشطر من غيرها من المحدثين فى تنفيذ عمليات الخصخصة ، وقطاعات واسعة من الشعب، **كلهم انتظروا ان تتدفق المليارات الغربية بعد اعلانهم التوبة عن الاشتراكية ، ورغم تسابق الساسة فى تنفيذ الشروط المطلوبة لتهيئة المجال للاستثمار وطمأنة الرأسمال الذى من صفاته سرعة الخوف كالغزال ، ورغم كل هذا ومرور خمس سنوات كاملة بدلا من وصول استلموا حبات الخرز الملونة ..** مجرد حبات خرز ملونة كما تكتب المجلة الالمانية التى تعلن عن نفسها بشعار قراء شبيجل يعرفون اكثر.

---

* اسمها فروتسلاف وقد درجت الصحف الالمانية على اطلاق اسماء المانية على المدن البولندية (ن . ى.)

الغزو المخطط عمالقة الاعلام الالمانى فى شرق اوروبا
عن در شبيجل عدد ١٢/١٢/١٩٩٤

باور BAUER	يورج ماركفارد JUERG MARQUARD
٦ مجلات فى بولندا	٤ مجلات و٧ صحف يومية واسبوعية فى بولندا
مجلتان فى المجر	١ صحيفة يومية و...
٣ مجلات فى تشيكيا	٤ مجلات فى المجر
١ مجلة فى روسيا	مطابع فى بولندا والمجر
بيرتيلزمان وجرونر ويار BERTELSMANN GRUNER+JAHR	باساور نويه بريسه PASSAUER NEUE RESSE
نوادى للكتاب في تشيكيا والمجر وبولندا	٣٤ صحيفة
٣ صحف يومية في المجر	٢ مجلات مصورة
١ صحيفة يومية فى سلوفاكيا	ومجلة نسائية واخرى تليفزيونية (مع بيرتلزمان) فى تشيكيا
١ صحيفة فى رومانيا ٣ مجلات فى بولندا	١٠ صحف فى بولندا
شبرينجر SPRINGER	رينجر RINGIER
١ مجلة فى كل من بولندا وتشيكيا ورومانيا ٩ صحف يومية اقليمية ٦ مجلات و ... ٢ مطبعة فى المجر	٩ صحف و١٢ مجلة فى تشيكيا ٧ مجلات فى سلوفاكيا ٣ صحف فى رومانيا ٢ صحيفة فى المجر ١ صحيفة فى كل من بولندا وبلغاريا
	* جميع الصحف فى جمهورية تشيكوسلوفاكيا الفيدرالية السابقة بالاشتراك مع لير كيرش.



مجدى نصيف

رسالة آوروبا

لم تكن استقالة النائب العام انطونيو دى بييترو يوم ٦ ديسمبر صدمة، بل ولم تكن حتى مفاجأة ، فهو وزملاؤه من القضاة ، فريق المحققين فى الفساد الذى عرف باسم **«فريق الايدى النظيفة»** ، أعدوا الرأى العام الايطالى لكل التطورات فى حملتهم ضد الفساد ، ولقد كانت هناك تلميحات قبلها بشهر ، عن إجراء تحقيقات مع رئيس الوزراء الاشتراكى السابق بتينو كراكسى ، ورئيس الوزراء الحالى **سيلفيو بيرلوسكونى** ، وقبل استقالة **انطونيو دى بييترو** بأسابيع كان يصرح بأنه يريد العودة الى مزرعة بريف الجنوب الايطالى ليستمتع بالهدوء بقية حياته ، وفى بوادبست العاصمة المجرية حيث كان ينعقد **«مؤتمر الامن والتعاون الاوربى»** صرح رئيس الوزراء الايطالى **سيلفيو بيرلوسكونى** عقب اعلان الاستقالة بأن هذا شأن سياسى ايطالى داخلى » ورفض أن يعلن بغير ذلك لكن زعيم احدى المجموعات البرلمانية (يمن -الوسط) ديبجر ماس ، رفض السبب المعلن عن استقالة القاضى.

فلو كان **انطونيو دى بييترو** يريد الاحتجاج على الضغوط التى تبذل ضده وضد زملائه فى العمل الذين يقومون به، لكان من الممكن ان يطلب نقله الى مكان آخر ، أى نفس الوظيفة فى مدينة اخرى، وقد سبق ان طلب ذلك هو وفريقه فى شهر يونيه الماضى ، عندما حاولت الحكومة تحديد سلطات القضاة عند القبض على المتهمين ، لكنه هذه المرة استقال من سلك القضاء ، وليس من وظيفته المكلف بها فى التحقيق فى قضايا الفساد.

وهذا يعنى أنه يريد ان يفعل شيئا آخر ، وربما كان صحيحاً انه يريد ان يعود الى زراعته. وبذلك يكون فلاح القرن الخامس قبل الميلاد الذى ترك محراثه لينقذ جيشا رومانيا من الفناء ثم عاد بعدها الى ارضه ، لكنه اصبح بطلا ، وها هو القاضى الفلاح يفعل نفس الشئ ، انه البطل الذى بدأ حملته ضد الفساد بميلانو فسقط النظام القديم ، لكن بيرلوسكونى اسرع فالتقط النظام ليبدأ دورة جديدة.. لكن هناك اسباب اخرى وراء الاستقالة.

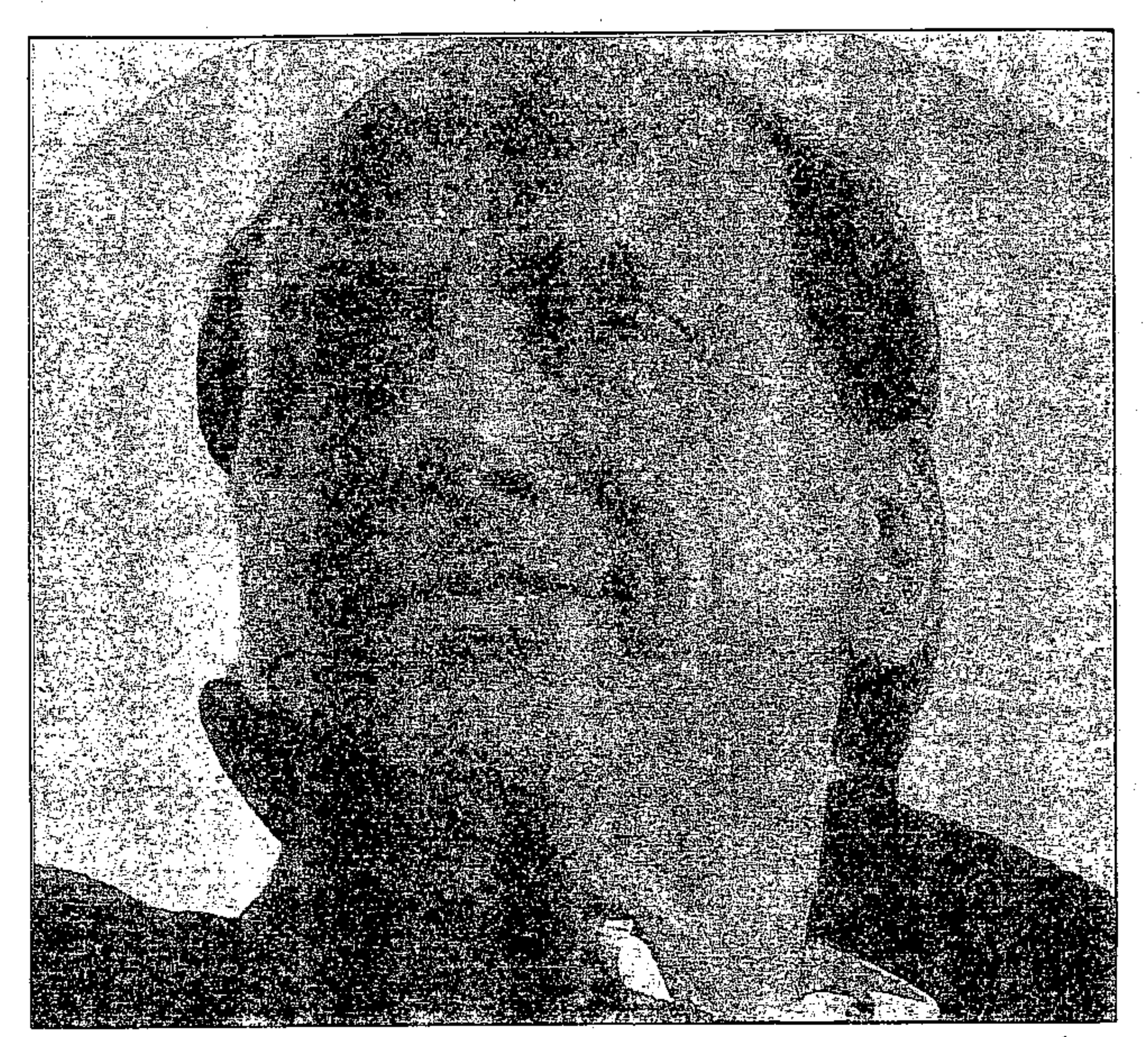
فى نوفمبر عام ١٩٩٣ قال «ان كل ما تحتاجه ايطاليا اليوم هو اصلاح الطبقة الحاكمة» ، وربما اعتقد وهذا ظاهر من تصريحه -ان هذا ممكن وواقعى لكن وبعد اربعة أشهر من هذا التصريح ، انتخب مواطنوه الإيطاليون ، كرئيس للوزراء ، رجلا هو **سيلفيو بيرلوسكونى** ، حصل على الثروة وصعد سلم المجد والشهرة بطريقة جعلته يضرب بجذور عميقة فى **«النظام القديم»** وربما اثبتت الاحداث التالية لانطونيو دى بييترو ان الحياة العامة فى ايطاليا فى خطر الانزلاق الى «مستنقع الرداءة والفساد».

وقد ضايقت حكومة بيرلوسكونى فريق تحقيق **«الأيدى النظيفة»** بشكل كاد ان يكون مستمراً ففى شهر يولية حاولت الحكومة أن تنزع عن النائب العام ما هو ضرورى للتحقيق ، وفى شهر أكتوبر ارسلت حكومة بيرلوسكونى تفتيش للبحث عما يثبت ان النائب العام وفريقه قد اساءوا استخدام سلطاتهم ، وأخيرا أخذت المحكمة العليا من **«فريق الايدى النظيفة»** أهم قضية: «التحقيق فى قضية رشوة ، شارك فيها رئيس الوزراء الايطالى نفسه».

وليس من الصعب علينا ان نتصور ادراك القاضى **انطونيو دى بييترو** ، عند هذه النقطة ، صعوبة ، ان يقوم القضاء بتنظيف ايطاليا، وان مهمته قد استنفذت ، ولا بد من البحث عن طرق أخرى ، لقد كان هذا القاضى عاملا ثم ضابط بوليس ، ونظرته بالتالى اوسع من نظرة زملائه الذين لا يعرفون غير ساحات القضاء ، وفى شهر مايو الماضى اجتذبته فكرة رئيس الوزراء **سيلفيو بيرلوسكونى** ان يكون وزيرا للداخلية ، كانت فرصته لتوضيح وجهات نظره فى عدة قضايا ، لكنه تراجع عن هذه الفكرة التى كان هدف بيرلوسكونى منها «إبعاده» عن القضايا العامة ، وبعد اربعة اشهر كان كتابه فى الاسواق الايطالية يناقش بصراحة مطلقة العديد من القضايا.

وأهم ما فى استقالة القاضى **انطونيو دى بييترو**، انها تقدم للجماهير الايطالية أهم شخصية سياسية ، ففى استفتاء عام اجرته صحيفة **«لا ريبابليكا»** الاسبوع الماضى ، جاء انه لو جرت منافسة مباشرة بين رئيس الوزراء الايطالى **سيلفيو بيرلوسكونى** ، والقاضى **«انطونيو دى بييترو»** سيحصل القاضى على ٧١٪ من الاصوات ويحصل رئيس الوزراء على ٢٩٪ ويظل السؤال الاساسى أمام القاضى هو أى حزب سياسى يختاره ليصبح رئيسا للوزراء ؟ وعلى عكس ما يتصور كثيرون خارج ايطاليا ، فالقاضى ليس يساريا ، بل علينا ان نتصور انه ضابط بوليس سابق ، ووزراء بيرلوسكونى يقولون «انه رجل اليمين».

ولعل افضل من يعرفه حق المعرفة هو زوج اخته جابرييل كيمادورو وهو رئيس فرع حزب مسيحى ديقراطى يمينى **(بيبرجامو)** ، وهذا الحزب الآن هو جزء من التحالف الحاكم الذى يرأسه بيرلوسكونى ، يقول زوج أخته عنه وانه بالتطع لن يصوت لليسار وطبعا لن يصوت لبيرلوسكونى ، أما تصويته لـ



بيرلوسكوني

«رابطة الشمال» فهو خارج دائرة المناقشة، وهذا هو السبب في ان يرى-أى زوج أخته - مبرراً كافيا لان يساند دي بيتترو ، الجناح اليميني للحرب المسيحى الديمقراطى . لكن ربما كان رئيسا غير حزبى لحكومة تتشكل لتحل محل حكومة بيرلوسكوني رجل الاعمال.

لكن مهما كانت الحقيقة ، فربما كانت استقالة دى بيبترو هى أسوأ ما واجهه بيرلوسكوني سياسيا ، فهى تقدم معارضاً له ... من اليمين!

شعبية بيرلوسكوني تتراجع

منذ حوالى ستة أشهر كان كل شئ يبدو ورديا فى عين رئيس الوزراء الايطالى الجديد سيلفيو بيرلوسكونى لدرجة أن حزبه السياسى الجديد الذى خاض به المعركة الانتخابية «فورزا ايطاليا» حصل على ٣٠٪ من أصوات الناخبين فى الانتخابات الاوروبية التى جرت فى شهر يونيه ، بعد ان كان قد حصل فى الانتخابات العامة التى جرت فى شهر مارس على ٢١٪ من أصوات الناخبين ، بعد سقوط النظام القديم ، وهى تلك النسبة التى رفعته الى قمة السلطة وجعلته يرأس الوزارة الايطالية.

ورغم تزايد المشاكل التى يواجهها التحالف ، وخاصة لحل مشاكل الاقتصاد الايطالى ، الا أن تناقص شعبية «رابطة الشمال» «والتحالف الوطنى» الفاشى ، فى استفتاءات الرأى العام ، منحت سيلفيو بيرلوسكونى اليد الطولى فى التحالف ، حتى بعد التهم التى وجهت اليه . دائما ما يهدد بالدعوة لانتخابات عامة جديدة ادراكا منه أن حزبه هو المستفيد الأول منها ، لكن الصورة اختلفت قليلا الآن .

ففى الجولة الأولى للانتخابات المحلية التى جرت فى نهاية شهر نوفمبر فى ايطاليا ، تدهورت نسبة الاصوات التى حصل عليها «فورزا ايطاليا» لتصل الى ١٠٪ من اصوات الناخبين ، **بينما انتعش اليسار مرة أخرى ، وخاصة فى المناطق التى تحالف فيها مع الوسط الكاثوليكى»** أما فى الجولة الثانية التى تمت فى الاسبوع الاول من ديسمبر فقد كانت المواجهات الانتخابية بين مرشحى اليسار أو الوسط،

وبين مرشحي «التحالف الوطني» (الثاني -الجديد) ، ويدور الحديث الآن حول كيفية استمرار الحكومة في السلطة ، أما دوائر اليسار فتناقش استمرار المكاسب التي تحققت ، وإمكانية ايقاع الهزيمة باليمين المتطرف الفاشي ، والمتمثل في «التحالف الوطني»

أخطاء . بيرلوسكوني

والسبب الأول في سقوط شعبية حكومة بيرلوسكوني ، هو «ميزانية ١٩٩٥» فخلال الحملة الانتخابية ، وعد بيرلوسكوني بأن حكومته لن تفرض ضرائب جديدة ، وإذا وضعنا في الاعتبار مستوى الدين العام للحكومة الايطالية ، فقد كان الطريق الوحيد هو اجراء استقطاعات كبيرة في المصروفات ،وبعد اشهر من المداولات والخناقات بين اطراف التحالف الثلاثي الحاكم ، تقدمت الحكومة بخطة لخفض المعاشات تخفيضات كبيرة. وكان رد الفعل الجماهيري مباشرا وعنيفا شاضبا واجتاحت البلاد موجة عارمة من مظاهرات واضرابات الاحتجاج في شهر سبتمبر ، ونظمت نقابات العمال في شهر أكتوبر إضرابا عاما لمدة أربع ساعات احتجاجا على استقطاعات المعاشات واضراب خمسة ملايين ايطالي في روما يوم ١٢ نوفمبر. واقترحت «رابطة الشمال» من نقابات العمال ومواقفها وخططت النقابات لاضراب عام شامل ، هنا اضطر سيلفيو بيرلوسكوني للانحناء لارادة الشعب الايطالي ، وأجرى مفاوضات مع النقابات العمالية ، واتفق على تأجيل تنفيذ خطة المعاشات حتى يونيه ١٩٩٦ ، مع وعد بتقديم خطة جديدة كاملة وشاملة ».

يضاف الى ذلك التحقيق في قضايا الفساد التي تلاحقه وهي لم تحل باستقالة القاضي انطونيو دي بييترو ، وانما ازدادت حدة.

والشقيق الأصغر لبيرلوسكوني(باولو) وهو احد مديري «فيننيفست »متهم بالرشوة والفساد حول عقود بناء ، وهناك مديرون آخرون متهمون ايضا بالفساد ، ولكنها قضايا تصل مباشرة الي رئيس الوزراء ،بل ان مديري كل شركات بيرلوسكوني ، متهمون بالفساد والرشوة وغش الحسابات والضرائب ، بل ان الرشوة والفساد وصلت الي ادارة نادي «ايه سي ميلان» لكرة القدم ، ويمتلكه بيرلوسكوني ايضا ».

لذا برزت عدة أسئلة حول تعاملات بيرلوسكوني المالية كرجل اعمال منذ الستينات ، لقد كانت صفقاته كلها تلفها السرية ، وهذا معناه ان هناك الكثير من الاسرار.

لكن اول مشروع هو مشروع بناء موله بنك صغير هو (بانكا راسيني» المتهم الآن بتمويل المافيا بميلانو ، أما بعد هذا المشروع وكيف كبرت امبراطوريته فهذا سر من الاسرار.

لكن .. اذا عدنا الى الستينات ، فمن المعروف ان الشركة التي اشترت الارض التي أقام عليها قصره الفخم خارج مدينة ميلانو- «ميلانو٢» اشترته شركة سويسرية قابضة وضعت اموالها اللازمة في بانكا راسيني -مرة أخرى ! وأعطى الموافقة على البناء لجنة كان مديرها- التقني هو -سيلفانو لاريني الذي كان الموقع علي حساب بنك سويسري استخدم لتسديد حسابات ضخمة لرئيس الحزب الاشتراكي ورئيس الوزراء الايطالي السابق بتينو كراكسي ، وقد لعب كراكسي دوراً كبيراً في صعود سيلفيو بيرلوسكوني في الثمانينات ، واقل خدمة قدمها له عندما كان رئيسا للوزراء ان سهّل لشركة بيرلوسكوني الحصول على احتكار في التليفزيون الايطالي التجاري.

ومنذ عام ١٩٧٨ اصبح بارون الاعلام سيلفيو بيرلوسكوني عضوا بالمحفل الماسوني غير القانوني «بي٢» الذي شارك في عدة فضائح سياسية ومالية قوضت الديمقراطية الايطالية في الخمسة عشر عاما الماضية.

ورغم أن شيئا من هذا كله لا يثبت أن سيلفيو بيرلوسكوني قد شارك في فساد النظام القديم السابق ، إلا أن ممارساته بعد أن اصبح رئيسا للوزراء تشي بأفعاله في الماضي.

فقد قاوم سيلفيو بيرلوسكوني حتي

*** انخفاض الاصوات التي يحصل عليها الثلاثي الحاكم.**

**** اليسار ينتظر اسقاط اليمين- المتطرف الفاشي...**

*** التحدى الذى يواجهه بيرلوسكوني من اليمين**

هذه اللحظة ان يبيع ولو اجزاء من امبراطوريته ، وقاوم كل المقولات بأن هناك تناقضا بينه كرجل أعمال وبارون اعلام وبين وظيفته كرئيس للوزراء ، وهو كثيرا ما يردد انه سيبيعها ، لكنه ليس جادا بالاضافة لتعذر البيع نظرا لتضخم ديون هذه الشركات ومن المشكوك فيه ان تسمح البنوك بذلك.

لكن الاهم من ذلك كله ان ارتباطاته القوية بامبراطوريته كبير لن تمكنه من الاستقلال عنها ،فلم يكن من الممكن ان يفوز في الانتخابات لو لم تتحرك امبراطوريته الاعلامية تلك في اتجاه اتجاهه ، أما تنظيم حزبه الجديد «فورزا ايطاليا» فيعتمد على شبكة دار النشر «بابليتاليا» ، أما الشخصيات الاساسية في الحزب فهم من زملائه رجال الاعمال والمديرين في امبراطوريته.

*فوزير الدفاع في حكومته **سيزار بريفيتي** ، وهو ايضا منظم الحزب على المستوى القومي ، فقد كان محامي **فيننفست**!

*والمتحدث الرسمي باسم الحكومة **جيليانو فيريرا** ، فهو مقدم الاحاديث التليفزيونية التافهة التي تقدمها ، فيننفست.

أما جياني لينا الذي كان يمثل الشركة في روما ، فهو الآن وزير دولة بمكتب رئيس الوزراء بيرلوسكوني.

*وكان وزير المالية جيمبر ترمونتي مستشار الضرائب لـ وفيننفست».

***وفيتوريو سجاري** رئيس اللجنة الثقافية البرلمانية (والمسئولة عن الاعلام ايضا) عنده عرض يومي يقدمه تليفزيون وفيننفست».

وبسبب فردية بيرلوسكوني وانعدام الديمقراطية في حزبه الجديد «**فورزا ايطاليا**» ، انخفض عدد اعضاء الحزب وخرج عدد كبير من الذين كانوا يأملون خيراً علي اساس انه يمثل ايطاليا الجديدة بعد سقوط النظام القديم، لكن خاب فألهم وكلما أزداد النقد لبيرلوسكوني ، ازداد عجرفة ، وكلما تم حصاره ، كلما وقع في أخطاء سياسية فعندما وصلته مذكرة التحقيق معه ، أسرع بتسجيل اذاعة تليفزيونية لمدة سبع دقائق اعلن فيها انه لن يستقيل من منصبه مهما حدث ، ما لم يهزم عند التصويت علي حكومته بالثقة في البرلمان وهو لن يسلم بدون قتال ، وقتال عنيف ايضا ، لكن يبدو ان عام ١٩٩٥ سيشهد افول نجمه.

الاقتصاد العالمي بين بوادر الانفراج وتعميق الأزمة

د. حكيم بن حمودة

يعيش الاقتصاد العالمي منذ بداية التسعينات فترة انتعاش وحركية اقتصادية هامة بعد الانكماش الذى عرفته البلدان الرأسمالية فى نهاية عقد الثمانينات ، فالاقتصاد الأمريكى عرف فترة نهوض للنمو الاقتصادى بداية من سنة ١٩٩١ ، أما فى أوروبا فهذا الانتعاش يعود الى سنة ١٩٩٣، وفى اليابان فإن هذا النمو بقى ضعيفا ويتوقع أغلب الدارسين ان سنة ١٩٩٥ ستكون سنة الإقلاع الاقتصادى فى هذا البلد، أما فيما يخص آفاق الاقتصاد العالمى فإن المتابعين والخبراء يؤكدون أن فترة النمو والانتعاشة التى شهدتها أغلب الاقتصاديات العالمية ستتواصل وستتأكد خلال السنوات القادمة ، وتشير الاحتمالات ان نسب النمو ستكون حوالى ٣٪ فى أمريكا وأوروبا وستفوق ٢٪ بالنسبة للاقتصاد اليابانى.

كل هذه المؤشرات تدفعنا للتساؤل حول الآفاق المستقبلية للاقتصاد العالمى وبصفة خاصة حول قدرته على تجاوز أزمته وبناء نظام عالمى جديد ؟ أى هل أن بوادر الانفراج التى بدأ يشهدها الاقتصاد العالمى ستكون نقطة انطلاق لمرحلة تاريخية جديدة للاقتصاد العالمى أم أن حدة التناقضات التى تعيشها البلدان الرأسمالية ستشكل مانعا قويا أمام كل إمكانات تجاوز الأزمة؟

لتقديم بعض عناصر إجابة عن هذه التساؤلات لابد من الرجوع الى وضعية أهم البلدان الرأسمالية لدراسة الديناميكية الاقتصادية ومن ثم فهم أسباب الصعود وإمكانات السقوط للتنمية- وفى هذا الاطار لابد قبل كل شئ من التعرض للاقتصاد الأمريكى الذى هو بمثابة قاطرة وقوة دفع كبيرة للاقتصاد العالمى.

لقد بلغت نسبة التنمية حوالى ٣٪ فى السنة الماضية بالنسبة للاقتصاد الامريكى .. ويقدر أغلب الملاحظين أن هذه النسبة ستفوق ٤٪ هذه السنة ، وترجع أسباب هذا النمو الى التغييرات التى شملت السياسة المالية وخاصة التخفيف فى نسب الفائدة الامريكية ، وقد كان لهذا الانخفاض إنعكاس إيجابي على العائد الذى شهد نموا يقدر بـ ٦ر٢٪ سنة ١٩٩٢ و ٣ر٣٪ سنة ١٩٩٣ . وقد جد نمو الاستهلاك العائلى .. الإنتاج ، فعملت المؤسسات الأمريكية على القيام باستثمارات جديدة من أجل التوسع فى طاقات الإنتاج و توفير المواد الاستهلاكية الضرورية ، وقد نتج عن هذه الاستثمارات الجديدة خلق وظائف جديدة مكنت الاقتصاد الأمريكى من التخفيف من حدة البطالة فقد بلغت الوظائف الجديدة التى خلقها الاقتصاد الامريكى حوالى ٣.٢٨٣.٠٠٠ بين فبراير ١٩٩٢ وفبراير ١٩٩٤ مقابل نسبة البطالة تنخفض من ٧ر٧٪ الى ٤ر٦٪ فى نفس الفترة ، كما مكّن هذا الانخفاض فى البطالة من تدعيم وتوسيع قاعدة الطلب مما ساهم فى دفع الديناميكية الاقتصادية - بهذا اذن ساهم التخفيض فى نسب الفائدة فى تنمية الاستهلاك العائلى مما شجع على الاستثمار ودفع عجلة النمو الاقتصادى.

إلا أن انعكاسات نمو الاستهلاك لم تقتصر على الاقتصاد الأمريكى ، والمؤسسات الأمريكية ، بل تجاوزتهما لتشمل الاقتصاد العالمى وبصفة خاصة بقية البلدان الرأسمالية ، فبالرغم من تفتيت هيمنة الاقتصاد الأمريكى على الاقتصاد العالمى منذ نهاية الستينات، فإن للوضع الأمريكى انعكاسات هامة ومؤثرة على باقى الاقتصاديات الرأسمالية.

ففى البلدان الأوروبية تشير توقعات المراقبين إلى أن معدل النمو سيفوق خلال هذه السنة حوالى ٦ر١٪ ، وتعتبر هذه النتيجة ايجابية مقارنة بالنمو السلبى الذى شهدته البلدان الأوروبية سنة ١٩٩٣، ولعبت الصناعة الدور الرئيسى فى جذب اقتصاد أوروبا وقد سجل الناتج الصناعى خلال الثلاثة أشهر الأخيرة نسبة نمو تقدر بـ ٦ر٩٪ فى ألمانيا و ٨ر٢٪ فى هولندا و ٢٪ بأسبانيا ، ولتفسير هذه الانتعاشة يركز المراقبون على نمو الطلب الداخلى فى هذه البلدان- فقد سجلت المبيعات الداخلية فى ألمانيا خلال هذه السنة تطوراً ملحوظا يقدر بـ ٤٪ إلا أنه بالرغم من هذا النمو فإن الاستهلاك الداخلى والطلب بصفة عامة فى أوروبا لم يساهم إلا بنسبة ضئيلة فى هذه الانتعاشة ، أما **التسط الأوفر فإنه يرجع إلى المبادلات التجارية الخارجية وبصفة خاصة الى نمو الصادرات الأوروبية نحو الاقتصاد الأمريكى.**

نفس هذه الملاحظات والنتائج يمكن أن نسوقها للاقتصاد اليابانى الذى سيسجل نسبة نمو أقل من الاقتصاديات الأوروبية وتقدر بـ

١٪ خلال هذه السنة ، وهذه الانتعاشة النسبية لا يمكن تفسيرها حسب المحللين بنمو الطلب الداخلي ، فالاستهلاك العائلي لم يتجاوز نسبة نمو تقدر بـ ٦ر٥٪ ، أما طلب الدولة (استهلاكي واستثمار) فقد بقي كذلك ضعيفا- وفي هذا الاطار فإن السوق الخارجية وبصفة خاصة الصادرات نحو الاقتصاد الأمريكي تبقى المجال الوحيد لترويج البضائع اليابانية.

هكذا إذن فإن الانتعاش المؤقت للاقتصاد الرأسمالي العالمي ، يرتبط عضويا بالظرف الاقتصاد الامريكي ، وهذه الوضعية تعبر عن جوهر سياسات ادارة الأزمة في الاقتصاد الرأسمالي منذ بداية الثمانينات ، فبعد ان لعب العالم الثالث من خلال المديونية دور السوق لترويج بضائع العالم الرأسمالي خلال التسعينات ، فإن هذا الدور مع اندلاع أزمة الدين منذ الازمة المكسيكية في صيف ١٩٨٢ اضطلع به الاقتصاد الأمريكي.

إن ديناميكية الاقتصاد الرأسمالي تعيش دوما تناقضا رئيسيا بين ضرورة تنمية الانتاج والانتاجية لتحقيق نسبة هامة من الأرباح من ناحية ، إلا أن هذا الانتاج يتطلب تنمية الطلب من أجل تحقيقه ، وهذا الطلب يمكن ان يأتي من السوق الداخلية مما يفرض توزيعا هاما للأجور ينتج عنه حتما نزول في الأرباح ، كما يمكن لهذا الطلب ان يأتي من السوق الخارجية أي من صادرات البلدان الرأسمالية لباقي الاقتصاد العالمي ، وقد ازداد هذا التناقض حدة خلال السنوات الأخيرة إثر اعتماد التقنيات الالكترونية في العملية الانتاجية في أغلب البلدان الرأسمالية ، لقد مكنت هذه التقنيات من اختزال اليد العاملة وفي نفس الوقت من تحقيق نسب نمو كبيرة للإنتاج ومن هنا عملت سياسات إدارة الأزمة في أغلب البلدان الرأسمالية على اتباع استراتيجية قصيرة المدى تعتمد اساسا على المحافظة على نسب عالية من البطالة مما نتج عنه تراجع هام في الطلب الداخلي مع البحث على إمكانية ترويج الإنتاج في السوق الخارجية ، وإن لعب العالم الثالث كما اشرنا لذلك دور مركز ترويج هذه البضائع خلال التسعينات فإن هذا الدور رجع إلى الاقتصاد الأمريكي .. منذ وصول «ريجان» لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية.

من هنا يجرنا الحديث على مواصلة فترة الانتعاش التي يعيشها الاقتصاد العالمي الى البحث عن آفاق النمو في الاقتصاد الأمريكي بالنسبة للأشهر القادمة.

وهنا نعتقد أن مواصلة النسق الحالي للنمو في أمريكا مرتبطة بقدرة الاقتصاد على تجاوز عديد من العوائق وبتطور موقف الادارة الامريكية من بعض القضايا الاقتصادية.

والقضية الأولى والرئيسية هي موقف الادارة الامريكية من عجز الموازنة ، وهنا لابد أن نشير أن نمو الطلب مرتبط في أمريكا بنمو الطلب العمومي مما نتج عنه عجز كبير في الموازنة العامة قدر بـ ٢٦٩ بليون دولار سنة ١٩٩١ ، وقد جعلت الادارة الحالية من الحد من هذا العجز أحد أهم أهدافها الاقتصادية لتقليل المديونية العامة. وقد حققت هذه السياسة بعض النجاحات - فعجز ميزانية الدولة أصبح أقل من ٢٢٠ بليون دولار سنة ١٩٩٣ ، وتسعى إدارة كلينتون في مشروع ميزانية الدولة لسنة ١٩٩٤-١٩٩٥ إلى جعل العجز لا يتجاوز ١٧٦ مليار دولار ، لن نناقش هنا قدرة الادارة الامريكية على تحقيق هذا الرقم. الا انه من المؤكد أن هذه السياسة وهذا التعاطي مع عجز الموازنة سيكون له أسوأ الانعكاسات على الاقتصاد العالمي باعتبار الارتباط الوثيق من خلال الصادرات بين الاقتصاديات الرأسمالية والظرف الاقتصادي الأمريكي ، وهذه الاقتصاديات التي تمكنت من تجاوز هبوط أسواقها الداخلية من خلال ربطها لعملية النمو بالانتعاشة الأمريكية لن تتمكن في عودة دعم سياسة الحد من العجز في أمريكا من ايجاد أسواق اخرى قادرة على ابتلاع كل صادراتها، ومن هنا يمكن لنا ان نفهم موقف بلدان الشمال في اجتماع البنك الدولي وصندوق النقد الأخير في مدريد ودفاعها عن ضرورة تخصيص أكبر حصة من حقوق الشعب لبلدان شرق أوروبا (١) فبلدان الشمال بما فيها أمريكا تعمل على خلق بديل في أوروبا **الشرقية للاقتصاد الامريكي كسوق لترويج البضائع الرأسمالية** تسعى لذلك .. من تمكينها من الرأسمال اللازم على حساب بلدان الجنوب.

الى جانب الطلب العمومي فإن الاقتصاد الامريكي عرف هذه الانتعاشة الاقتصادية كذلك بسبب نمو الاستهلاك العائلي ، إلا أن نمو الاستهلاك العائلي .. لم يكن نتيجة لنمو الداخل بل يرجع أساسا الى نمو المديونية تجاه البنوك ، ويعتقد اغلب الملاحظين ان مديونية العائلات الامريكية قد وصلت إلى حد ينبئ ببروز أزمة جديدة مع البنوك ، فالمديونية العائلية تشكل اليوم قرابة ١٩٪ من الدخل العائلي ، وهذه النسبة ستتطور بصورة بأكثر حدة من النمو المرتقب لنسب الفائدة مما يجعل إمكانات تطور الاستهلاك العائلي محدودة جدا.

وتطور نسب الفائدة يجرنا بالضرورة الى الرجوع الى أحد أهم أسباب هذه الانتعاشة في الاقتصاد الامريكي ونقصد بذلك السياسة المالية الامريكية ، لقد اشرنا في بداية هذا المقال ان التغييرات التي شملت هذه السياسة وبصفة خاصة التخفيض في نسب الفائدة كانت له انعكاسات ايجابية على نمو الاقتصاد الأمريكي ، إلا أن هذا التخفيض قد انتقد بشدة من طرف الاقتصاديين الليبراليين بدعوى أنه سيكون وراء ظهور نمو التضخم من جديد ، وأمام حدة هذه الهجمة فقد اتجه البنك المركزي الفدرالي نحو التصعيد تدريجيا في نسب الفائدة ، وطبعا كما كان للتخفيض في نسب الفائدة انعكاسات ايجابية على النمو ، فإن هذا التصعيد سيكون له أسوأ الانعكاسات على انتعاشة الاقتصاد الأمريكي وبالتالي على الاقتصاد العالمي.

هذه القراءة في أسباب الانتعاشة الحالية للاقتصاد العالمي تمكننا من الخروج بنتيجتين:

أولا أن الانفراج الحالي للاقتصاد العالمي هو ظرفي وآفاقه مرتبطة عضويا بالظرف الذي يعيشه الاقتصاد الامريكي.

وقد أشرنا ان إعادة أنتاج هذا الظرف مرتبطة بقدرة الاقتصاد العالمي والبلدان الرأسمالية بصفة خاصة على توفير الرساميل الضرورية لتمكين الاقتصاد الامريكي من الدفع وبالتالي من بناء السوق الداخلية الأمريكية.

أما **النتيجة الثانية** فتخفي جوهر ما يسميه د. سمير أمين بسياسات ادارة الازمة ، هذه السياسات لا تعمل على مواجهة الازمة العامة للاقتصاد الرأسمالي بسياسات اقتصادية بديلة وجذرية بل تسعى على مدى قصير الى بناء اسواق ظرفية لتحقيق فائض الانتاج الرأسمالي. فبعد ان لعبت بلدان العالم الثالث هذا الدور في التسعينات والاقتصاد الامريكي في الثمانينات فإن بلدان الشمال تعمل جاهدة على خلق الظروف الملائمة لتتمكن بلدان شرق أوروبا من لعب هذا الدور ، هذه السياسات بادارتها الظهر للأسباب الحقيقية للازمة الاقتصادية تزيد من عمقها ومن حدتها على حساب شعوب العالم.

(١) انظر مقالنا في العدد السابق لليسار«دول العالم الثالث في مدريد: صمود أو صرخة الموت»

في الذكرى ٧٧ لثورة أكتوبر الاشتراكية



في عام ١٩٨٧ وفي احتفالات العيد السبعين لثورة أكتوبر الاشتراكية تحدث «ميخائيل جورباتشوف» السكرتير الأول للحزب الشيوعي- حزب لينين- عن ثورة أكتوبر قائلا.. «تاريخنا واحد ولا رجعة فيه ... ومهما كانت المشاعر التي يثيرها ، فهو تاريخنا وهو عزيز علينا.. لقد قطعنا طريقا صعبا مليئا بالتناقضات والتعقيدات.. ولكنه طريق جليل وبطولي .. فلا أفدح الأخطاء ولا التراجعات عن مبادئ الاشتراكية استطاعت جرف شعبنا وبلادنا عن ذلك الطريق الذي سلكناه عندما مارسنا اختيارهما عام ١٩١٧... إن فكرة عملية التغيير تستند الى تاريخنا السبعيني.. الى الأساس المتين للصرح الاجتماعي الجديد مهدئيا المبني في البلاد السوفيتية، وتوحد بين التعاقب والتجديد، بين التجربة التاريخية للبلشفية والواقع الراهن للاشتراكية.

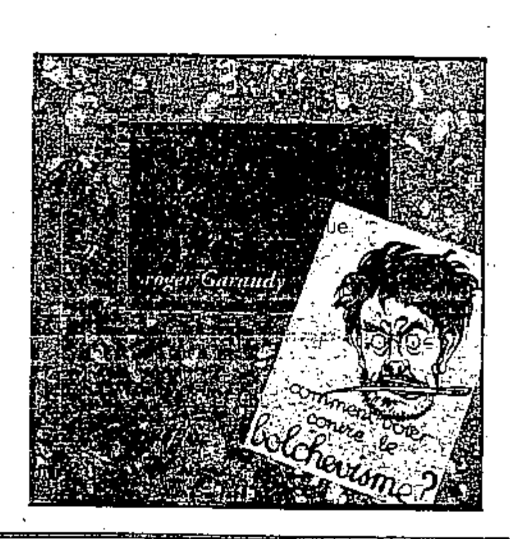
في أكتوبر عام ١٩١٧ ابتعدنا عن العالم القديم نبذناه الى الأبد .. وها نحن نسير نحو العالم الجديد، عالم الشيوعية، ولن نحيد عن هذا الطريق أبدا..»

بعد أقل من أربعة اعوام أدار «جورباتشوف» ومن بعد يلتسن» ظهرا- للاتحاد السوفيتي وثورة أكتوبر وللاشتراكية، تفكك الاتحاد السوفيتي وتخلى عن الاشتراكية ، وتحول الى رأسمالية وحشية وشنت أعنف حملة في التاريخ ضد ثورة أكتوبر والشيوعية.

ومنذ أيام مرت ذكرى ثورة أكتوبر الاشتراكية (٧ نوفمبر) ولم يتذكرها أحد إلا عشرات الألوف من الشيوعيين الروس خرجوا الى شوارع موسكو والمدن السوفيتية يرفعون صورة لينين واعلام الاتحاد السوفيتي ويلعنون يلتسين «عميل أمريكا».

وفي ذكرى ثورة أكتوبر التي الهمت الشعوب المتطلعة الى حريتها والى العدالة في كل انحاء المعمورة، تقدم «اليسار» هذا الكتاب الهام الذي كتبه المفكر الفرنسي» روجيه جارودي» وستنشر «اليسار» نص الكتاب مسلسلا ليساعدنا على فهم ما جرى وعلى التفكير في المستقبل بهدوء و موضوعية.

تذكر . . موجز لتاريخ الاتحاد السوفيتي



تأليف: روجيه جارودي

ترجمة: نور أمين

صدرت الطبعة الفرنسية الأولى من هذا الكتاب بعنوان :
Soviens- Toi,Bre've histoire
DE L'urion Sovietique
ROGER Garaudy

عن دار نشر:
Temps des Cerises

في مايو عام ١٩٩٤.



فى روسيا ، وخلال ثلاث سنوات، جعل الإحلال الرأسمالى من الاتحاد السوفيتى السابق عالما ثالثا جديدا..

لقد أدى التدخل الاجنبى فى كل المجالات- من الاقتصاد الى الثقافة- إلى مولد «مافيا» من المضاربين بالأموال فى الداخل، تنمو ثرواتها من يوم الى آخر مثلما ينمو نبات عش الغراب السام. أما الجماهير فتعيش فى حالة من الفقر تمتد الى الشحاذة والجوع، تلك الحالة التى ظهرت فى الاتحاد السوفيتى عقب مجاعات عام ١٩٢٠ الناتجة عن التدخلات العسكرية وعن سياسة «السلك الشائك» الغربية. وعلى مستوى الثقافة، أو على الأصح ضد الثقافة، تحـول هذا البلد الى امبراطورية للمخدرات والفساد على منوال الولايات المتحدة.

كما أدت سياسة يلتسين فى طرح ممتلكات الدولة للبيع العام- والتى إمتدت الى بيع السلاح - بهدف الحصول على عملات نقدية أيا كانت الوسيلة، أدت الى تكاثر أكثر التقنيات العسكرية تعقيدا فى الخارج، بما فيها التقنيات النووية.

ليست تلك إلا بعض أعراض شديدة الوضوح للتحلل المادى والمعنوى لمجتمع يزيد عدد سكانه عن ٢٠٠ مليون نسمة ، فقد جعل يلتسين من «المستشار» جيفرى ساشس Geffry Sachs- والذى وضعته الإدارة الأمريكية فى موسكو لفرض «الليبرالية الإقتصادية» عن طريق «العلاج بالصدمة»- فردا تنفيذيا على درجة من الطبيعة تماثل تلك التى وصل اليها «المتآمرون» Collabos فى أوروبا وقت الاحتلال الهتلرى.

يرد الجنرال جروموف Gromov نائب وزير الدفاع عند سؤاله عما لا يمكن التسامح فيه قائلا: «انها الخيانة».

ويمكننا أن نسوق مثالين صارخين لهذه الخيانة التى يتحدث جروموف عنها:

فقد تمت مراجعة مشروع ميزانية عام ١٩٩٣ الذى قدمه نائب الوزير الى البرلمان طبقا لمتطلبات صندوق النقد الدولى، أى كما يحدث فى بلاد العالم الثالث، ومن المعروف أن سياسة الصندوق تتضمن، الى جانب الخصخصة وإطلاق الإسعار ضغطا لميزانيات التعليم والصحة والإسكان والتأمين الاجتماعى ، كما نتج عنه انفجارات اجتماعية وقومية فى الجزائر مثلا عام ١٩٨٨، وفى كاراكاس عام ١٩٨٩، وفى يوغوسلافيا عام ١٩٩٠(وذلك بفضل جيفرى ساشس وجورج سوروس George Soros (المضارب الدولى بالأموال الذى نسف الجنيه الاسترلينى). ويعد يلتسين نفسه لقبول حالة التبع هذه.

ومن هنا يظهر المثال الثانى لـ «الخيانة» :

نقد كتب البروفيسير جيفرى هوسكنج Geoffrey Hosking الأستاذ بجامعة لندن، فى «لندن تايمز» London Times قائلا انه يتعين على الغربيين أن يتركوا يلتسين «يؤدب الشرق» فهو «الوحيد الذى قام بصياغة اقتراحات فى هذا الاتجاه، بل انه طالب «المنظمات الدولية» (٢) فى ٢٨ فبراير عام ١٩٩٣ بمنحه سلطات خاصة «للحفاظ على النظام».

من الواضح أن خدمات يلتسين التى يعرضها هى جديرة بحماة «النظام الدولى الجديد» ، «نظام ريجان وبوش أو كلينتون».

لقد وضع يلتسين نفسه تحت رحمة الولايات المتحدة منذ الانقلاب الذى قاده فى ٢١ سبتمبر عام ١٩٩٣ وحل على إثره البرلمان خارقا بذلك الدستور، وحتى الحصار العسكرى وقصف البرلمان ليلة الرابع من أكتوبر على يد قوات جعل منها يلتسين حرسا خاصا به منفذا الإنفاق بسخاء على رواتبهم فى ظل الفساد المالى المنتشر، وتضغط الولايات المتحدة اليوم بشدة على يلتسين للإسراع بعودة الرأسمالية وذلك من خلال التهديد بخفض «مساعدتها» المالية اللازمة لتفادى إفلاس الاقتصاد الروسى إفلاسا تاما، ذلك الإفلاس الذى قادت اليه سياسة «العلاج بالصدمة» عن طريق الخصخصة وإطلاق الأسعار والبطالة ، وكلها من سمات النظام الرأسمالى المتنكر تحت شعار «الليبرالية».

على الرغم من الرقابة الهائلة وخصخصة وسائل تعبير المعارضين ليلتسين، فقد وجد هذا الأخير نفسه بعد الانتخابات فى مواجهة برلمان يكن له عداء أعظم مما كان يكنه له البرلمان السابق الذى حله ورد عليه بطريقة غير شرعية.

ويوما فيوما ، يزداد اعتماد يلتسين على هذا الجزء من الجيش الذى قبل الهجوم على البرلمان وفقا لأوامره. وذلك ليواجه الرفض المتزايد لبقية الجيش للتبعية للولايات المتحدة وما تعنيه من ذل وإهانة.

أدى ذلك كله الى صعود الحركات القومية الى السلطة والى انتشار الفوضى دون أمل إلا فى انقلابات جديدة، ومجاعات جديدة، أو أنظمة عسكرية ديكتاتورية جديدة.

إن عرض ما كان يعتبر ثانى قوة عظمى فى العالم للبيع، إلى جانب الدعارة السياسية التى جعلت من الاتحاد السوفيتى منفذاً لإرادتى الولايات المتحدة وصندوق النقد الدولى، ليسا إلا إثنين من إنجازات «عودة الرأسمالية» التى تشبه «عودة الملكية» فى فرنسا عام ١٨١٥.

لقد ارتكبت الثورة الفرنسية جرائم مثل الإرهاب اليعقوبى والفساد الترومبدورى(١) الى جانب ديكتاتورية نابليون إلا أن الملكية العائدة لم تكتف فحسب بهدم نموذجى نابليون وروبسبيير بل هدمت أيضا نماذج روسو وفولتير وديدرو، وأرادت أن تمحو من ذاكرة الفرنسيين «عصر التنوير» وكل المظاهر الإيجابية للثورة، تماما مثلما لا يكتفى أحد اليوم بهدم نماذج الانحطاط الستالينى فيمتد إلى هدم نموذج ماركس ومؤسسى الاشتراكية.

وهكذا اصطنع الجميع نسيان الانحلال القديم للرأسمالية وطغيان قياصرة روسيا التى كانوا يسمونها «سجن الشعوب» بسبب الاضطهاد الذى كان يمارس فيها ضد الأقليات العرقية وضد حركة الحرية بأكملها.

إن الشرط اللازم للردة التاريخية هو نزع ذاكرة الشعب عنه، لذلك فسوف نحاول فى الصفحات التالية أن نستدعى ذاكرة هذا القرن.

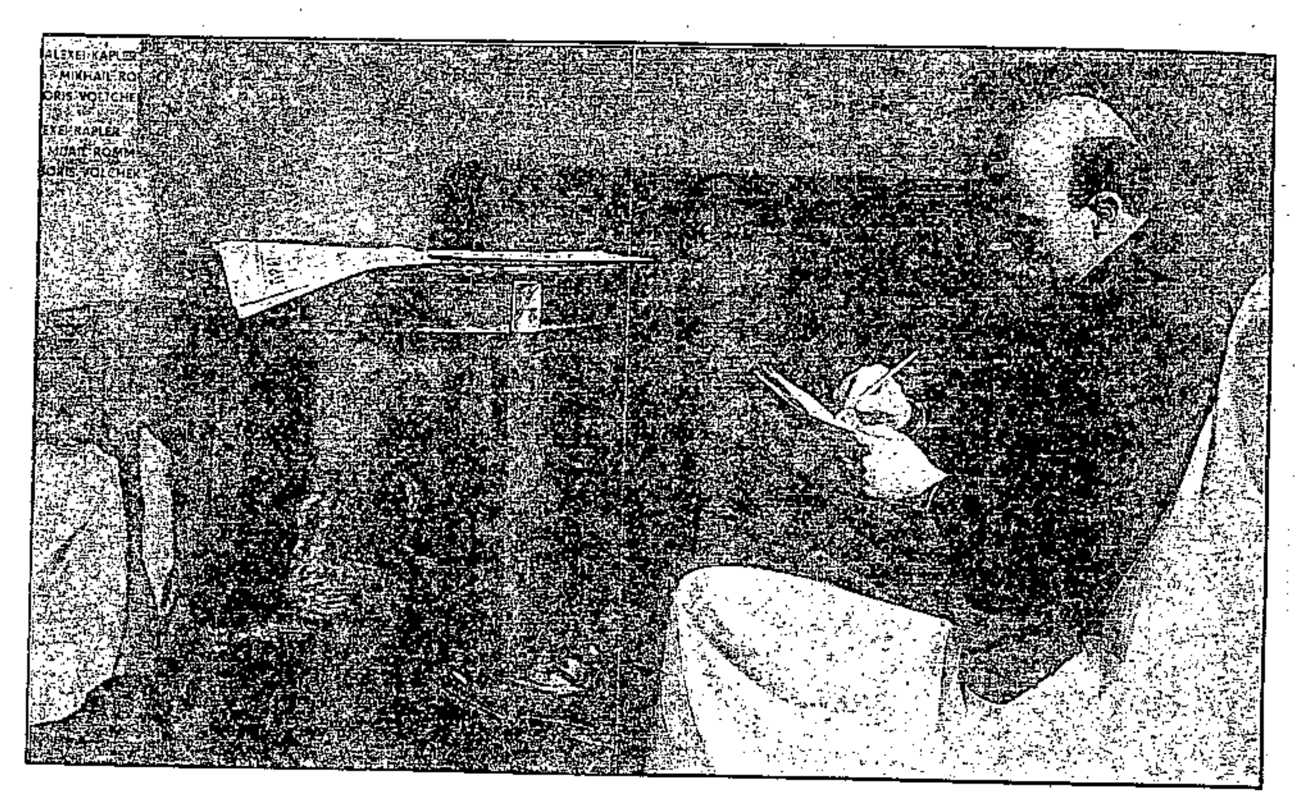
الفصل الأول

روسيا القيصرية عشية ثورة أكتوبر

لنتذكر أولا ما كانت عليه روسيا عشية ثورة أكتوبر .كانت بلدا يشمل تعدادها السكانى ١٧٥ مليون نسمة، وكانت تمثل سمات المجتمع المتخلف ذى البنية شبه الاستعمارية، وذلك رغم إقامة بعض المؤسسات شديدة العصرية.

وبما أن ٨٠٪ من عدد السكان العاملين كانوا فلاحين فقد كانت المنتجات الغذائية تمثل ٥٨٪ مما تدره روسيا فى حين مثل استيراد المنتجات الصناعية ٣٣٪ من مجمل ما تستورده.

وظل الوضع فى الريف وضعا شبه



لينين.. عام ١٩١٨

إقطاعي حيث كانت نصف الأراضي الزراعية (أي ٧٠ مليون هكتار) مملوكة لـ ٣٠٠٠٠ مالك إقطاعي، أما بقية الأراضي فكان الفلاحون يتقاسمونها فيما بينهم.

في مجال الصناعة، عرفت الرأسمالية ازدهارا سريعا (رغم أن تصدير الأدوات المصنعة لم يكن يمثل سوى ٨.٥ ٪ من مجمل التصدير، أي أقل من عشر مرات مما كانت تمثله المنتجات الزراعية المصدرة) ، إلا أنها كانت تعتمد اعتمادا أساسيا على الخارج، فقد أدى عدم كفاية رؤوس الأموال بالحكومة القيصرية إلى تفضيل تمويل الشركات الصناعية عن طريق رؤوس الأموال والاعتمادات الاجنبية، للدرجة التي جذبت أقطاب الشركات الصناعية والبنكية الغربية بسبب قلة أجور الأيدي العاملة.

بل إن الدولة نفسها إستدانت من هذه الشركات بفعل القروض الخارجية وأصبحت -هي أيضا- شديدة الاعتماد على القوى الأجنبية، ورغم تيار التحرر الوطني الذي أخذ ينمو في أوساط الاعمال فيما بين عامي ١٨٩٠ و١٩١٤، فإن الاستثمارات الأجنبية الكبرى أخذت تتجه بشكل طبيعي نحو أكبر الشركات حتى تركزت التجارة في أيد أجنبية أ... بيع المصرف المتولى لبيع الصلب يتحكم في ٨٠٪ من صناعته، في حين تولت مجموعة واحدة من الشركات استخراج البترول الترقازي كله.

كما تركزت الطبقة العاملة أيضا، حيث عمل أكثر من نصف العمال الروس في شركات تشمل كل منها أكثر من ٥٠٠ عامل (في حين لم يتجاوز عدد العمال من هذه النوعية في فرنسا، وفي العصر نفسه، ١٢٪ من مجموع العمالة).

وتعتبر هذه **الطبقة العاملة صغيرة العدد** (فهي تمثل ٤٪ فقط من عدد السكان العاملين) وفي الوقت نفسه تعتبر ... بسبب تركيزها في تجمعات محددة أدت الى زيادة الإضرابات قوية التأثير منذ عام ١٩١٤.

أما طبقة الفلاحين فكانت أغلبيتها الساحقة مطحونة بفعل استغلال كبار ملاك الأراضي لها ، ولم تكن الحكومة تفعل أي شئ فيما يختص بتعليم هذه الطبقة، فإحصاء عام ١٨٩٧ يكشف عن أن ٣٣٪ من البنين و ١٤٪ من البنات **فقط يذهبون الى مدرسة القرية**، مما يعني أن ثلاثة أرباع أطفال الفلاحين لا يذهبون الى المدرسة الابتدائية، ورغم أن محو الأمية قد تقدم أثناء العقود الأخيرة من النظام القديم بفضل جهود **زمستفوس** Zomstvos.

وسط كل شئ بدءا من المال ووصولا الى الشقانة ،أخذت «الهبات» العنيفة غير المنتظمة- بل و «الريفية» بحق- تتضاعف، حتى وصل عددها الى حوالي ٢٠٠٠٠ واقعة بين عامي ١٩٠٥ و ١٩١٠، والى أكثر من ١٣٠٠٠ واقعة بين عامي ١٩١١و ١٩١٤.

ويضاف إلى هذا الغليان الإنساني في روسيا كلها ثورات الشعوب الأخرى، حيث كان النظام القيصري يطبق حكما استعماريا - من جبال الاورال الى المحيط الهادي- يجعل من امبراطوريته «سجنا للشعوب».

أخذت الحركات القومية تولد في **أوكرانيا وآسيا الوسطى وتركمانستان**، ففي **أوكرانيا** كانت حركة الـ «رادا» القومية تطالب بالاستقلال الذاتي، وفي «**آسيا** الوسطى» كان مجلس تركي وحزب «اسلامي» قد تكونا ، وكذلك في كازاخستان. أما في جورجيا **وأرمينيا وأذربيجان** فقد ارتفعت «الأعلام القومية».

أضافت الكنيسة الأرثوذكسية التي أصبحت في هذا الوقت مثل الكنيسة الفرنسية أداة النظام القديم- أي إحدى مؤسسات الدولة- الى هذا القهر الشامل: **والاضطهاد الديني، وبخاصة اضطهاد الشعوب الاسلامية في آسيا الوسطى**.وأدت الحرب فيما بعد إلى انضاج هذه التناقضات كلها.

في هذا الجيش الهائل الذي يضم عشرة ملايين جندي ينتمي ٩٠٪ منهم الى أصول

ريفية، لم تكن أهداف الحرب تبدو متعلقة بأي «دفاع قومي» للشعوب الروسية عن نفسها، بل بدت الحرب ذات أغراض إمبريالية لعبور العالم العثماني أو للاستجابة لضغوط انجلترا وفرنسا القوية على اقتصاد وساسة روسيا القيصرية.

كذلك، وبعد أوهام أيام الحرب الأولى(مثال القول «سوف نقتحم برلين»والذي كان يقال في فرنسا أيضا في هذا العصر) كشفت «آلة الحرب الزاحفة- بما فيها من آلاف الجنود بلا هدف واضح- عن عدم كفاءتها. فقد أخذت الهزائم تتراكم بسبب عدم تنظيم الجيش ونقص تجهيزاته وتموينات، مما أدى إلى تقريض معنويات القوات المحاربة. وحينما وصل الجيش الألماني الى خليج ريجا مهددا العاصمة **بيترو جراد**، كان انهيار الجيش الروسى يحدث في سرعة متزايدة، حتى وصل الأمر الى التآخي بين الكتيبة والاخرى رفض النزول الى المعركة بل والهروب من الجندية..

في التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩١٧، قرر وزير الحرب (الفاضل!) الجنرال **فيركوفسكي Verkovski** الذي سحب الثقة منه **كيرينسكي Kerensky** يوم ٢٤ أكتوبر من العام نفسه- أن يقول الحقيقة المناقضة للأكاذيب الرسمية وذلك في تقرير كتبه عن الموقف العسكري والقاه، أمام لجنتي الدفاع القومي والعلاقات الخارجية. وبعد أن ذكر فيركوفسكي بالقحط الذي يعيشه الجيش، محروما من المأكل والملبس، أضاف قائلا :إن الجنود أصبحوا لا يفهمون السبب الذي يواجهون من أجله العذاب والموت، في هذا الوقت، فر ٢ مليون جندى من الجيش معلنين ضمنياً **والتصويت من أجل السلام»**.

وسط هذه الظروف أصبحت الدعاية البلشفية غير قابلة للمقاومة، خاصة أن «الضباط إذا كانوا تلقوا أوامر بعدم تنفيذ سياسة الجيش وأطاعوها، لكانوا قد ذبحوا في النور» واختتم **فيركوفسكي** حديثه قائلا: «تجبرني المعطيات الموضوعية على الاعتراف الواضح والصريح بأننا لم نعد نستطيع خوض الحرب».

الفصل الثاني
ثورة أكتوبر ١٩١٧

كانت كل محاولة للقمع العسكري تشير الى مرحلة جديدة في الثورة.

يوم ١٨ فبراير عام ١٩١٧، أضرب عمال مصانع **بوتيلوف Poutilov** في بيتروجراد عن العمل، وفي الخامس والعشرين من الشهر نفسه تحول الأمر الى إضراب عام، في السادس و العشرين ، أمر القيصر بإطلاق النار على المتظاهرين، وفي اليوم التالي رفضت القوات الرادعة للمتظاهرين- حتى طلبة المدرسة الحربية إطلاق النار وانضمت الى الشعب. في هذا الوقت كون البرلمان- أي المجلس الذي يمثل الإمبراطورية- حكومة مؤقتة لـ«إعادة النظام» الى البلاد، ولمحاولة إنقاذ الملكية بمطالبة القيصر بالتنازل عن العرش لصالح أخيه«ميشيل» . إلا أن رفض هذا الأخير تولى العرش قد أوقع روسيا في مأزق إزدواج السلطة بين الحكومة المؤقتة التابعة من المجلس الممثل للإمبراطورية ومجالس العمال والجنود (السوفيت) التي تكونت أثناء الإضرابات ومحاولات القمع التي أجهضت.

في ١٠ مارس عام ١٩١٧ ، وعقب حدوث إضرابات جديدة في «بيتروجراد»، أطلق الحاكم العسكري النار على الجماهير لكن فرق الحرس العسكري في المدينة أخذت تتمرد الواحدة تلو الأخرى ، أما القوات التي تم استدعاؤها من الجبهة للقضاء على حركة التمرد هذه ، فقد منعها عمال السكة الحديدية من الوصول إلى العاصمة

أخذ سوفيت المدينة ينظمون الدفاع عن حركتهم على الرغم من استمرار الحصار على المدينة من – قبل الحكومة المؤقتة التي رأسها **الأمير لفوف Lovov** ومن بعده كيرنسكي الاشتراكي.

تم القبض على القيصر وعائلته عند استدعائه للسفر الى انجلترا يوم ١٦ مارس.

في الثالث من إبريل عام ١٩١٧، وصل **لينين الى بيتروجراد** بعد قضاء وقت طويل في منفاه بسويسرا، في هذا اليوم أطلق أول أوامره قائلا بإعطاء **«كل السلطة للسوفيت!»** ورغم **أن حزب لينين البلشفي كان يمثل أقلية شديدة وسط البرلمان ، إلا أن مظاهرة من ٤٠٠ ألف شخص خرجت على إثر هذه الكلمة في الرابع من يوليو.**

رد كيرنسكي على ذلك بإطلاق النار من جديد على الجماهير، حيث أصاب ٤٠٠ فرد بين قتيل وجريح، وأنصب القمع على البلاشفة حتى أمرت الحكومة بالقبض على لينين ليعود مرة أخرى الى حيز الظلام.

وهنا أخذ اعداء البلشفية- وقد شجعهم الانتصار على لينين- يعدون لديكتاتورية عسكرية أخرى باللجوء الى القائد الأعلى للجيوش ، **الجنرال كورنيلوف Korni-lov** ، الذي ما لبث أن اتفق مع كيرنسكي ووجه قوات الجبهة نحو بيتروجراد في الخامس والعشرين من أغسطس تحت قيادة الجنرال **كريموف Krymov. إلا أن البلاشفة تولوا الدفاع عن المدينة حيث انضم ٢٥ ألفا من العمال الى«الحرس الأحمر»** وفي مواجهتهم كان جنود الجيش يرفضون إطاعة ضباطهم.

في ٣٠ أغسطس، **انتحر الجنرال كريموف Krymov**، وفي اليوم نفسه **تم عزل كورنيلوف Kornilov وتقديمه للمحاكمة.**

في ٣١ أغسطس، وللمرة الأولى، صوّت سوفييت بيتروجراد من أجل البلشفية، ومنذ هذه اللحظة أصبحت الحركة الثورية غير قابلة للإخماد.

أصدر كيرينسكي أوامر عليا بحل لجان العمال للمقاومة ونزع اسلحتهم، وفي ١٨ أكتوبر، لم يعد الحرس العسكري في بيتروجراد يعترف بالحكومة المؤقتة :**«لن نطيع بعد ذلك إلا الأوامر الصادرة من سوفيت بيتروجراد بواسطة المجلس العسكري الثوري».**

في ٢٥ أكتوبر، ووفقا للخطة التي وضعها **لينين** في السر، استولى **«الحرس الأحمر» على محطات السكة الحديدية** ومكاتب البريد والتلغراف، وعلى السنترال الكهربائي والمطابع الكبرى وبنك الدولة وذلك دون إطلاق رصاصة واحدة.

غادر كيرينسكي المدينة تحت حماية السفارة الامريكية لكي يحاول أن يأتي بقوات الجيش من الجبهة حتى تقضي على ثورة بيتروجراد.

أما **لينين** فقد خرج من الظلام في الساعة الثالثة بعد الظهر، وظهر في قصر **سمولني Smolny** حيث اتخذه السوفيت مقرا لهم برئاسة **تروتسكي Trotsky**، وبدأ بتحية الانقلاب السلمي والمنتصر الذي حققه العمال وحرس بيتروجراد، ثم ألقى ثلاث كلمات تأسست عليها الثورة الاشتراكية:

«سوف تقدم الحكومة فورا الى كل البلاد المحاربة مقترحات بهدف تحقيق السلام الديمقراطي والعادل، وسوف تلغى الملكية الكبرى للعقارات وتعيد الأراضي الى الفلاحين، كما سوف تقر الحكومة بتحكم العمال في الإنتاج وتقسيم المنتجات المصنعة، وستتولى السيطرة على كل البنوك التي ستصبح هكذا حكرا على الدولة».



فى الساعة التاسعة صباحا، ألغى الجنرال **تشيريمينوف** Tchereminov **أوامر تحريك قوات الجيش نحو بيتروجراد** منفذا بذلك أولى مقتضيات استيلاء المجلس الثورى على السلطة.

فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، تم الهجوم على قصر الشتاء، حيث تجمع وزراء الحكومة المؤقتة وتم الاستيلاء عليه والقبض على الوزراء، فى هذه اللحظة تجمع بعض النهابين لسرقة محتويات القصر، لكن قادة الهجوم هددوا بإطلاق الرصاص فورا على أى شخص تسول له نفسه أن يسرق ما أصبح من تلك اللحظة فصاعدا ملكا للشعب».

وتولى البلاشفة السلطات كلها، ليس بسبب انقلاب فى الدولة قامت به «أقلية متمردة»، ولا بسبب مؤامرة كما أرادت الدعاية الغربية للجميع أن يصدق (مؤامرة ألمانية، «مؤامرة يهودية».. الخ) فقد كتب مدير جريدة «الزمن» Temps فى فرنسا قائلا: «أن هذه القبضة من المستنيرين التى يقودها بؤساء.. ليست مؤهلة للتحدث باسم روسيا، ثم اختتم مقاله فى حسم قائلا: «إن تصفية البلشفية لن تستغرق أكثر من بضعة أيام، بل وربما بضعة ساعات (الزمن» ١٢ نوفمبر ١٩١٧).

مع ذلك، فقد كان الأمر يتعلق بنوع من البحث الشامل قائم على برنامج بلشفى صاغه **لينين** فى نقاط ثلاثة، ألا وهو: إقامة السلام وإعطاء الأراضى الى الفلاحين والسلطة الى العمال، إستجابة للآمال العميقة للشعب بأكمله..

١- «**السلام**» العادل والديمقراطى الذى طالب به لينين يعد سلاما حاسما أى أنه لا يستتبع أية قوة من قبل القوميات الأجنبية كما أنه يجب أن يكون فوريا..

ومن سوء النية القول بأن لينين «خان» المعاهدة مع فرنسا بتقويضه الجيش الروسى، فهذا الجيش الهائل الذى كان يضم عشرة ملايين رجل، كان قد خسر أصلا ٢ مليون من رجاله بالموت و ٤ مليون بالإصابة، بل إن ٢ مليون أخرين من الجنود كانوا قد فروا من هذا الجيش بعد فشل هجوم ٢٨ يونيو ١٩١٧ على الدنيبر Dniepr ضد المجريين- النمساويين، وبعد زحف الألمان على بحر البلطيق وصولا الى خليج ريجا.

ومن قادة الجيش القيصرى (الرئيسين الجنرال **دراجوميروف** Drogomirov الذى كتب فى مايو ١٩١٧ فى تقرير له قائلا: «تسيطر الرغبة فى السلام على الجيش للدرجة التى تجعل أى أحد يبشر بالسلام الحاسم ويتحكم الشعوب فى مصائرها يكسب بسهولة ثقة الجيش.. لقد وصل الطموح إلى السلام إلى الدرجة التى تجعل الجنود الجدد يرفضون استلام الأسلحة قائلين: لا نعرف ماذا نفعل بها فليست لدينا نية العراك»

لم يفرض **لينين** إذن بالمرة قدرة الجيش على الوثوب والوصول الى ألمانيا، بل سجل الأمنية العميقة لهذه الملايين من الجنود- وأغلبيتهم من الفلاحين- الذين كف جيشهم عن وجوده العملى، كما أوضح لهم ما يمكن أن تكون عليه أهداف السلام الحاسم دون أى أغراض استعمارية.

بما إنه لم تستجب أية قوة غربية لهذه الدعوة الى سلام حقيقى، وبما أن الجيش الروسى كان قد إنتهى من معاركه، فقد وقع لينين فى ٣ مارس عام ١٩١٨ معاهدة سلام مع ألمانيا فى برست- ليتوفسك Brest

Litovsk. ومع أن شروط هذه المعاهدة كانت قاسية إلا أن لينين قبل كل التنازلات المطلوبة عن الأراضي لأنه كان متتنعا أن شعوب أوروبا سوف تثور ضد الحرب وتتبع النموذج الروسي، وفي الحقيقة، أن العدوى الثورية قد اجتاحت الامبراطورية الألمانية عام ١٩١٨ وفرضت السلام، وفي ٤ نوفمبر تجمع بحارة كييل Kiel وكونوا سوفيت من العمال والجنود، حتى اشتعلت الثورة في ميونخ في السابع من الشهر نفسه، وفي صباح اليوم التالي استولى مجلس نواب الشعب على السلطة في برلين، ثم انعقد مؤتمر لمجالس العمال والجنود الألمان يوم ١٠ نوفمبر في ريجا قبل ان تضطر المانيا كلها إلى الاستسلام يوم ١١ نوفمبر، وفي ١٣ نوفمبر طالب المجلس التنفيذي الروسي بإلغاء معاهدة برست- ليتوفسك.

٢- إعطاء الأراضي للفلاحين:
أثناء صيف عام ١٩١٧، عمت أحداث التمرد الريفية البلاد وتغير طابعها، بعد أن استمرت عدة سنوات داخل الامبراطورية. وانتشرت هذه الاحداث لأنه لم يخرج عن نطاق حركة التمرد العامة سوى ٨٪ من الأراضي الروسية، أما طابعها فقد تغير لأنها لم تعد أحداثا وليدة اللحظة وقاصرة على قطع الطرق والتدمير (مثل حرق التصور والمحاصيل واغتيال كبار ملاك الاراضي.. الخ) بل تحولت شيئا فشيئا، مع تكوين مجالس الفلاحين، الى فعل منظم وبناء تجسد في احتلال واستغلال أراضي الدولة التي تمت السيطرة عليها الى جانب زراعة الاراضي المصفية من ذلك للراحة السنوية وزراعة الاراضي غير المستغلة بالقدر الكافي، هكذا لم يفعل الأمر الصادر بخصوص تمليك الأراضي للفلاحين سوى انه أعطى شكلا رسميا لما كان قد حدث بالفعل، ووجد الممارسة الريفية الموجودة من الأصل.

ورغم الانتقادات العنيفة التي وجهها شركاء لينين أنفسهم إليه، إلا أنه لم يسع الى فرض البرنامج الزراعي البلشفي، بل على العكس، قبل **مطالب الفلاحين الفقراء، ووافق على البرنامج الذي أعترض عليه من قبل** خصومه الاشتراكيون من الـ S. R. (الاشتراكيون الثوريون) بهدف حماية الفلاحين من الوصول الى الاعتراف بالبرنامج الشيوعي للجمعيات التعاونية الزراعية إلا اذا كان ذلك تأسيساً على تجربتهم الخاصة وبعد فترة طويلة من التجربة والخطأ.

٣- التحكم العمالي: منذ مذابح لونا Leno عام ١٩١٢ التي كان لها أثر عظيم على روسيا كلها، وهذه الفكرة الأساسية آخذة في الرسوخ في المراكز الصناعية كلها.

في ٤ أبريل عام ١٩١٢، وعقب إضراب مناجم الذهب في لونا leno بسبب طول فترة العمل اليومي (التي حددها القانون عام ١٨٩٧ بإحدى عشرة ساعة ونصف) ومجموع الظروف المعيشية لعمال المناجم، تلقت قوات الجيش الأمر بإطلاق النار على المتظاهرين.. وكان لهذه المذبحة دلالة شديدة العمق بسبب إنتماء تلك المناجم الى احدى كبرى الشركات الاحتكارية، ألا وهي **«جمعية صناعة الذهب بلونا»**.

والتي كانت الشركة الانجليزية Lena Goldfields أو **«حقول ذهب لونا»** تمتلك أكثر من ٧٠٪ من أسهمها. وبما أن شخصيات رفيعة الشأن- ومنهم الإمبراطورة **ماري فيدوروفنا أرملة الكسندر الثالث-** كانت تمتلك أسهما في هذا المشروع فقد انطلقت النيران فورا لتردي ٢٧٠ قتيلا و ٢٥٠ جريحا. وقامت مظاهرات ثورية قوية **من بيتروجراد الى موسكو** حتى تمرد عمال روسيا كلهم على هذا الوضع بالاضراب العام في اليوم الأول من شهر مايو.

منذ هذا الوقت، أخذ الكفاح العمالي مكانة وصورة نضالية متزايدتين، كذلك أخذت **ضرورة تحكم العمال في الصناعة** تفرض وجودها حتى حدوث الإضراب الحاسم الذي قام به عمال التعدين التابعين لمصانع **بوتيلوف** Poutilov **في بيتروجراد** في ١٨ فبراير عام ١٩١٧، ذلك الإضراب الذي نتج عنه إضراب عام في الخامس والعشرين من الشهر نفسه.

الأمر إذن لا يتعلق بالمرة بمؤامرة ما أو بانقلاب برئ للاستيلاء على الحكم فما حدث هو ثورة **شعب كامل لينتج الأفق من أجل نظام إنساني جديد،** وقد أشار أناتول فرانس Anatole France وبول لانجفان Poul Langevin ورومان رولان Romain Rolland في فرنسا الى الدلالة التاريخية العالمية لهذه الثورة، وفي انجلترا، كتب **برتراندراسيل في كتيب مناهض للبلشفية يقول: إن الثورة الروسية واحدة من أعظم الأحداث التاريخية في تاريخ العالم. ومن الطبيعي مقارنتها بالثورة الفرنسية إلا أن لها أهمية للبشرية أكبر في الحقيقة».**

وفي الحقيقة، وعلى الرغم من التغيرات التي طرأت فيما بعد لإعادة فحص الدلالة الأصلية لهذه الثورة، فإنها تعد في حد ذاتها ثورة جذرية وجدية بالمقارنة بكل الثورات الأخرى.

فإعلان الاستقلال الأمريكي طالب بمساواة شاملة بين البشر في حين احتفظ بعبودية السود لمدة قرن بعد ذلك. وكذلك طالب إعلان حقوق الفرد والمواطن الصادر عن الثورة الفرنسية بالمساواة نفسها في الوقت نفسه الذي كان هذا الاعلان فيه بمثابة مقدمة لدستور يسن حق التصويت وفقا لثروة الفرد، قاصرا بذلك هذا الحق على ربع الفرنسيين فقط. هكذا كفل الإعلان الأول امتيازات البيض وكفل الثاني امتيازات الملاك، **أما ثورة أكتوبر فقد ألغت لأول مرة الامتيازات كلها سواء كانت خاصة بملكية الأرض أو بأرباب العمل أو بالحكام الذين يقومون بغارات للنهب والسلب.**

من هنا ندرك سبب الغضب والكراهية التي أخذ أصحاب الامتيازات يكنونها لهذه الثورة، فقد كانت اسطورة الرعب الثوري تطاردهم منذ الأيام الأولى لحركات التمرد العمالية، وبالتالي أصبح- أي تغيير في النظام القائم- أو أي ثورة عليه- يمثل بالنسبة لهم شكلا من أشكال قطع الطريق «للاستيلاء» على ثرواتهم وتقسيمها.

لذلك كانت الشعارات المناهضة للثورة الجديدة جاهزة قبل قيامها بحوالي قرن كامل، فعلى سبيل المثال قال الوزير الفرنسي ماري Marie عن الحواجز التي أقامها العمال في باريس عام ١٨٤٨ عقب تمردهم ضد إغلاق «الورش الوطنية» التي كانت توفر العمل والطعام **إنها الهمجية وقد تجرأت أن ترفع رأسها أمام الحضارة» أما الجنرال كافينياك** Cavaigmac فقد حكم بالموت على هذه الثورة على اليأس والتي كانت تسعى نحو أمل بعيد.

لقد تحدث «البابا» Pie التاسع عن الثورة الفرنسية على أنها **«طاعون أحمر»**، كما صرخ دوق مورني Morny وهو الأخ غير الشقيق لنابليون الثالث القادم قائلا: **اذا رأيتم رجلا اشتراكيا عن قرب لا تترددوا أن تفضلوا عليه أي ترتازي**

سيصحا كمان، لينا تنشى حدود وطنيتى».

ويعد كومونة باريس La Cou-mune صاغ تان Taine تعريفا آليا لأية ثورة قائلا «سوف نرى أناسا أنظافا رغد تحولوا الى الجنون يعملون بشكل ضخم ولمدة طويلة تحت قيادة أغبياء، صاروا مجانين».

فى الحقيقة «أن هذا «الخوف الكبير» لم يدم إلا خمسة أيام فى عام ١٨٤٨، وثلاثة شهور مع الكومونة عام ١٨٧١ أما فى روسيا فلقد دام سبعين عاما.

فى عام ١٩١٧، لخص سيرج دى ساشان Serge de Chassin، المراسل الخاص لجريدتى «صدى باريس و «ترضيع» الهجوم على الثورة فى مقالته «نهاية العالم الروسى».

«أصبح المسجون الذى ما زال يعانى أثر السجن سيد روسيا الاشتراكية».. «يحكم روسيا رعاع الضواحى وسفلة القوم فى المدن الكبرى .. إنه عنصر الطبقات السفلى» «أصبحت روسيا على رأس أوباش العالم، صارت آلهة الريش العالمية».

هكذا اجتمعت المخاوف والكراهية كلها، سواء تلك الموجهة ضد الاشتراكية أو ضد «الهمجية الشرقية»، كما لو كانت تشير الى تنبوءات قديمة، مثل نبوءة إرنست رينان Ernest Renan الشهيرة التى أعلن فيها عن الساعة التى سوف يقود فيها العبد وراءه قطيع آسيا الوسطى من خلفاء جنكيز خان وتامرلان، مثل تنين نهاية العالم الذى يكتسح ذيله الجزء الثالث من النجوم».

كما كتب ماركيز كوستين Cus-tine أراند هذا النوع من الاسقاطات النمطية للتعبير عن الخوف، عام ١٨٣٩، فى كتابة «روسيا عام ١٨٣٩»، صيغة اتهام ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ قائلا «إذا نجح الشعب الروسى فى إقامة ثورة حقيقية فإن المذابح سوف تتحول الى شئ عادى يشبه فى تطوره تقدم الكتائب العسكرية الى الأمام، سوف نرى القرى وهى تتحول الى خنادق وسوف تخرج جماعات القتل المسلح والمنظم من الأكواخ وتتقدم فى صفوف، إن الروس يعدون أنفسهم لهذه الغارة منذ عهد سمولنسك Smolensk وحتى عهد إيركوتسك Irkoutsk كما لو كانوا يتقدمون فى تفاخر على أنقاض قصر الشتاء..».

ويصلح هذا السيناريو المجهز مسبقا، والذى لم يمكن تجاوزه لمدة أكثر من قرن من الزمن، ليكون بمثابة نموذج يقود «المعلومات» المتعلقة بالثورة الروسية، تماما كما صلح لهذه المهمة مع ثورات عام ١٨٤٨ فى فرنسا ومع كومونة باريس.

ومن .. ملصقات الدعاية التى تلخص أساليب التأثير على الرأى كلها، الملصق الخاص بـ «الرجل ذو السكين بين أسنانه» والذى أصبح بورتريها آليا للشخص الشيوعى فى كل الأزمنة، إلا أنه لعب دورا تاريخيا فى حملات عام ١٩١٩ ضد روسيا، وبفضل العزف على هذه التيمة فى صحافة هذا العصر تحت «فبركة» فى نوفمبر عام ١٩١٩ - انتخابات الغرفة التى لا يمكن العثور عليها، غرفة «الأفق الأزرق»، تلك الغرفة التى جلبت لفرنسا ردة اجتماعية أعادتها إلى مرحلة ما قبل المكاسب الإنسانية التى حدثت فى بداية القرن.

الفصل الثالث

الغزو الأجنبى والحرب الأهلية

من أجل القضاء على نهوض جماهير الشعب الروسى فى أسرع وقت ممكن، لم تستطع القوى الغربية أن تعتمد على القوى الداخلية الرافضة للثورة فقط، تماما كما لم تستطع أوروبا قبل ذلك بمائة وثلاثين عاما أن تعتمد على مهاجرى كوبلنتس أو على الاحزاب الملكية لمحاربة الثورة الفرنسية. فلم تستطع هذه القوى أن تقضى على الثورة إلا عن طريق الغزو الأجنبى لإعادة الرأسمالية، وتفريق الشعب بإشعال جذوة الفوارق القومية وفرض نظامها.

وفى غياب خيانة داخلية قوية أخذ التدخل الاجنبى شكلا عسكريا، وفى مارس ١٩١٨ رست القوات الانجليزية فى الشمال، فى ميناء مورمانسك واستولت هكذا على أرخانجلسك.

فى ٤ أبريل، استولت القوات الانجليزية والفرنسية والامريكية واليابانية على فلاديفوستوك.

ثم وصل التدخل الاجنبى إلى قلب روسيا نفسها، وذلك باستغلال فرصة تمرد ٤٠ ألفا من المسجونين التشيكوسلافيين فى سيبيريا وبعض الآلاف من القوقازيين فى دون، حتى وصلت قوات التحالف الى روسيا البيضاء. فى الوقت الذى كانت القوات الألمانية فيه (التى كانت تتعاون منذ ابريل عام ١٩١٨ مع أحد القياصرة القدامى وهو هيتمان سكوروبادسكى للاستيلاء على السلطة فى أوكرانيا) تتقدم حتى وصلت الى جزر القرم والى بلاد البلطيق، متجاوزة قواد القوات المتحالفة (الذين كانوا فى حرب مع ألمانيا أصلا) بأى رد فعل ازاء تقدم القوات الألمانية التى سمحت لهم - هكذا - بحصار روسيا الثورية من خلال جبهة تمتد من بحر البلطيق الى القوقاز، كما مكنتهم من احتلال ثلاثة أرباع الأراضى الروسية إلى جانب حرمان المناطق الرئيسية المنتجة للمواد الأولية فيها من الوقود والقمح.

وأخذ حصار اقتصادى قاس يخنق البلد بالمجاعة والاوبئة وخاصة التيفود - بهدف خلق إحداث تمرد ومشاغبة.

وقد أعطى ونستون تشرشل إلى نفسه قدرا أكبر من قدرها حينما كتب فيما بعد فى كتابه «أزمة العالم» The World Crisis (لندن عام ١٩٢٩، ص. ٢٥) قائلا أنه نظم حملة صليبية جديدة من ١٤ دولة ضد جمهورية السوفيت، ويشير رقم ١٤ من جديد ذكرى الجيوش الأربعة عشر التى جمعتها أوروبا عام ١٧٩٢ بأوامر من دوق برونسفيج للقضاء على باريس والثورة الفرنسية وفى فرنسا، أعلن كليمنصو Clemenceau أنه يجب ممارسة سياسة السلك الشائك فى مواجهة روسيا الحمراء، أما تشرشل الذى كان يكن عداء أكبر لها فقد أضاف قائلا: «لنقم حصارا صحيا على موسكو ثم ننقض عليها».

وكانت القوة الرئيسية فى حملة الدول الأربع عشرة الصليبية تكمن فى جيش دنيكين الذى لم تكن الولايات المتحدة وانجلترا توردان إليه أية أسلحة، فى حين حدد تشرشل امداداته للحملة كما يلى «لقد وفرت له بريطانيا العظمى الامدادات الرئيسية، أى على الأقل ٢٥٠ ألفا من البنادق و ٢٠٠ من المدافع و ٣٠ من المركبات القتالية الى جانب عدد كبير من السلاح والمعدات التى تم إرسالها الى نوفوروسيك عن طريق الداردانيل والبحر الاسود.

وقد ساعد بعض مئات الضباط والمتطوعين من الجيش البريطانى فى تنظيم جيش دنيكين بوصفهم مستشارين ومدربين ورؤساء مخازن أسلحة بل وطيارين أيضا.

ودون الدخول فى تفاصيل الانقلابات للكفاح ضد الغزو الأجنبى، هذا الغزو الذى أطلق عليه إسم «الحرب الأهلية» بسبب استخدام قدامى جنرالات الجيش القيصرى السابق فيه (مثل دنيكين ويودنيتش وكولتشاك ورانجيل)، فإنه يكفى أن

تعرف أنه في مواجهة جيوش تمتلك وسائل فنية (وردها لها الغرب) شديدة التقدم وضباطا محترفين كانت جماهير الشعب من الريفيين والعمال الذين رفضوا **القتال قبل ذلك ببضعة شهور من أجل قسمة جديدة للعالم نتيجة علاقة** جديدة **بين القوى** (مثل تقسيم غنائم الامبراطورية العثمانية والتي أعدت لها إنجلترا وفرنسا منذ عام ١٩١٧ من خلال «**معاهدات سايكس- بيكو**») **تعبئ كل قواها** ضد العالم أجمع في مواجهة قوات الغزو الأجنبي وعناصر الثورة المضادة المتحدثة باسم هذه القوات.

ومنذ خريف ١٩١٨ بدأت مقاومتهم في فك الحصار العسكري.

أخذت الأخطار تتزايد حتى نشأ مركز إرهابي في الداخل وسط الحصار العسكري واحتلال ثلاثة إرباع البلد، وذلك بدفعه من **سافينكوف** الذي كان يشرع الاغتيال كوسيلة من الوسائل السياسية- في ٣٠ أغسطس، جرح **لينين** في هجوم عليه بغرض قتله على يد **فاني كابلان**، كما أغتيل رئيس شرطة بيتروجراد، لذلك **قرر البلاشفة أن يواجهوا الإرهاب الأبيض بالإرهاب الأحمر مثلما حدث في فرنسا عام ١٧٩٣.**

وراح التوتر يزداد في كل المجالات لمقاومة العدوان الخارجي. وخلال ثلاث سنوات، ساد في المجال الاقتصادي ما أطلق عليه- دون حق -«**شيوعية الحرب**». **ويعترض بوخارين ولينين** على هذا التعبير **لأن الإجراءات التي تم اتخاذها في هذا الوقت لم تكن نابعة من المذهب الشيوعي بل كانت من متطلبات** الكفاح ضد الغزو، تماما مثل قوانين فينتوز «**لسان- جوست**» في عام ١٧٩٣ والتي لم يكن لها أي طابع اشتراكي حيث كانت تسخر كل طاقات الثورضدالتحالفالأوربيلأعدائها.

وحتى تتم تغذية قوات الثورة وكسوتها وتسليحها ونقلها من مكان الى آخر كان يتعين- على سبيل المثال- تأميم المصانع، خاصة مصانع الأسلحة، بهدف إعاقة عمليات التخريب الداخلي، وهكذا ضمنت القوات حصتها من الحبوب والعلف والبهائم، كما تمت السيطرة على المواصلات وتم التحكم في التجارة بشكل صارم لمنع المضار على نقص السلع.

بفضل هذا التوتر غير العادي في كل القوى، وبفضل مبادرات القاعدة الشعبية (مثل ساعات العمل الإضافية المجانية التي تبرعت بها المصانع ومثل تسليم الفلاحين تراحم طواعية، لو عيهم بأن الثورة المضادة سوف تعيد الظلم والعبودية السابقين). استطاع الجيش الأحمر أن يشن هجوما مضادا في كل الجبهات، فتحررت **أوكرانيا** من «**الهيتمانيين**» الدمويين أمثال **سكوروبادسكي** الذي تآمر مع الألمان، **وبيتليورا** المتكاتف مع الإنجليز والفرنسيين.

تدفقت موجة جديدة من الغزو بوصول ١٣٠ ألفا من جنود التحالف الى **أوديسا وسيباستوبول** لتأمين أوكرانيا بـ «حماية أثناء مدة الحرب ضد البلشفية» مع وعد بتكوين جيش من ٣٠٠ ألف رجل تحت قيادة **بيتليورا والجنرال دنيكين.**

وجرت العملية العسكرية نفسها في الشمال، حيث كتب الجنرال القيصري **يودنيتش** قائلا: «يجب احتلال الموانى والمدن الرئيسية في أقاليم البلطيق من قبل قوات التحالف بهدف إعادة الشرعية والنظام، وبهدف السماح للقوات الروسية بأن تنظم نفسها لمقاومة البلشفة».

في الشرق الأقصى وسيبريا، وفي ١٨ نوفمبر ١٩١٨، استولى الأميرال القيصري **كولتشاك**- بمساعدة التحالف- على السلطة مطالبا بتنصيبه وصيا أعلى على عرش روسيا. ووضعت الحكومة الامريكية تحت استخدامه ٢٠٠ ألف بندقية الى جانب متر لوزات ومدافع، **وبالمثل فعلت إنجلترا وفرنسا لبمصحا له بتكوين جيش من ٢٥٠ ألف رجل، تتم حماية مؤخرته على يد ٢٠٠ ألف جندي من قوات التحالف.**

أما في الجنوب، وعلى الرغم من ذلك، فقد حرر الجيش الأحمر أوكرانيا من بقايا عصابات **بيتليورا** في الأول من يناير عام ١٩١٩، وذلك بفضل عصيان البحارة الفرنسيين في البحر الأسود، الذين رفضوا في أبريل ١٩١٩ بقيادة البحار الفرنسي **أندرية مارتي** القتال ضد الوحدات السوفيتية وأجبروا الأسطول الفرنسي على الرجوع إلى قاعدته في **بيزارت.**

في بداية عام ١٩١٩ حررت القوات السوفيتية في جبهة الشرق الأورال ودخلت تركستان، إلا أنه كان عليها أن تواجه موجة جديدة من الهجمات أرغمتها على القتال في ست جبهات في وقت واحد. وبدأ القتال في جبهة الأورال وسيبريا والشرق الأقصى حيث سادت ديكتاتورية كولتشاك العسكرية والتي اتجهت في مارس ١٩١٩ - بالعدوان نحو نهر **الفولجا** في حين كان **يودنيتش** يتقدم نحو **بيتروجراد** مع القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية التي رست في الشمال.

وفيما بين نهاية أبريل سنة ١٩١٩ وبداية يونيو سنة ١٩١٩ كان جيش **كولتشاك** قد انتهى بالكامل.

وفي النصف الثاني من عام ١٩١٩، الذي وقع فيه **دنيكين** امرا بالاعتداء، على موسكو في ٣ يوليو وفي ١٢ ديسمبر وتعقب بقية جيش دينكين الذي ارتد جزء كبير منه الى أوديسا والقرم، وارتد الجزء الآخر الى القوقاز. كما تحررت **نوفوروسيك** في ٢٧ مارس. وهكذا انتهى وجود جيش دنيكين، أما مابقى منه فقد فر إلى الخارج.

أما في الشمال، فقد تراجع جيش **يودنيتش** ثم تم القضاء عليه، وهرب **يودنيتش** الى **القسطنطينية** في شهر إبريل.

وفي الجبهة الشرقية، استقال **كولتشاك** من القيادة بعد أن هزم هزيمة مريرة في **أومسك**، وقد تمت محاكمته وادانته بالخيانة العظمى قبل أن يتم إعدامه في ٧ فبراير سنة ١٩٢٠. كما حدث انتصاران آخران على الغزو الأجنبي: أولهما **على البارون والجل** في الجنوب حيث قضت القوات السوفيتية على جيشه وعاد مابقى منها الى القسطنطينية في نوفمبر سنة ١٩٢٠. وثانيهما في بولونيا حيث انتهى الأمر بتحول السلطة الديكتاتورية العسكرية الى يد المارشال **بيلدسوسكي** في مارس سنة ١٩٢١. وأثناء عام ١٩٢١ اعترف «الغربيون»- بعد فشل تدخلاتهم- بروسيا السوفيتية، بسبب وجودها الفعلي أولا ثم بسبب حقها في ذلك الاعتراف، وذلك كالآتي:

- الجلترا في مارس سنة ١٩٢١ عن طريق معاهدة تجارية مع روسيا السوفيتية
- ألمانيا في مايو
- النرويج في سبتمبر
- النمسا وإيطاليا في ديسمبر

في «التاريخ العالمي» في البلياد pleiade (الجزء الثالث، ص ٩٢١) نجد: «**مع نهاية عام ١٩٢١، انتهت الحرب الأهلية التي غذاها التدخل الأجنبي قبل كل شيء**».

---

(١) Hermidorien: **نسبة إلى مجموعة من النواب الذين اتحدوا لوضع نهاية لديكتاتورية** «روبسبيير»، مثل «**تاليان**» و«**بيجرندر**» **(المترجمة)**

النموذج السوفيتي والاشتراكية (٣)

الحزب الشيوعي السوفيتي والثقافة الاشتراكية

د. خليل حسن خليل

اذا كانت الديمقراطية بمعناها الحقيقي، أي بمعناها السياسي والاقتصادي ، لا تتوافر الا في مجتمع اشتراكي ، ترجع فيه الجماهير المؤسسات السياسية، وتسيطر فيه على وسائل الانتاج والتبادل والتوزيع ، كما اشرنا في المقالة السابقة، فان **الحزب الشيوعي السوفيتي** ، تسحبب عن طريق الجماهير البيروقراطي في عزل نفسه عن الجماهير ، وفي اغتراب تلك الجماهير عن نظام الحكم ، وعن وسائل الانتاج والمنتجات . وبذلك تفكك النظام أمام أعين الجماهير ، وهي لا تحرك ساكنا ، وكأن النظام ليس نظامها ، لم تبذل كدحها ودماؤها في اقامته ، وكأنها لم تناضل على مدى سبعين عاما ، ليصبح الاتحاد السوفيتي نظيراً للولايات المتحدة في زعامة العالم.

هذا الانعزال الذي فرضه الحزب على نفسه ، وهذا الاغتراب الذي فرضه على الجماهير ، عاق الحزب عن أن يقوم بتثقيف الجماهير ثقافة اشتراكية حقيقية ، بل عجز عن تثقيف نفسه ، إلا في الحدود التي فرضتها البيروقراطية ، والجمود الفكري عليه.

تثقيف الكوادر الحزبية:

ففيما يتعلق بالحزب، فقد حدد نفسه بمراجع معينة لم يتخطاها ، وهي **ماركس والجلز ولينين وستالين** ، ولا بأس في هذا ، فهي مراجع أساسية للفكر الاشتراكي ، لا غناء عنها. ولكن التمسك بحرفية النصوص ، تمسكا يبلغ حد الحمق ، ويتنافى مع العلم ، الذي هو عصب اساسي من أعصاب النظام . ثم الإصرار على تفسير واحد لتلك النصوص ، هو التفسير الذي اخذ به الحزب ، وبصفة خاصة منذ **«ستالين»** يعتبر تضييقا للنظرة الاشتراكية الرحبة وابتعادا عن النظرة العلمية ، التي تخضع للتطور ، وتجاهلا للقيم الرأسمالية التي ما زالت تتحكم في جانب كبير من بني الانسان ، هذه القيم التي لم تختف في الاقتصادات الاشتراكية ذاتها.

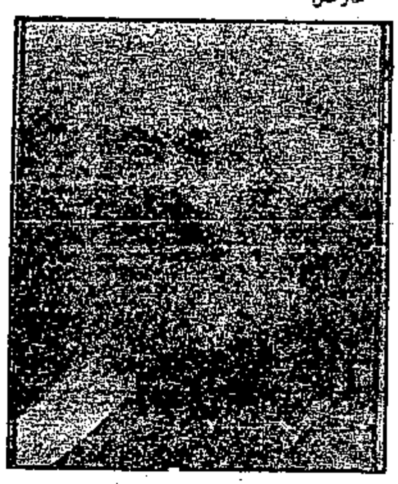
وينطبق التفسير الضيق ، الذي أخذ به النموذج السوفيتي على بعض المبادئ الاساسية ، التي تعتبر دعامات للفكر الاشتراكي ، منها التفسير المادي للتاريخ « المادية التاريخية» والمادية الجدلية وفكرة البروليتاريا ، وفكرة الملكية العامة والخاصة لوسائل الانتاج ، وغيرها.. ففكرة «البروليتاريا» ، مثلا توضح التفسير الحرفي الضيق الذي ساد الفكر السوفيتي ، وهو «الطبقة العاملة الصناعية» ، وقد يكون لمستخدمي هذا المصطلح الأوائل : **ماركس والجلز ولينين** حجة واضحة في تطبيقه على العمل الصناعي ، فهم كتاب وزعماء أوروبيون ،يرون في عمال الصناعة ، فريقا قويا منظما ، ومتجمعا في قطاع ديناميكي ، ويعتبرون تاريخيا ، أكثرتطورا من الفلاحين . لهذا فقد خوطبوا اساسا ، كقوة فاعلة في النضال ضد الرأسمالية ، التي اتضحت علاقات الانتاج والاستغلال فيها، وتطورت قوى الانتاج فبنى عليها ماركس بناء النظري ، واستخدمهالينين كطليعة للثورة.

أما الاصرار عليها في مراحل لاحقة ، أو في ظروف مختلفة ، فأمر ليس علميا ، فالعلم يتشكل مع التطور ويسهم فيه . والتاريخ يقول لنا بأن الاصطلاح يمكن ان **يتسع لغويا وواقعيا ، ليشمل الطبقة العاملة كلها بما فيها العاملين في قطاعات الخدمات، ويشمل كذلك الفلاحين ، بل يمكن طبقا لمتطلبات الثورة ،أن يشمل البرجوازية الصغيرة ، الذين تتماثل دخولهم مع العمال ، بل احيانا تقل عنهم** . ولهم مصلحة في تغيير النظام الرأسمالي ، فالرأسمالية المتوسطة والكبيرة تضيق الخناق عليهم ، وتفتك بهم ، عن طريق المنافسة القاتلة والاحتكارات.

وعلى ذلك كان منطقيا، أن تقوم ثورات كبرى ، ما زالت قائمة ، لم تفكك ، كما حدث للسوفيت ، كثورة الصين ، وفيتنام ، وكوريا . قامت تلك الثورات بواسطة الفلاحين وغيرهم من القوى الثورية الاخرى . وذلك بسبب بسيط أن هذه البلاد ، ساد فيها الانتاج الزراعي ، ولم تمض في الصناعة الى أمد بعيد.

هذا مثل واحد من أمثلة كثيرة ، ومبادئ أرساها النظام السوفيتي ، (سنعرض لها فيما بعد)، تمسك بها السوفيت ، وأصروا على تفسيرهم لها، رغم انها قد لا تكون خادمة للفكر الاشتراكي ولا للنظام نفسه وتطوره.

وهكذا اقتصرت ثقافة الكوادر الحزبية على خط واحد ، هو الخط السوفيتي ، ووقع الحزب في اطار ضيق محدود، قد يكون خاطئا ، وقد يسهم في انشاء كوادر محدودة الافق الاشتراكي. تردد ، دون احاس عميق، نكرا لم



ماركس

يتضمن ثقافة حرة متطورة .. يسهم فى تطويرها الكرادر انفسهم عن طريق المناقشة والمناظرة الطليقة، التى تشكل العقول ، وتشكل معها وجدانات المتحاورين ، بحيث يستطيع الكادر ان يعبر عقليا ووجدانيا عن الفكرة الاشتراكية ، ويمكنه ان ينقلها نقلا فعالا للجماهير.

تثقيف الجماهير:

اما من حيث تثقيف الجماهير بالثقافة الاشتراكية ، فهناك عقبات حقيقية حالت دون تلك العملية ، وأدى الأمر إلى أن الجماهير كانت غير مبالية ، حينما كان النظام يتهدم لبنة وراء لبنة.

فالكوادر الاشتراكية ثقفت ثقافة محدودة. وأحسن ما يمكن ان يقوموا به هو نقل ما تعلموا الى الناس ، والناس يسمعون كلاما لاروح فيه، فانصرفوا لاسيما ان الجماهير ليسوا شركا، فى الحكم ولا فى توجيه الانتاج ، وتوزيع المنتجات ، كما سبق القول، فبيروقراطية الحزب حرمتهم من الإحساس بأن لهم مصلحة فى النظام.

ولقد اشرنا ، عندما تعرضنا لمزايا النظام الاشتراكى السوفيتى ، ان النظام اتاح الوان الثقافة ، ومنتجاتها للشعب ،إما مجانا ، واما نظير اثمان زهيدة ، فالكتب رخيصة جدا وكذلك مؤسسات الثقافة والترفيه ، كالاوبرا ،والمسرح والباليه ، ودور الموسيقى والفلكلور وغيرها.

لكن التثقيف الحقيقى، الذى يخلق جمهورا ينافح عن نظام سياسى اقتصادى يتمشقه ، ويفخر بالانتساب اليه ، ويضمن له تحقيق المثل العليا ، التى ناضلت الاجيال طويلا لتحقيقها ، فيتنعم الانسان بمجتمع تتوافر فيه رفاهته المادية والثقافية ، ويلغى فيه استغلال الانسان للانسان وتتحقق فيه الديمقراطية والمساواة والحرية ،ويشرف الانسان فيه على انتاجه وعلى توزيع منتجاته توزيعا عادلا، حسب العمل الذى يبذل فيه كل فرد .. الى غير ذلك.. هذا التثقيف الاشتراكى الحقيقى لم يتم ، وما كان له ان يتم، بعد الطريقة التي زعد بها الكادر ، وبعد الانعزال البيروقراطى للحزب، واغتراب الجماهير عن الحكم والانتاج.

ولا يمكن للثقافة ان تنتج ثمراتها إلابوجود روح من الثقة والود بين الممارس للتثقيف ، وبين المتلقى للثقافة ، فهذا الاخير ، ينفعل حقا بما يلقى اليه ، ويستوعبه ، ويعيه حينما يعتقدأان من ينقل له الثقافة يمثل مصالحه الحقيقية، وأن هناك رابطة



لينين

عضوية بينهما. بهذا يمكن ان تتولد الثقة بينهما ، ويؤتى التثقيف اكله ، ويخلق مواطنا يشعر بأن النظام نظامه وينافع عنه بكل عزم ، ولا يقف متفرجا ، والنظام يتصدع ، وهذا قد حدث- ونكرر مرة أخرى- بسبب عيب فادح ، هو الانفصام بين الحزب والجماهير ، وما ترتب عليه من اغترابها عن النظام نفسه.

فى الستينات ،كان هناك تواصل بين مصر وبين البلدان الاشتراكية فى شرق أوروبا ، وفى مقدمتها تشيكوسلوفاكيا ، وقمنا برحلة علمية الي هذا البلد ، والتقينا ببعض الناس ، خارج الدوائر الرسمية ومن بين هؤلاء شاب مهندس حديث التخرج ، سألناه عن النظام ، فباح لنا بشكواه لا حريات متاحة لنا، دكتاتورية الحزب، لا رأى آخر. واهم من ذلك السلع «اللوكس»! المحلات هنا مقسمة الى

ستالين



نوعين : المحلات العامة وهى تبيع السلع الوطنية ، وهى طبقا لوجهة نظره منخفضة النوعية ، ولا توجد بالمحلات العامة ، السلع اللوكس المستوردة التى تبيعها محلات أخرى تبيع هذه السلع بالعملات الاجنبية : وهى غير متاحة للمواطنين ، حيث سعر العملات الاجنبية ، بالغ الارتفاع.

المهم ان لهجة المهندس التشيكى الشاب ، زادت حدة عندما كان يتكلم عن هذه السلع الترفيه.

ولما قلت له اننا نشترى السلع من محلاتكم العامة. ونعتبر هذا كسبا كبيرا، بل أن كثيرا منها ترفى بالنسبة لنا فى بلادنا ، قال: لكن بلدى كانت بلدا صناعيا قبل الحرب العالمية الثانية ، قلت له: أهم من ذلك ما ذكرته عن الحرية ، وهذه نقطة لا اختلف معك فيها . ولكنك تعلم ان الاشتراكية قامت بعد نضال كبير بواسطة الشعوب ضد مستغليها ، وشرحت له **كيف تحتكر القلة «الاقطاعية» والرأسمالية ، ملكية الأرض ورأس امال، وكيف تستنزل كدح العمال والفلاحين** ،، وتنهب فائض قيمة عملهم . وكيف برفرف الفقر والبؤس والجهالة والمهانة على الملايين العاملة ،وهى الأكثرية فى كل وطن ، وكيف ان الاشتراكية هى محاولة لاسترداد كرامة الانسان الفقير ، وتوزيع الناتج بالعدل حسب العمل الذى يبذله الفرد فى عملية الانتاج ، بهذا يقضى علي استغلال الانسان للانسان : فالمستغلون قلة تملكت الارض، ثم رأس المال فى غفلة من الزمان واستخدمتها لقهر الانسان ، وتجويعه واستعباده.

وكان رد المهندس الذى يشكو لى نظام الاشتراكية ان الحزب وقادته لا يعلمون الجماهير ذلك انهم لا يقولون لنا شيئا من هذا القبيل ، ولا يضربون لنا امثلة من بلاد العالم.

وعقبت عليه ، بان هذا امر عجيب ، فالمهمة الاولى للحزب ، هى تثقيف الناس تثقيفا مطردا وبيان ما تسببه الرأسمالية من بأساء للشعوب ، وما تحاوله الاشتراكية من الغاء تلك البأساء.

هذا المثل المبسط ، يذكرنا بغياب عنصر اساسى لربط الجماهير بنظامها السياسى الاجتماعى وهو تثقيف الجماهير ، كى تنافح عن نظامها ، الذى حررها من البؤس والبطالة والاستغلال وضرب المثل الحقيقى المصاحب للتثقيف ؛ بأن البلد أصبحت ملكا للجماهير ، وذلك بسيطرتها الديمقراطية على الحكم والانتاج.

فؤاد كامل أن ترسم مشاعر كرسى!

د. رفعت السعيد

ومرة أخرى سنلتقى مع أسماء محدده.. الاستاذ يوسف العفيفى مدرس الرسم فى مدرسة السعيدية الثانوية ، والذى تخرج على يديه أكثر من رسام مبدع (رمسيس يونان- كامل التلمسانى وغيرهما).

مرة أخرى نلتقى بيوسف العفيفى فها هو واحد من تلاميذه يكتشف موهبته ويصقلها ويتطور بها ليقدم لنا فنانا موهوبا.

ثم نلتقى ايضا بجماعة «الفن والحرية» والتى كانت ملتقى للفنانين الثائرين والمتمردين على المجتمع وعلى القوالب الفنية الجامدة.

لكننا نعود الى الطالب صغير السن الذى تلقفته يدى مدرس الرسم يوسف العفيفى، فيتلقن على يديه فنون الرسم وعشقه ، ليواصل طريقة الاكاديمى فيحصل على دبلوم المدرسة العليا للفنون الجميلة، ودبلوم المعهد العالى للتربية الفنية، ويعين مدرساً للرسم فى مدرسة ثانوية.

وعلى طريق الاخ الأكبر انور كامل ينطلق فؤاد.. ليمزج عشق الرسم بعشق الوطن ، وصخب اللون بصخب الحياة، ويصنع من ذلك كله سخطا متفجراً سواء على قماش اللوحات او على ساحة المجتمع.

وينتمى فؤاد الى «جماعة الفن والحرية» ليكون أصغر اعضائها (ولد فى ٢٨ أبريل ١٩١٩).

ويتقن فؤاد كامل فن البورتريه ، ليؤكد اتقانه لتشريح الجسد الانسانى ، ثم ينطلق من معالم التشريح إلى التلاعب بها فى مساحات سيريالية ذات زخرفات صاخبة التشكيل وصاخبة اللون معا.

وذات يوم سأله ناقد فنى كبير عن تفسير لهذه الخربشات التى تتزاحم بها لوحاته والتى تتزاحم هى أيضا بالألوان المتقاطعة ، فيرد فؤاد كامل ببساطة «أننى أحاول أن أعبر عن مشاعر الكرسى عندما نجلس عليه» ويعلق جون باستيا فى مقال بجريدة البروجريه اجيبسيان (١٦-٣-١٩٤١) على هذه العبارة قائلا: «نحن واثقون بأن الكرسى لو استطاع ان يعبر عن مشاعره لاحتج على محاولات وتفسيرات السيد فؤاد كامل».

كان هذا فى معرضه الأول (المعرض الاول للفن والحرية) اما فى المعرض الثانى للفن المستقل فإنه يتحدث عن نفسه قائلا أنه يكون «شاعرا عندما لا يكون لديه ما يشترى به ألوانه.

صامت دائما

للمرأة كلحن موسيقى أثر فعال فى خلق أجزاء صدرى. يوم صاحت أعماقى :«يا أختى الشجرة ويا أخى الحجر» غمرنى فى الوقت نفسه قانون الوجود الواحد فى كل شئ، وشعرت بالتناسق العجيب الذى يربط ويخضع كل كائن فى نظام دقيق ومعجز .. بت لا أتلق عندما لا افرق كثيرا بين شعر حصان وشعر امرأة، أو بين مقعد وجسم بشرى. إن بين الموت والحياة الدائمة معركة هائلة تنتج أكبر تشريه رهيب أواجهه فى صدرى . إن فى أغوار كل شئ روحاً تدب فيه حتى الجماد (كتالوج المعرض الثانى للفن المستقل).

اما كامل التلمسانى فيتحدث عن رسوم صديقه وزميله فؤاد كامل قائلا: «لجج من ظلمات . عالم ، يبقى يوما بعد يوم متجرداً من الشمس ، وسيظل كذلك حتى نهاية الحياة.. لجج من ظلمات ، فالرجال مصابون بالعمى لأن عيونهم تظهر كل درجات الرؤية والتلوين، ولا تصل إلى الغوص فى أعماق الحب الإنسانى.

كل فرد يمتلك عيونا ، واسعة أحيانا ، وأحيانا ضيقة. عيون سوداء بلا إبصار، زرقاء بلا إبصار ، خضراء بلا إبصار .. انه إخراج ممتلئ بالعاطفة المشبوبة يعلن بها فؤاد كامل انه يحب الانسانية المطلقة .. وحده فؤاد كامل قادر على أن يمنحها غناء . هو الذى إصطدم بهذا العالم ، وعانى كل أهوال الألم الذى جعل صمته جسداً من كل عضو صامت فى عائلة الأوجاع »(كامل التلمسانى (مقال بالفرنسية مجلة دون كيشوت ١٨-١-١٩٤٠).

لكن هذه التهويمات السيريالية لا تمضى بلا عقوبة. فقد تعرض فؤاد كامل وكل جماعة الفن والحرية بل وكل الرسامين السيرياليين لهجمات حادة وعنيفة ، وتنشر مجلة الرسالة :«ان الجماعة التى تتسمى باسم الفن والحرية لا تفهم الحرية الا على أنها فوضى لا ضابط لها ولا قانون ، كما ان مسايرة الفن الاوروبى فى تخبطاته الأخيرة ليست حرية بحال من الاحوال ، بل هى عبودية عمياء وهذا هو ما تفعله جماعة الفن والحرية» ثم وفى إشارة الى بيان الجماعة ذى العنوان التهكمى «يحيا الفن المنحط» (نشر البيان إحتجاجا على إحراق هتلر لبعض اللوحات بحجة انها فن منحط) تواصل مجلة الرسالة «اننى أؤكد بكل قواى أن هذه الرسوم هى بالفعل فن منحط» (مقال لنصرى عطا الله سرس . فن منحط برغم ذلك . العدد ٣١٦).

ويرد أنور كامل على هذا الهجوم مبرراً الاختلاف فى وجهات النظر قائلا: «والمجتمع المصرى بحالته الراهنة مجتمع مريض مختل ،

فقد الاتزان لا فى مقاييسه الخلقية فحسب بل فى أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية أيضا ».

ثم يقول « وجماعة الفن والحرية فئة من الشباب راعها ما رأت من انحلال عناصر القوة فى مصر فكرست جهودها لدراسة مسببات هذا الانحلال ، ولايجاد الحلول التى ترى انها قد تعود بالخير على الجموع . فهى ليست متأثرة بحركة أجنبية، وانما هى حركة مصرية أكثر ما يمكن أن يقال فيها أنها ستكون مهداً لنضوج الافكار الجديدة التى ستهيئ أسباب التطور لهذه البلاد » (انور كامل -جماعة الفن والحرية-مقال . مجلة الرسالة . العدد ٣٢١).

*****

الى هنا ونلاحظ أننا إزاء فنان صاحب فنيا لكنه صامت سياسياً . فهو ليس كغيره من متمردى جماعة الفن والحرية الذين كانوا يعلنون وبأعلى صوت « الفن معمل بارود » .. هو يقول عن نفسه فى كتالوج المعرض الثانى للفن المستقل انه: « صامت دائما » . ويقول عنه كامل التلمسانى انه « جعل صمته جسداً من كل عضو صامت فى عائلة الاوجاع ».

وفيما نعلم فان هذا الصامت قد نطق مرة واحدة فتفجر بما دفع المجموع إلى التصادم صداماً عنيفاً مع الأمن.. وكان ذلك فى واحد من اللقاءات الجماهيرية التى نظمت ضمن الحملة الانتخابية لفتحى الرملى (عندما رشح نفسه كأول مرشح اشتراكى فى انتخابات مجلس النواب عام ١٩٤٤ فى حى السيدة زينب»

ويحدثنا عن هذا اللقاء د. لويس عوض فيقول: فى هذا الاجتماع وجدت أنور كامل ورمسيس يونان وجورج حنين ، وبولا العلايلى وعشرات من أقطاب اليسار المصرى . تعاقب الخطباء وكان أكثرهم معتدلا فى كلامه حتى وقف فؤاد كامل ، وألقى كلمة عنيفة يندد فيها بالاخطبوط الرأسمالى ، ويطالب بتقطيع أرجل الاخطبوط ويقول كلاما كثيرا مما يعاقب عليه القانون ، وتكهرب الجو. لا أذكر كيف تدخل البعض لفض الاجتماع خشية أن يتدهور الموقف، ولكن المجتمعون قرروا الخروج فى مظاهرة فى شوارع القاهرة . وهكذا خرجنا نحو الساعة العاشرة مساء ولم يكن عددنا يزيد على مائتى شخص أكثرهم من الكتاب والفنانين ، وسرنا فى مظاهرة تهتف: « الأرض للفلاحين والمصانع للعمال- الخبز والحرية للجميع- تحيا وحدة المثقفين والعمال»(د. لويس عوض- ذكريات بعيدة- ص١٢٤).

ويكمل د. مجدى وهبه الحديث قائلا: « ووضع البوليس نهاية للحادث فصادر منشوراتنا وضربنا فى مزاح ثقيل بالمطارق».

نحن إذن امام كادر جماهيرى يعرف كيف يتفجر بالغضب الثورى فيكون أكثر غضبا وأكثر ثورية من الآخرين ، ويعرف كيف يقود المظاهرات الصاخبة صخبا يقتاد الجميع الى حالة مزاح ثقيل يضربون فيه ضرباً مبرحا من جانب رجال الأمن.

فلماذا آثر الصمت بعد ذلك؟

هل لأن كلماته كانت أكثر عنفا مما يحتمله الاصدقاء فآثر الصمت خشية عاقبة المزاح البوليسى الثقيل عليهم وعليه؟

أم لأنه آثر الصمت السياسى واكتفى بالغضب الفنى؟ ام لأنه اعتقد فى تناسق الوجود ورأى الحياة المتسقة حتى فى كرسى أو شجرة أو قطعة من حجر ، نعاش متوازناً مع العالم دونما حاجة إلى صراع سياسى يقلق ألوانه المتناغمة؟ .

المهم أننا بقدر استمتاعنا بانتاج فنى غزير فقد إفتقدنا فؤاد كامل السياسى.

ولعل هذا هو ما أتاح له زجوداً فنيا أكثر من زملائه الآخرين من ابناء جيله ومن أبناء مدرسته السياسية فى جماعة الفن والحرية.

والمهم ان فؤاد كامل عاش حياته الفنية بعمقها واتساعها ففى عام ١٩٣٧ انضم إلى جماعة « الشرقيين الجدد » ، وفى عام ١٩٤٧ انضم الى جماعة « جانح الرال » .. ثم شارك فى عشرات المعارض الهامة :ففى عام ١٩٤٧ شارك فى معرض السيريالية الدولى فى باريس ، وفى عام ١٩٤٨ شارك فى معرض الفنانين العرب الذى اقامته جامعة برديو بالولايات المتحدةالامريكية .. وهناك حصل على الجائزة الاولى وربما كان هذا التفوق الفنى الواضح دافعا له -بالاضافة الى تكهرب الجو السياسى- الى أن ينسحب نهائيا من ميدان العمل السياسى وان يتمترس نهائيا فى ميدان الفن . وفى عام ١٩٦٠ - وفى ظل رعاية شاملة للفن يقدمها وزير الثقافة ثروت عكاشة- حصل على منحة التفرغ.

وفى عام ١٩٦٨ حصل على الجائزة الأولى فى التصوير من بينالى الاسكندرية ويكتفى فؤاد كامل بذلك ..

ويرحل.







" حرب الفراولة " لخيري بشارة

أزمة السينما و الوطن : لماذا توقف المثقفون عن الحلم ؟!

أحمد يوسف

شئ ما في فيلم «حرب الفراولة» لخيري بشارة يجعلك تشعر انك امام عمل فني بسيط يسيطر عليه الافتعال والاصطناع ، أو انك نادرا ما تستطيع ان تصدق ما تراه على الشاشة من أطياف وأضواء وظلال .على الرغم من ان الفيلم يبدو على السطح قريبا من حياة البسطاء .

وقد تستطيع بعد بعض من التأمل ان ترى ان هناك في الفيلم على مستوى **الشكل جهدا فنيا لا يمكن انكاره** ، ومع ذلك فإن التشوش في المضمون يجعل الفيلم كله كأنه بلاهدف حقيقي ، حتى انه يصبح مثل قفزات بهلوانية في الهواء ، قد تبهر بها قليلا لكن سرعان ما تنساها الا أن الفيلم يضيف تجربة اخرى -وان لم تكن جديدة- في محاولات خيري بشارة الأخيرة للبحث عن طريق لنفسه وللسينما المصرية في آن واحد.

نتذكر اليوم بنوع من الحنين ان الفنان خيري بشارة كان مع أبناء جيله يسيرون في أفلامهم الروائية ، الأولى بخطى بطيئة ولكنها كانت ثابتة واثقة. إلا انهم كانوا ينظرون الى هدفهم في الأفق فيرونه ما يزال بعيدا .ولم يكن هذا الهدف المشروع الا الحلم الجميل الذي يستولي على وجدان كل فنان حقيقي ، بأن يصنع اعمالا فنية تحقق النجاح الجمالي والجماهيري معاً ، لكنهم فجأة- ومع التغيرات السياسية لخريطة الوطن العربي ، والعالم كله ، في مشاهد درامية قد تثير الضحك بقدر ما تبعث على البكاء - تسلل إلى وجدانهم -مثل الكثير من المثقفين المصريين- القلق العميق والشك العاصف في كثير من المعتقدات السياسية والفنية المتعارف عليها ، فكأن الارض الصلبة التي كانوا يسيرون عليها قد أصبحت أرضا رخوة تغوص فيها الاقدام ، أو لعلها بدت كأنها قد أشرفت على حافة تطل على المجهول فلم يجد بعضهم مناصا من أن يقفز في دون كيشوتية في الهواء ، لعله ان يعود بعد قفزته الي ارض جديدة، وهو ما يتصور الفنان خيري بشارة انه قد ابتكر فرقها منذ فيلمه «كابوريا» (١٩٩٠) ، الذي حقق نجاحاً جماهيريا هائلا ، الا ان افلامه التالية التي حاولت أن تحاكي تلك « الوصفه» الجديدة الناجحة في«كابوريا» لم تستطع ان تحقق نفس القدر من النجاح ، وأن ظل خيري بشارة يكرر القفزات ذاتها المرة بعد المرة ، فكأنه لا يكاد يبرح مكانه ابداً ، أو لعله لا يريد.

إن اردت ان تبحث عن مزيد من التحديد لتلك الحالة التي أصابت افلام **خيري بشارة ، فان عليك ان تغوص الى اعماق ازمة الوطن ، وازمة شريحة كبيرة من المثقفين علي نحو خاص** ، فيما تراه حولك من ظواهر تثير الاسى والشفقة ، وربما الغضب والخوف أيضا من مستقبل لانكاد نستطيع له تنبؤا او استشراقا إلا على نحو غامض ، لأننا بالأحرى لم نستطع بعد ان نضع أيدينا على تشخيص حقيقي نتفق عليه لأزمة الحاضر ، فكيف يمكن لنا ان نتفق على وسائل علاجه؟ ! لقد كان المثقفون المصريون الجادون-حتى وقت قريب- هم الرقود الذي لا ينفد لمقاومة سلبيات الواقع ، لأنهم كانوا يحلمون دائما بواقع آخر ممكن ، أكثر عدلا وجمالا ، وها هي شريحة كبيرة منهم تتنازل عن الاحلام ، وترى في الواقع القائم- ايا كانت مرارته- الواقع الممكن الوحيد، وتدعو إلى«الواقعية» في التعامل مع المعطيات الجديدة -وإن شئت الدقة فهي الاستسلام لهذه المعطيات- وترى في ذلك تطورا نحو النضج .. ويالة من نضج يشبه حالة الامتداد للطفولة العاجزة عن التأثير في الواقع والتفاعل معه على نحو خلاق ، أم لعله نضج الشيخوخة التي لم يعد امامها ، الا ان تقبل العجز عن الفعل ، أو حتى الحلم؟!.

تناقضات جوهرية

قد يبدو ذلك للوهلة الأولى متناقضا مع الإهداء الذي يتصدر فيلم«**حرب الفراولة**» ، يسوق فيه **خيري بشارة** العديد من الاسماء ، التي تعبر -كما يقول- عن «الجيل الجديد القادم لتحطيم سينما تقليدية ومتحفظة» (ولتصرف النظر عن دقة كلمة «متحفظة» في هذا السياق) ، فهذا الإهداء يعبر عن أمل حقيقي في المستقبل ، وتمرد على سلبيات الحاضر ، لكن سرعان ما يخيب الظن في ان الفيلم «حرب الفراولة» كعمل فني له ابعاده الجمالية والفكرية سوف يساهم على الأقل في ان يشير لهذا الجيل الجديد ولو إشارة خافتة نحو هذا المستقبل ، فهل تراه هو ذاته تجسيدا لتلك السينما التقليدية-والمتحفظة- التي يدعو لتحطيمها ؟

جوهر التناقض في مثل هذا الاهداء -بل في الفيلم كله- انه يعبر عن تمرد عميق داخل وجدان الفنان **خيري بشارة** على حاضر السينما المصرية ، الا ان هذا التمرد ينتهي الى قبول شروط هذا الحاضر ، بكل سلبياته وقواعد اللعبة فيه ، وان اكتسى هذا القبول والامتثال بغلاف من التفلسف واصطناع العمق ، مما يعيدك على الفور الى تلك النزعة «الواقعية» التي تدعو اليها شريحة كبيرة من المثقفين ، وهي الواقعية التي تنادي في أغلفة نظرية براقة بالتعايش مع معطيات الواقع ، بينما تخفي في أعماقها نزعة عملية تسعى الى انتهاز الفرص للطفو فوق امواج



التيار السائد ، لكن الامر ينتهي الى فقدان -واع أو غير واع- لدور المثقفين ورسالتهم ، في الدفاع عن هذا الوطن وابنائه ضد كل اشكال الذل والهوان ، حتى لو اقتضى ذلك ان تصارع الامواج وتقف ضد التيار.

مرة أخرى سوف يبدو ذلك متناقضا مع ما يبدو على السطح من فيلم «حرب الفراولة» **الذي تراه للوهلة الأولى وكأنه يدافع عن عالم الفقراء ، الذين يحلمون بشروط انسانية بسيطة في هذه الحياة الصعبة** ، فكيف لنا ان نقول انه يتخلى عنهم؟ لكن عن اي فقراء يتحدث فيلم «**حرب الفراولة**» ، وهو الذي يعود من جديد الى حبيلة فيلم «كابوريا» الذي **يختزل العالم الى طبقة شديدة الثراء لدرجة السفه والابتذال ، وبعض الهامشيين الذين لا يمكن ان تراهم علي انهم «طبقة» الفقراء بأية حال**، وهم الذين يعملون «بلطجية» أو قطاع طرق أو لصوصا أو «ناضورجية» لتجار المخدرات ، ويقبلون ان يعيشوا كحشرات طفيلية على عالم الاغنياء!؟

ان هذا التناقض بين عالمين شديدي التنافر هو الذي اصبح يغري خيري بشارة ، ويدعوه لاستغلاله المرة بعد المرة لتصوير «الصدام» بين ما يسميه طبقتين ، وقد ينتهي الصراع كما في «**كابوريا**» أو «**امريكا شيكا بيكا**» (١٩٩٣) الى نوع من الانسحاب او التراجع عن الاحلام ، او قد ينجح تمرد المطحونين بشكل لا يخلو من الافتعال كما في «**ايس كريم في جليم**» (١٩٩٢) ، أو قد يفضي الصراع الى معركة دموية كتلك التي شهدتها «حرب الفراولة» ، لكنه يصبح دائما بين ايدي **خيري بشارة** محاولة لصنع توابله السينمائية الخاصة التي يريد بها ان يحقق شكلا فنيا يقترب علي نحو ما من «**الكوميديا الموسيقية» التي اثارت انبهاره منذ فيلم شريف عرفه «سمع هس»** (الذي انتج عام ١٩٨٩ ولم يعرض عرضا عاما الا خلال ١٩٩١) ، كما يتحول هذا الشكل الى وسيلة ليجيب بها **خيري بشارة** عن الاسئلة التي تؤرقه ، وهذا الطموح هو ما يمنحه نوعا من التميز ، وان كانت المشكلة الحقيقية ليست هي اذا ما كانت الاجابات التي يقدمها في افلامه -على مستوى الشكل والمضمون- هي الاجابات الصحيحة، وانما اذا ما كان يطرح الاسئلة الصحيحة ، وهو ما يعيدنا من جديد الي ازمة المثقفين ، الذين يقدمون «روشتات علاج الواقع» ، دون ان يحاولوا ان يبذلوا جهدا حقيقيا في «تشخيص» امراضه!.

الصراع الزائف

يرى فيلم «**حرب الفراولة**» -الذي تقول عناوينه انه فكرة «خيري بشارة» ، بينما القصة والسيناريو والحوار **لمدحت العدل**- ان «تشخيص» ازمة الواقع هي البحث عن السعادة ، يسعى اليها الاغنياء والفقراء ، دائما فيما لا يملكونه ، لذلك يحاول الثرى ثابت وجدي (**سامي العدل**) ان ينفض عن حياته الملل والسأم بأن يغري الصعلوك حمامة السوهاجي(**محمود حميدة**) بأن يأخذ الصعلوك الى تجارب جديدة ، لم يعرفها الثرى من قبل ، لعله يذوق بذلك طعم السعادة، مقابل بعض المال الذي يرى حمامة انه السعادة الوحيدة المأمولة ، لكن اللقاء بين الرجلين ينتهي الي ان الثرى يقتنص لنفسه زوجة الرجل الفقير ، فردوس التي يدللها حمامة باسم فراولة(يسرا) ، وهكذا يكتشف الصعلوك انه فقد سعادته البسيطة التي كان يملكها ، كما فقد ذاته عندما ارتضى ان يكون وسيلة لتحقيق السعادة الوهمية التي يبحث عنها الثرى ،وينتهي الى قتلة في حفل الزفاف الدامي.

وربما قفزت الى ذاكرتك على الفور اسماء افلام مصرية قديمة مثل «**لو كنت غني**» (١٩٤٢) أو «**سفير جهنم**» (١٩٤٥) لكن الاقرب الى الذهن هو افلام امريكية معاصرة «**شهر عسل في لاس فيجاس**» و «**عرض بذيء**» ، فهذه الافلام - وغيرها -تحمل الفكرة المحورية ذاتها التي تتسبب عناوين «**حرب الفراولة**» الى خيري بشارة ، وان كنا نتصور ان ما يعنيه حقا بالفكر ، هو ما اسماه في «**ايس كريم في جليم**» باسم «التوليفة الغنائية والدرامية» ، فتلك التوليفة هي ما تشغل حيزا كبيرا من اهتمامه كما يبدو من افلامه الاخيرة ، وربما كان هذا الاهتمام بالشكل هو ما يجعل تلك الافلام تفقد- فيلما بعد فيلم- بريقها الأول- ويكفي ان تقارن بين وهج «كابوريا» وانطفاء «حرب الفراولة» ، لكي تدرك ان «التوليفة» **التي بدأت شكلا من اشكال التمرد اصبحت تتسم خلال سنوات قلائل بالتقليدية**.

ويكفي أيضا ان تقارن من ناحية أخرى بين «**حرب الفراولة**» وفيلم **داود عبد السيد «البحث عن سيد مرزوق»** ، فكلاهما يتحدث عن هذا الصدام بين عالمين ، يحمل البريق الزائف أحدهما إلى أن يسعى نحو الاخر حتى يكتشف الحقيقة المريرة انه فقد عالمه القديم دون ان يجد بديلا ، لكن «**البحث عن سيد مرزوق**» -الذي يمضي مثل «**حرب الفراولة**» باسلوب الفقرات المتتابعة بدلا من الدراما المتصاعدة -يبحث في اعماق هذا الصراع عن الاسئلة الحقيقية ، بينما يكتفي «حرب الفراولة» بترديد الاجابات الجاهزة التي لا تشفي غليلا ، لأنها تحول القضية الى صراع شديد السطحية والزيف ، كما تتحول الفقرات الى «نمر هزيلة» تثير السخرية والآسى ، على «فبركة» الفيلم على هذا النحو، وهو الامر الذي قد يتحمل السيناريو بعضا من مسئوليته ، اذ افتقد- «**امريكا شيكا بيكا**» لنفس المؤلف- ادراك أهمية التفاصيل الرقيقة الدقيقة في رسم الشخصيات ،والتفاعل بينها والتطور الذي يجب تشكيلها مع تطور الاحداث ، بل ان «النمر» التي تراها على الشاشة- كما سوف يتبين لك لاحقا - يمكنك ان تستبدل ايها بالاخر ، او ان تحذف منها ما شئت ، دون ان يؤثر ذلك على التطور الدرامي ، لأنه ليس هناك في الحقيقة أي تطور درامي !! لكن المسئولية الاكبر في التسطيح والافتعال اللذين اتسم بهما الفيلم، تعود الى «توليفة خيري بشارة» التي لا ننكر طموحها ، لكننا

ايضا لا نستطيع ان نتجاهل «تلفيقها» وانتقائيتها المتعجلة.

نمطية الشخصيات والاحداث

وذلك ان تتصور ان الشخصيات جميعها- الرئيسية والثانوية- تقدم نفسها دائما في «مونولوجات» طويلة، يحشرها الفيلم حشرا كأنها نوع من المعلومات في أي مكان كلما اتفق له ذلك، لتعرف ان الثرى ثابت وجدى الذى ينحدر من اصول متواضعة يبحث لنفسه عن جذور.. فيشترى قصرا لارستقراطى قديم، ويظل محتفظاً بمقتنيات القصر ليشعر بانتمائه لهذه الطبقة. الارستقراطية التى تحللت ولم يبق منها الا شخصيات مثل الفتاة لولا (سحر رامى) التى تعيش حياتها دون قيود، وتحاول ان تضفى السعادة على حياة ثابت وجدى- رمز الاثرياء الجدد- لكنه يرفض الخروج من قوقعته التى يلازمها منذ غرق ابنه الوحيد، وتراه يتشدق خلال الفيلم بعبارات متفلسفة عن العبث والنيرفانا، بما لا يمكن ان تصدق لحظة واحدة انه يصدر عنه. (وربما زادت وطأة هذا الحساس ذلك الافتعال الشديد فى اداء سامى العدل، منتج الفيلم)

من ناحية أخرى، فان حمامة، (الذى بذل **محمود حميدة** جهدا فائقا لاضفاء الحيوية على شخصيته) يعيش يوما بيوم ويتنقل بين مهنة و أخرى، ويدافع عن نفسه وحقه باستخدام مطوته التى لا تفارقه، ويجد متعته فى الذهاب بصحبة صديقاته الى دار السينما الشعبية، ويحفظ عن ظهر قلب مونولوجات «الاستاذ اسماعيل ياسين» حتى انه يتحنا باداء مونولوج «قل لى يا صاحب السعادة» كاملا، كما سوف يتعنا فيما بعد بأغنية عبد الغنى السيد «ولد ياوله»، مع رقص يسرا، بالاضافة الى اغنيات ورقصات أخرى فى اجزاء مختلفة من الفيلم، فتلك هى حياة الفقراء السعيدة كما يراها خيرى بشارة، والتى سوف يلدثها الثرى عندما يسرق منهم سعادتهم، أما عن فراولة فهى أرملة سابقة، نادرا ما تخلع ثياب الحداد، تكسب عيشها من بيع الزهور فى الشوارع، الا ان الفيلم يصورها دائما -فى نمطية ساذجة- رهى فى ملابسها السوداء (مع بنطلون بيجامة) ممسكة بباقة الزهور اينما ذهبت، الى دار السينما مع حمامة او عندما ترافقه الى قصر ثابت وجدى.

ان هذا التنميط يمتد الى أم حمامة (أمينة رزق)، بائعة الفجل سليطة اللسان، والتى لا تنتأ تعرب- فى كل المواقف حتى أكثرها حساسية وتوترا- عن اعتراضها على زواج ابنها من ارملة. كذلك الصعلوك رزّة (محمد لطفى) الذى لا يفيق من غيبوبة المخدرات، وقد يعتدى على حمامة أحيانا، لكنه يصبح فجأة «ابن بلد» شهما يدافع عن «ابن حتته»، وان ظل فى الحالتين يتحدث فى هذيان الغائب عن الوعى.

وعبر «النمر» المتلاحقة سوف تقابل شخصيات مسطحة أخرى، خلال رحلة بحث الثرى عن السعادة، التى يطلب من الصعلوك حمامة ان يحققها له، مرة بأن يشترك الجميع -الثرى وصديقته لولا، وحمامة رأمه العجوز وفراولة- فى سرقة بنك، لأن الثرى يجد لذة أحيانا فى أن «يخرج برة دايرة التعليمات المحظورات» فيتفتق ذهن صناع الفيلم عن تنكر الجميع فى ثياب الرهبان، مما يخلق بعض النكات الغليظة، وبعد ان تتم السرقة يصارحهم الثرى بأنه يمتلك البنك!! مرة أخرى يقرر ثابت وجدى ان يتنكر هو وحمامة فى ثياب النساء ليجرب الاحساس بان يكون «الجنس الاخر» فيقبض عليهما كعاهرتين، ليتقابلا فى الحجز العاهرة جنات (ثناء يونس) التى تستطرد دون مناسبة فى مونولوج طويل عن اضطرارها لبيع جسدها: «على كل لون يا رجالة»، أهون عليا ابيع نفسى ولا أبيعش ولادى، يا ترى لما ها يكبروا هايعرفوا انا عملت كده ليه، واللاها يضربونى بالجزم هما كمان؟» ويتعلق احد المحامين الصغار (علاء ولى الدين) بحمامة المتنكر فى ثياب امرأة، ويتغزل فيه: «فبكى غموض وعينين حزينة، وفى نفس الوقت شقاوة، انا اول مرة افقد اتزانى. من أول نظرة وقعت فى هواكى»، مما يدفع حمامة للاعلان عن انه رجل، فماذا تنتظر من الشاب ان يقول؟ فلتستمع الحوار الذى وضعه السيناريو على لسانه، ولتحاول ان تسأل نفسك عن علاقته بالحدث: «شكلى دايما بيبوظ كل حاجة، مفيش اي علاقة بتكتمل مع الجنس الآخر معايا» !! فالعلاقة الوحيدة هى الاستغلال الفج لبدانة الممثل علاء ولى الدين.

وهكذا تستمر «النمر» شديدة السذاجة، فيطلب ثابت من فراولة ان تتنكر بدورها فى ثياب رجل، ويقنعها بأن تحاول ان توقع فى حبائلها امرأة عجز ثابت عن اصطيادها، أو يطلب من حمامة ان يذهبا الى الصحراء على شاطئ البحر حيث يتحدث عن رغبته فى التخلص من اغراءات المادة، ويغرق سيارته الفارهة فى البحر فى أكثر مشاهد الفيلم اثارة للسخرية، حين استخدم خيرى بشارة الخدع التليفزيونية باسلوب ساذج، وهو يتصور ان ذلك سوف يثير اعجاب المتفرجين! وأخيرا فان الثرى يطلب من حمامة أن يرشح نفسه فى الانتخابات، لأن السعادة قد تكون هى السلطة، فيعيد لك الفيلم مشهد الانتخابات التقليدى وما تتوقعه من ردود حمامة المراوغة المختلفة فى سوقية- على طريقة- «المعلم رضا» على أسئلة الناس فى السياسة والاقتصاد، المهم ان يفضى كل ذلك الى انتزاع الثرى لفراولة، مما يدفع حمامة الى قتله فى

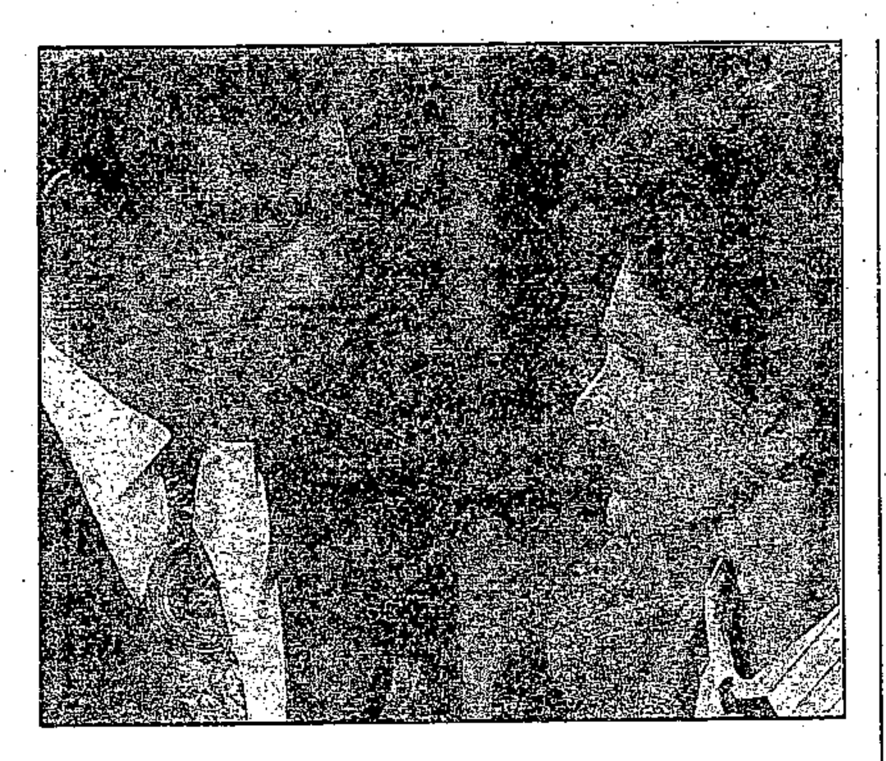


لقطة النهاية.

طريق الخروج من الأزمة

ان هذا التلفيق في احداث الفيلم يمتد الى شكله الفني ، والاسلوب البصري الذي اختاره خيري بشارة في محاولته لاضفاء بريق زائف على ذلك العالم الفني شديد السذاجة والسطحية والافتعال ، فلا تدري لماذا استخدم اسلوب «الفلاش باك» في مشهد واحد يحكي فيه حمامة عن احدى مغامراته حين اصطحب امرأة في السينما ، مما عرضه لبعض المضايقات ، فصمم على ضرب كل الحاضرين على أنفقيتهم انتقاما!! كما لا تدرى لماذا استعان بالفانتازيا في مشهد واحد أخر يؤدى فيه حمامة مونولوج اسماعيل يسن ، فترى على الشاشة مونتاجا متلاحقا يتبادل فيه الثري والفقير وضعهما وثيابهما ، دون ان ينبئك ابدا من اي وجهة نظر تم تصوير هذه اللقطات ؛ وعبثا تحاول ان تجد معنى او سببا لاستخدام لقطات من العاب الفيديو يحشرها في سياق بعض الاحداث ، دون ان تدري من اين تأتي ، الا ان يكون تقليدا ممسوخا ، في غير موضعه ، لبعض اساليب جودار في التغريب ،(ولتقارن بين ذلك وبين الاستخدام الواقعي لمحمد خان للحيلة الفنية ذاتها في «**سوبر ماركت**»)، أو استخدام لقطات تسجيلية ليست لها اي علاقة بأحداث الفيلم ، الا ان تكون وسيلة لدفع الملل عن تنفيذ بعض الاغنيات والرقصات ، وهي التوابل -كما يتصورها خيري بشارة الضرورية لكى تحقق لتوليفة الفيلم النجاح.

لكن«التوليفة» هذه المرة حققت فشلا ، يزعم صناع الفيلم انه يعود لعرض «**حرب الفراولة**» في مهرجان القاهرة السينمائي في العام الماضي وخروجه بدون جائزة، مما اوحى للجمهور انه فيلم ضعيف لا يستحق المشاهدة ، لكن مصير «**ديسكو ديسكو**» الذى حصد أهم الجوائز في مهرجان السينما الروائية ، بينما لم يستمر في العرض الجماهيرى الا اياما معدودة ، يؤكد بطلان هذا الزعم وغرابته ، وان كان صناع «**حرب الفراولة**» صادقين مع انفسهم حقا ، فان عليهم ان يبحثوا عن الاسباب الحقيقية لهذا الفشل ، التى نراها جزءا من ازمة اعمق واشمل ، هى ازمة المثقف الذى تخلى عن دوره القديم واكتفى بأن يمضى مع التيار السائد ، حتى لو بدا وكأنه يعلن التمرد عليه ، بأن يفلسف الاخفاق والاستسلام لشروط الواقع القائم.



دون ان يبحث عن واقع ممكن جديد.

وكثيرا ما يردد **خيرى بشارة** ان افلامه قد تبدو اليوم غير مفهومة ، وانه سوف يتم تقديرها حق قدرها بعد سنوات (ولقد اصبح ذلك المبرر تقليديا نسمعه اليوم كثيرا في ميادين الثقافة والسياسة) ، وربما كان هذا صحيحا من وجهة نظره، لكن الا يبدو الامر وكأنه يحتاج الي بعض المراجعة ، واذا كان -وهو الذي يتنبأ بالمستقبل- يرى الواقع الحاضر بما يحتمه عليه دوره كمثقف يحاول ان يكشف عن جوهر هذا الواقع ، وربما يكون **خيرى بشارة** قد تخلى عن بعض من نظراته الجمالية والسياسية السابقة ، لكن الاهم هو انه ما يزال ينظر الى العالم من خلال تصوراته عنه ، فالاثرياء الذين نراهم على الشاشة في افلامه ينتمون الى عالم **فيلليني** «**والحياة اللذيذة**» أكثر من انتمائهم للواقع المصرى ، وفقراؤه بدورهم ليسوا الا مسوخا مشوهة ، لا تستحق ابدا ان تخرج من الجحور والشقوق التي تعيش فيها ، فهم ينعمون بالسوقية والابتذال ، ويتعرفون على بعضهم البعض بروائحهم القذرة الكريهة (!) ، لكنهم يرفضون ايضا تغيير هذه الروائح لأنها تعبر عن اصالتهم(!!) وهم يغنون ويرقصون ويتعاركون ويتبادلون البصقات في استمتاع ، لكن الفيلم يحاول ان يثير فينا بعض التعاطف المفتعل معه، من خلال مونولوجات متباكية على طريقة «كلنا اراجوزات لازم نوطى عشان ناخد على قفانا ونضرب تعظيم سلام للباشا كمان..» أو «كلنا خايبين ، نفضل نضحك على الفاضية والمليانة وفي الاخر نميط».

ليس غريبا اذن ان ترى وسط شريحة كبيرة من المثقفين -ورؤيتهم للواقع لا تختلف كثيرا عن رؤية صناع فيلم«حرب الفراولة» -تلك الازمة الحقيقية التى تضرب بجذورها اليوم في تبريراتهم التى يسوقونها لانفسهم للاستسلام والاذعان.

ولقد أصبحوا مجرد أدوات لقوى لا تريد لهذا الوطن أن يعبر ازمته ، فجعلت المثقفين جزءا من هذه الأزمة ، واذا كانت هناك بداية حقيقية للخروج منها فهى أن يعود المثقفون والفنانون للاحساس بخطورة رسالتهم ، وان يتخلوا عن **قبول كل النظريات المصطنعة التى تبرر الواقع ولا ترى فيه امكانيات التغيير** ، لكن الاهم هو أن يتخلوا أيضا عن تصوراتهم الجاهزة عن هذا الواقع ليقتربوا ويتعرفوا عليه ، فكما ان التاريخ لن ينتهى كما يتصور من صدقوا أصحاب التنظير للنظام العالمي الجديد المزعوم، فان داخل هذا الشعب طاقة هائلة على ان يكسب كل الحروب ، لكن من المؤكد انها ليست ابدا بالطريقة التي خسر بها خيرى بشارة «حرب الفراولة».

في مهرجان نانت لدول القارات الثلاثة

التوزان السينمائي يختل لصالح آسيا.. والمكسيك تفوز بذهبية المهرجان

ماجدة موريس

رسالة نانت

هل هناك سينما منفصلة عن الأوضاع السياسية في مجتمعاتها؟ الاجابة بالنفي.

فالسينما مثل السياسة ... تتغير فيها موازين القوى وتتبدل لتصبح تعبيرا عن مجمل الوضع العام وحالة الازدهار أو الهبوط، ليس على مستوى الدول فقط ولكن على مستوى القارات، وهو ما يتأكد منذ سنوات في مهرجان نانت السينمائي الدولي لدول القارات الثلاث (أفريقيا- آسيا- وأمريكا الجنوبية).

فالمهرجان مهرجان اوروبي لسينما القارات التي تمثل ثقافات مختلفة، ومن أهدافه أن يقدم عرضا متوازنا لهذه الثقافات، لكن ليس كل ما يتمناه المهرجان يتحقق حتى وهو يقدم هذه الخدمة والمساحة المفتوحة للسينما التي عادة ما تكون مجهولة من قبل جيرانها في نفس القارة، فنحن هنا في مصر لا نعرف إلا القليل عن السينما الافريقية، وهم كذلك في آسيا الخ.. ومن هنا تأتي أهمية هذا المهرجان وقضيته معا .. فضيوفه لا يعرفون بعضهم البعض إلا قليلا، بالاضافة الى انهم في عالم غير مستقر، وهكذا يصبح المهرجان وكأنه



الراس

منفرلها



ميزان للاهتمام بالسينما فى القارات الثلاث التى تضم دول العالم الثالث تقريباً .

وأول الظواهر تقدم قارة آسيا، وبروز بلاد لم يكن لها ذكر على ساحة السينما لسنوات قليلة مضت وليكون المهرجان أبلغ تعبير عن «النهوض» الاسيوى و «القعود» الافريقى - اذا استثنينا مصر وشمال افريقيا (تونس والجزائر والمغرب) ، ولكن حتى هذه الدول الشهيرة بأنها تصنع السينما فى افريقيا أصبحت حالتها صعبة بالمقارنة بالنمور الآسيوية السينمائية تايوان وهونج كونج وكوريا الجنوبية وفيتنام بالاضافة للصين واليابان وحتى اندونيسيا بدأت تتواجد مع استمرار التواجد السينمائى الهندى والإيرانى القديم.

ويضاف الى ذلك ابواب جديدة تفتح من خلال المنظور الاسيوى لسينمائيين مبدعين كانوا حتى سنوات قليلة ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتى العملاق، والآن أصبحوا ينتمون إلى جمهوريات جديدة ، آسيوية ، مثل كازاكستان، أذربيجان، طاجيكستان ومنغوليا .

ومن هنا أصبح صعبا إقامة توازن بين كل هؤلاء وبين السينمائيين الافريقيين الذين لم ينتجوا طوال عام ١٩٩٤ إلا ثلاثة افلام ، عرض أثنان منهم(المهاجر) ليوسف شاهين ، و(صمت القصور) لمفيدة تلاتلى فى مهرجانات عديدة ثم ذهبا الى تانت بالطبع بعيدا عن المسابقة بالاضافة لفيلم من ساحل العاج بعنوان(واريكو)وفيلم من غينيا بيساو بعنوان (أكزيم XiME) وهذا هو كل حصاد السينما الافريقية فى عام كامل، ثلاثة افلام ، ففيلم ساحل العاج ينتمى للعام الماضى . ومن هنا لم يكن غريبا ان تخلو المسابقة الرسمية للمهرجان من فيلم افريقى وان تضم ١١ فيلما ٩ منها آسيوية وأثنين من أمريكا الجنوبية ، وأن يقدر المهرجان هنا فيختار فيلم (المهاجر) ضمن عروضه الرسمية ، خارج المسابقة ، فى حفل الختام . أما بقية الأفلام الرسمية السبعة -خارج المسابقة من ضمنها فيلمان من تايوان وفيلم لكل من أندونيسيا وإيران واليابان وفيلم من البرازيل حتى تكتمل القارات الثلاث فى (الاختيارالرسمى) .. بينما تم وضع الفيلمين الافريقيين (واريكو) و(أكزيم) ضمن البرنامج الاعلامى الذى ضم عشرة أفلام سبعة منها أسيوية ، بينها اربعة عربية هى(بيروت يا بيروت) لمارون بغدادى و(حتى اشعار آخر) لرشيد مشهراوى من فلسطين و(صهيل الجهات) لماهر كدو و(كومبارس) لنبيل المالح من سوريا ، وهذه الافلام الثلاثة الأخيرة انتاج العام الماضى واصحابها لم يقدموا افلاماً جديدة هذا العام بل أن السينما السورية كلها انتجت فيلما واحدا عرضه مهرجان القاهرة فى دورته الأخيرة وهو (آه يا بحر) للمخرج محمد شاهين..

سينما من منغوليا والفلبين

استمر المهرجان فى هذه الدورة- التى اقيمت فى الفترة من ٢٢- ٣٠ نوفمبر، وهى دورته السادسة عشرة فى الكشف عن السينما المجهولة ، وفى تكريم السينمائيين من العالم الثالث . فقدم برنامج استرجاعى (ريتروسبكتيف) عن السينما المنغولية ضم افلاما هامة تكشف عن التطور الاجتماعى والصراع بين الجديد والقديم فى هذه الدولة التى لا نكاد نعرف عنها شيئا ، وأيضا قدم المهرجان برنامجاً خاصاً للسينما الفلبينيةالحديثة (١٩٧٧ -١٩٩٤) تضمن رؤية أخرى للصراع الاجتماعى فى نهايات القرن العشرين فى هذه الدولة الاسيوية التى لا تعرف عنها الا مفردات قليلة بالاضافة لقصة اميليدا ماركوس وكورازون اكينو!

العالم أصبح مسخره..

وفى منظور التكريم ، اختار المهرجان مرحلة سينمائية كاملة عاشتها السينما المحلية البرازيلية منذ منتصف الاربعينات الى نهاية الخمسينات وسميت هناك بمرحلة «الشانشادا».. وتعود جذورها الى الاحتفالات الكرنفالية الشعبية البرازيلية الشهيرة ، بما تتضمنه من رقص السامبا المحلية واشكال التعبير الارستقراطية المختلفة ، والتى تطورت على يد عديد من السينمائيين ووجدت منفذاً لها من خلال فن السينما ، وتحولت إلى أعمال درامية تتضمن الكثير من الكوميديا والمواقف الساخرة والرقص والغناء ، خاصة على يد المع مخرجيها ،واتسون ماسيدو الذى قدم له المهرجان ٣ أفلام منها فيلمه (العالم أصبح مسخره) الذي اخرجه عام ١٩٤٨ ضمن ١٥ فيلما تمثل هذه المرحلة أختتمت بفيلم المخرج الشهير كارلوس مانجا (رجل السبوتيك) الذى صنع ليسخر من القوى العظمى فى اواخر الخمسينات امريكا والاتحاد السوفيتى. وبالاضافة لمانجا وماسيدو ضم البرنامج افلاماً لافضل مخرجى هذه المرحلة مثل جوزيه كارلوس بيريل وادولفوسيلى وجوزيف بوجوسلاماتانكو.

والبرنامج الاخير ، وهو تكريمى ايضا ، كان للمنتج التونسى الاشهر الآن أحمد عقبه الذى أنتج على مدى السنوات العشر الماضية عدداً من أهم الافلام العربية مثل ثلاثية نورى بوزيد (ريح السد)و(صفائح من ذهب) و(بزنس)وللفريد برجدير فيلمه (الحلفاوين) ولمنصف ذويبى(يا سلطان المدينة).بالاضافة لفيلم عن حرب الخليج عام ١٩٩٢ شارك فى اخراجه مخرجون عرب والفيلم الاخير (صمت القصور) لمفيدة تلاتلى.

الجزيرة المضيئة

بين أفلام المسابقة تميزت الافلام القادمة من امريكا الجنوبية -وهما فيلمان من المكسيك وشيلى بمستوى فنى عال لم

جرينتان .. المكسيك



بجانبهما نجد الا فيلم من كوريا الجنوبية (الجزيرة المضيئة) للمخرج «بارك كوانج سو» الذى يعرف جيدا كيف يسيطر على ادواته وعلى ممثليه ، ويقدم الفيلم دراما ملحمية عن فترة سبقت الحرب الكورية التى انتهت بالتقسيم الى كوريتين . ومكان الاحداث فى جزيرة صغيرة قليلة السكان يعرفون بعضا ويتكاتفون فى تدبير امور المعيشة ويحلون ازماتهم معا ، الجزيرة اسمها كويسونج والاحداث تبدأ فى الفيلم منذ اللحظة التى يعود فيها البها العجوز «سون -ديك- با» وقد شعر بأنه مرشك على النهاية ، وبالفعل يموت وسط اهله فى احتفالية تحققت فيها امنيته الاخيرة ، وهى اطلاق رفاته بعد حرق الجثة فى هواء الجزيرة ، ولكن الامر لا ينتهى بسهولة ، فرفاقه القدامى يتذكرون فى الأيام الخوالى ، وخاصة كيم ثول الشاعر المولود مثله فى الجزيرة والذى تتدفق ذكرياته لتلتحم بذاكرة ابن المتوفى الشابعون -شاركو ، فيتذكر طفولته ووفاة أخته وأصابة أمه بمس عقلى بعدها وفشل علاجها ثم عودتها لتمضى ايامها هائمة. وتصل إلى الجزيرة فى ذلك الحين فرق الشيرعيين لتعلن عن الحكم الجديد وتتغير الحياة فى الجزيرة فقد جاء «الرفاق» بتقسيمات للبشر لم تكن معروفة من قبل ويحمل الفيلم فى جزئه هذا ادانة للشيرعيين بشكل اقل فنية وأكثر مباشرة ويحمل اسلوبه منذ البداية ولكنها ادانة الشكل والتنظيم العسكرى للحياة المدنية يرفضه كل البشر فى عمومهم لأنه قائم على فكرة «أهل الثقة» ومبدأ الاختيار بلا اي منطق سوى «الشكل» والهيمنة .. وكلها أمور يرفضها كل البشر الاسوياء بالطبع.

تامير يدفع الثمن

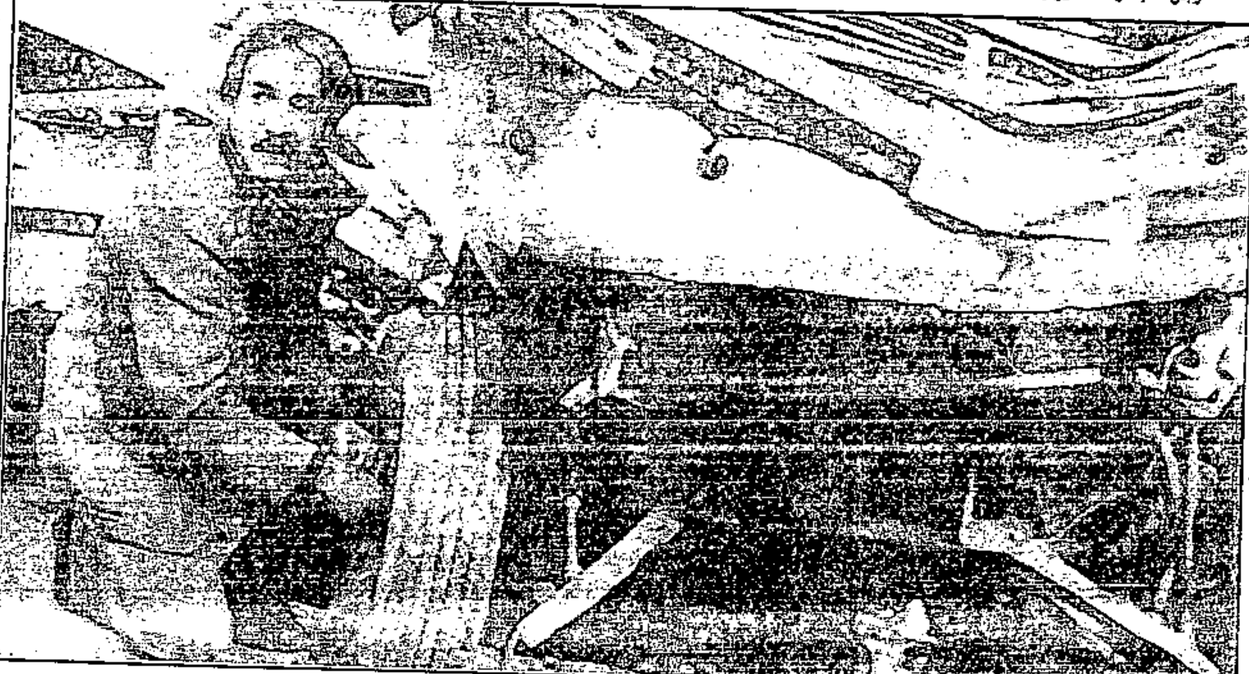
ويطرح الفيلم المنغولى (الداس) قصة الشاب تامير الذي يترك الحياة المتقشفة مع جده فى صحراء منغوليا الى العاصمة ، حيث يتم اختياره ضمن الفريق القوى للملاكمة. لكن تامير يسقط فى اختيار الجنس الاخر ويقع في شباك فتاة لعوب امريكية الاسلوب والملبس ، يتضح له فيما بعد انها سارانجوا إبنه مدربه الذى لا يعلم بالعلاقة ، والذى يلاحظ فى الوقت نفسه تدهور مستوى هذا الشاب الجبلى القوى الذى كان أمله فى بطولة العالم القادمة ، ويقدم الفيلم ضمن هذه القصة الجو الاجتماعى والمناخ الذى يتكرر فى كثير من دول العالم الثالث الآن حيث تسعى نسبة غير قليلة من الشباب للحياة على الطريقة الغربية،وحيث تجنى طبقة«البكرات» واصحاب النفوذ والمناصب العليا مكاسب وعمولات هائلة تضعها فوق الجميع ، ويدفع الثمن فى النهاية الشاب الذى لا يحميه احد فيحمل وحده جريمة قتل قام بها اخرون من ابناء تلك الطبقة ويدخل السجن ، ويصبح دمه معلقا في رقبة المجتمع والفتاة والاب الذى علم ولم يستطيع ان يقول الحقيقة خوفا من مواجهة الطوفان والغرق!

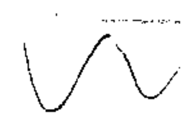
انه فيلم يكشف منغوليا التسعينات التى اختلفت كثيرا عن منغوليا العشرينات والثلاثينات كما قدمها البرنامج الاسترجاعى الذى ذكرناه فى البداية.

البحث عن سفاح قديم

يأتى فيلم شيلى (أمنسيا) ليقدم دراما عميقة عن الحرب التى لا تنتهى اثارها داخل النفس البشرية ولو اعتقد البعض غير ذلك ، ففى لحظة ما تخيل الى راميرز الكاتب وهو عائد مع زوجته الى المنزل انه رأى رجلا يعرفه ، ويقفز من الاتوبيس وراءه ويتابعه حتى يختفى ، ولكن راميرز لا يهدأ فقد كان شبح الرجل- واسمه زينيكا يطارده لمدة ربع قرن كامل منذ كانا يعملان معا فى احد معسكرات الاعتقال ، وكان هو يقضى مرحلة تجنيده بينما كان الاخر ضابطا ، لقب سفاح المعسكر لشدة قسوته .. وتعود الذاكرة براميرز -فى فلاش باك طويل- الى سلوك زينيكا وتصل الى مشهد يأمر فيه راميرز باطلاق النار عشوائيا على بعض المعتقلين لكنه يرفض ، وعندئذ ينفذ زينيكا القتل ، ويعاقبه ويكتشف راميرز بعدها ان احد الموتى لم يمت فيتركه حيا ، ويظل يتذكر تلك

رجل عهدان... ايران





المرحلة حتى يقابل ذلك الميت الحي فيقرر البحث عن السفاح الذى كان مختبئا وفى نهاية الفيلم يجتمع السفاح والمجند القديم الذى يفاجئه بالرجل الثالث قائلا ان لديه امانة قديمة تجاهه ويدرك السفاح ان ضحيته وسيقتله .. لكن راسيوز يقترح عليه ان يتركه حرا طليقا فهو لن يرى النوم بعدها وسوف يعيش بقية ايامه ينتظر انتقام بقية الضحايا . والفيلم من اخراج جونزالو جوستنيانو.

وفى الفيلم الايرانى (رجل من عبدان) للمخرج كيانوس يايارى رؤية لغموض الحياة فى ايران من خلال قصة لاجئ حرب من ميناء عبدان يعيش فى طهران بعد ان باع كل ما يملك ولم يعد يملك الا سيارته يؤجرها هو وابنه ، لكنها تسرق ذات يوم ، وبعد بحث طويل عنها فى كل اماكن طهران وخراباتها يقابل رجلا يتوسط له فى مقابلة سارق سيارته .. ويكون على الرجل ان يحاول استردادها ، وان يدفع تعويضا للسارق.



الجزيرة المدهشة

جريمتان لمواطن واحد

ويعبر الفيلم المكسيكى (جريمتان لرجل واحد) عن وجهة نظر مخرجه ومؤلفه روبرتو شنيدر فى الصراع الاجتماعى الآن فى المكسيك ، والذى تنحدر فيه الطبقة الثرية الى ادنى المستويات بسبب الجشع ومحاولة امتلاك المال والقوة ، بينما تدفع الطبقة الوسطي الثمن مكررا ، وهى رؤية عبر عنها فيلم مكسيكى آخر للمخرج ارتورو ريشتين مأخوذ عن رواية لنجيب محفوظ (بداية ونهاية)، وقد عرض في نانت فى العام الماضى ، وحصل على ثلاثة جوائز بالاضافة لحصوله على الجائزة الكبرى لمهرجان سان سباستيان السينمائى الدولى عن نفس العام.

فيلم (جريمتان) يمتاز بالمقدمة الحرفية العالية من مخرجه الشاب وبالمقدرة على استخدام الضوء والظل فى لقطات درامية أشبه باللوحات الفنية المعبرة عن الواقع والرمز معا. وعناصر المأساة فيه برغم واقعيتها تبدو كما لو كانت قدرية فالانفلات من قبضة الفقر والظروف الاجتماعية المحيطة وتآمر الاغنياء هى عناصر اساسية فى هذه الدراما ، تماثل تماما دراما (بداية ونهاية) المكسيكية.

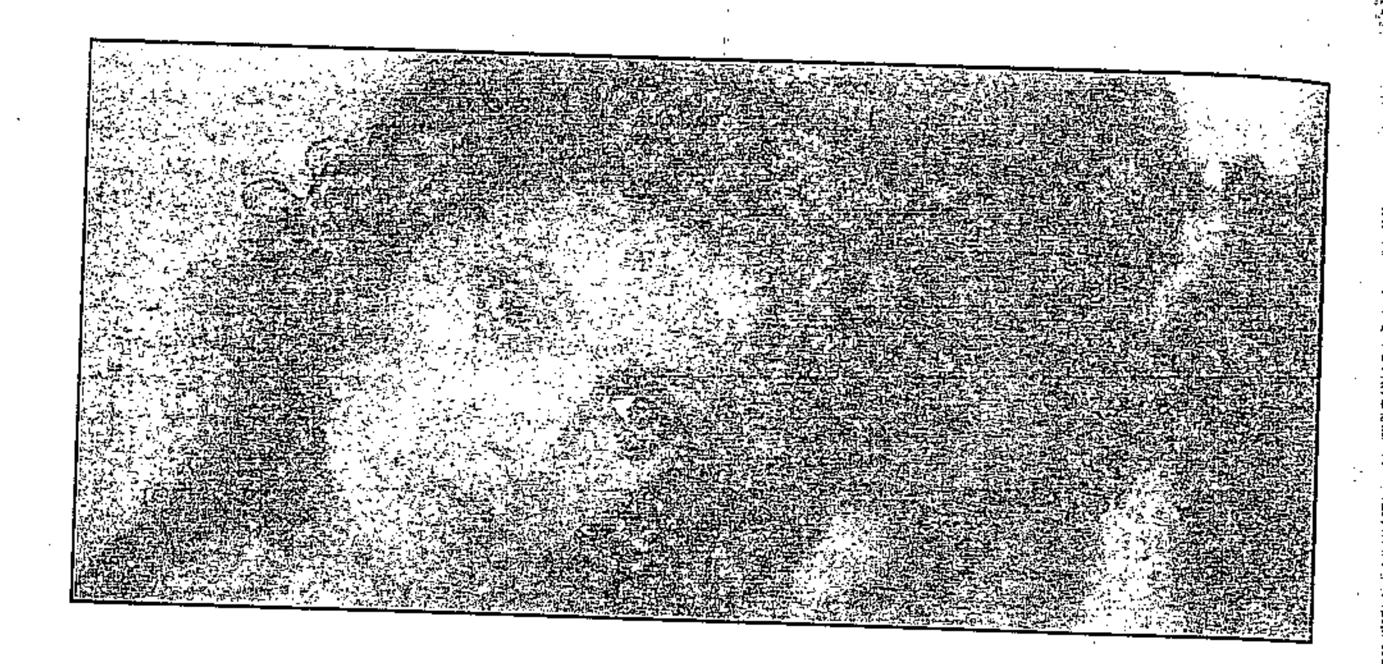
بطل الفيلم مهندس ديكور شاب يتهم بجريمة قتل لم يرتكبها فى المؤسسة التى يعمل بها ويعانى الاضطهاد من رؤسائه لأنه غير ممتثل لهم، وعندما يهرب من العاصمة لاجئا الى عمه الذى لم يره منذ سنوات طويلة، يكتشف منذ اللحظة الاولى ان عمه العجوز شبه معتقل ومحاصر من زوجته وصديقها وأبنائه ، والجميع يسعى للخلاص منه ليرثه. ودخوله فى هذا الاطار يفسد «الجو» فتتوالى الجرائم حوله لازاحته ثم ازاحتهما معا بأشكال عديدة مبتكرة الى ان يقتل العم بالفعل ويكون الاتهام من نصيبه للمرة الثانية ، لكن من اتهمه يسعى بعد ذلك لاطلاق سراحه بعد اكتشافهم ان العم ترك كل ثروته له.

الفيلم عن رواية للكاتب المكسيكى جورج ابرجوكجوتيا. وقد حصل على الجائزة الاولى فى المسابقة الرسمية هذا العام.

أمنسيا .. من شيلى







باب الواد.. حومه
فيلم عن الأزمة الجزائرية

نجلاء العمرى

أن تصور فى شوارع الجزائر اليوم فيلما عن التطرف والمتطرفين ، وان يكون التصوير فى الشارع بعيدا عن الاستديوهات وديكوراتها ، وان يكون الشارع فى حى «باب الواد» معقل جبهة الانقاذ فى قلب العاصمة ، لا شك انه فى حد ذاته مغامرة تضيف لفيلم مرزاق علواش الجديد (باب الواد .. حومه) أهمية خاصة ، وتفسر الى حد بعيد النجاح الذى يلاقيه الفيلم فى صالات العرض الفرنسية - من جانب العرب والفرنسيين على حد سواء -وهو نجاح ندر أن يلاقيه فيلم عربى لدى عرضه جماهيرياً.

باب الواد .. حومه هو فيلم مرزاق علواش الخامس ، قدم من قبله اربعة افلام روائية اشهرها (عمر قتلته الرجولة) عام ١٩٧٦. والفيلم حائز على جائزة النقاد الدولية فى كان ١٩٩٤ ، وعلى جائزة أحسن فيلم فى بينالى السينما العربية فى العالم العربى منذ عدة أشهر ، وما بين (شجاعة التناول) على حد تعبير جريدة لوموند ، و«تمرير مسئولية المثقفين -الذين يتملهم المخرج -عن الازمة) فى رأى ناقد من اصل عربى بجريدة ليبراسيون، يقدم مرزاق علواش شهادته عن أيام الجزائر الحالية.

(باب الواد.. حومه) حى شعبى ، تستغرق اللقطات الاولى أزقته وحواريه، واسطح منازله يملأها صياح الاطفال وحبال الغسيل ، ومن بعيد يطل البحر بصخوره المريعة مضيئا للحى المنغلق على فقره وآلامه واحلامه ، امتدادا الى خارج الحدود حيث احلام الهجرة التى تداعب خيال الجميع حتى افراد (المجموعة) المتطرفة وقائدها سعيد.

يختار مرزاق علواش الشكل الدائرى لفيلمه ، فهو يبدأ من «يامنة» الفتاة الجميلة تكتب خطابا لبوعلام الغائب . ينتهى الفيلم ايضا بنفس المشهد وهى تنهى خطابها . ومن خلال فلاش باك طويل يسرد بنا علواش



لحكاية بوعلام ورحيله.

«رحلت بوعلام وتركتنا تركت باب الواد الحياة كما هي . وان كانت تسهر على ايقاع منع التجول ، الخوف اصبح جزءا من اليوم العادي نصحو معه ، نعايشه حتى تنام في المساء ، فقط .. لو لم تكن قد فعلت ما فعلت..»

بكلمات يامنة هذه يروى الفيلم ما فعله بوعلام وكيف يمكن ان يكتسب فعل بسيط في ظرف خاص دلالات تخرج عن ارادة (الفاعل) وتحول مجرى حياته لتفرض عليه حياة أخرى لم يخترها، وهي بلا شك اقصى درجات الارهاب ، فبوعلام عامل مخبز بسيط ، يضطره عمله السهر طوال الليل والنوم طوال النهار ، ولكنه لا يستطيع النوم في هدوء وعلامات الارهاق والتعب تملأ وجهه حتى جعلت منه على حد قول صديقه (السمين جدا) : «وكأنك الميت الحي» تتابع الكاميرا بوعلام وهو قلق يحاول النوم يمنعه صوت عال ، يحاصره انه مكبر الصوت التابع للجامع والمثبت على سطح المنزل في مواجهة حجرته مباشرة ، وفي ثورة من الغضب ، يتجه بوعلام الى مكبر الصوت وينزعه بغضب شديد ليرميه في البحر ، ومن هنا تبدأ متاعبه (عبثية الحدث تعيد الى الذهن عادل امام في الارهاب والكباب).

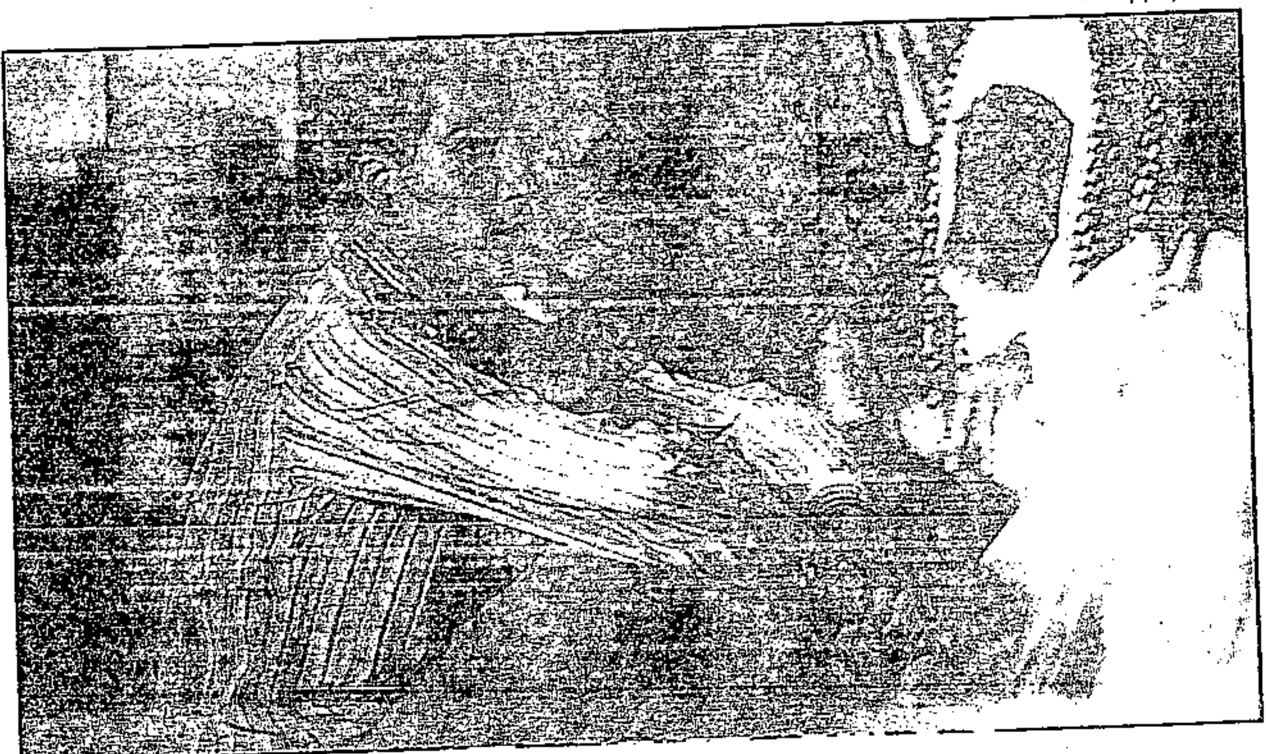
وتبدأ (المجموعة) بقيادة «سعيد» الذي هو أيضا أخو «يامنة» في البحث عن (سارق الميكروفون) و (عدو كلام الله) للقصاص منه ، ويكتم بوعلام سره بينما تدور الكاميرا لترصد ايقاع الحياة اليومية بتفاصيلها ، في ايقاع بطيء وفي لقطات تقرير جعلت من الفيلم اشبه بالريبورتاج التسجيلي ، ولا شك ان سلسلة الافلام التسجيلية التي أنتجها المخرج بعنوان (الجزائر ما بعد ١٩٨٨) كان لها تأثيرها على الاسلوب الذي، اختاره في فيلمه الروائي.

الشخصيات في معظمها بدون مقدمات ، او حتى اسماء، نتابع (السمين) تاجر البضائع المهربة ، و(المهاجر) الشاب الذي ولد بفرنسا وشاء حظه في زيارة له للجزائر ان يضيع جواز سفره فيجد نفسه حبيسا لباب الواد ، ولا يجد مفرا من الانضمام الى (المجموعة) . ثم (العنيف) الذي يعاني من (عقدة الشيوعيين) ، فلا يكف عن رواية مآثره في القضاء عليهم الواحد تلو الآخر . وفي الازمة ، شباب يمضي وقته في اركان الشارع ، فالبطالة مرتفعة ، والملل يبدو على الوجوه ، والبعض يتزلق الى الادمان ، تصاحبه جلسات طويلة أمام البحر على ايقاعات الراي والغناء الشعبي.

ثم عالم المرأة المنفصل «فملواش» لا يقدم لنا المرأة الجزائرية- باستثناء لقطات نادرة ليامنة في معظمها- الا في مجموعات ، وكأن المجتمع الذي يلفظها ويغلبها يأبى الا ان يحاصرها حتى في لحظاتها الخاصة جدا (كمشهد استحمام الفتاة مثلا وتركها الباب مفتوحا لتدخل النساء) ، ولكنه في الوقت نفسه حصار زائف. فالحوارات تدور حول اخر قصص الحب، وفيلم البارحة على احدى قنوات التليفزيون الاوروبية التي تلتقطها اجهزة الدش التي تملأ بها سماء الحي ، وذلك المشهد الذي احتضن فيه البطل البطلة..»

ثم يرى احد افراد (المجموعة) يامنة مع بوعلام في مقبرة الفرنسيس ، ويستمع الى كلمات الحب المتبادلة بين الشابين ، وايضا الى اعتراف بوعلام بانه سارق الميكروفون .. وتبدأ المطاردة ، أولا لدى صاحب العمل الذي يضطر أمام تهديد المجموعة الى فصل بوعلام . ثم في منزله ، ويظل مشهد تلقي بوعلام لكفنه في البريد علامة في فيلم علواش ، في اداء

بوعلام أمام المسجد



شديد البساطة فى الحركة والحوار ودون انفعال أو خطابة -آفة افلامنا العربية المستديمة.

وبالفعل يرحل برتسلام تاركا باب الواد ، وينتهى الفيلم مع صورة يامنة وهى تواصل كتابة برمياتها الى الغائب : **أكتب اليك هذه الخطابات واحتفظ بها حتى تعود ، فأنا لا أعلم أين ذهبت».**

الأشياء .. بديلا للشخصيات

الاشياء اكتسبت فى الفيلم أهمية خاصة ، فالشخصيات تقدم من خلال اشيائها فى علاقة عضوية ، لا ينفصل فيها الواحد عن الاخر **(فالسمين) حبيس جهاز (البوكمان)** لايفارقه ابدا ، يفصله عما يدور حوله ، والكتاب والشباك المغلق والاسطوانة ، وزجاجة النبيذ تصاحب (المرأة التى لا تخرج ابدا) الفتاة التى عاشت أحلام الاستقلال الاولى وانتهت باعتقالها . واخيرا اتت الى باب الواد تلفظ المجتمع ويلفظها ، والحجاب ليامنة تخلعه ثم تضعه ، يلفها ويجعل حياتها تنحصر ما بين الزواج او (الجامع والحمام) و قطع البيتزا ، يصنعها صاحب المخبز ، ليروى امامها ذكرياته عن أيام الفرنسيين بسهراتها الممتعة ، والفرنسية العجوز العمياء العائدة لباب الواد فى زيارة تستعيد فيها ذكريات شبابها . يصاحبها ابن اخيها الشاب ، يحاول ان ينسج اكاذيب عن الشاطئ الجميل ، والشوارع النظيفة والناس السعداء ، ولكنها تقاطعه بعد فترة فى شك وريبة : «ولكننى لا اشم الا رائحة المجارى» ، والميكروفون يكتسب نفس الاهمية ، فالكلمات تخرج منه تحاصر بوعلام بقوة حتى فى احلامه.

موضوعية .. مثيرة للجدل

رؤية علواش تثير الجدل فى أكثر من موضع ، فالفيلم لايدين ، او يدين الجميع ، هكذا اراد أن تكون شهادته : **كلنا مسؤولون ، وكلنا ضحايا البطالة ،** التقاليد ، النظام ، او حتى اطراف غامضة تلعب ادوارا مشبوهة (مثلها العربة الفارهة التى نراها من حين لآخر مع «سعيد» ، يمد اصحابها بالسلاح والتعليمات ، احلام الهجرة المجهضة ، الفقر ، غياب الدولة .

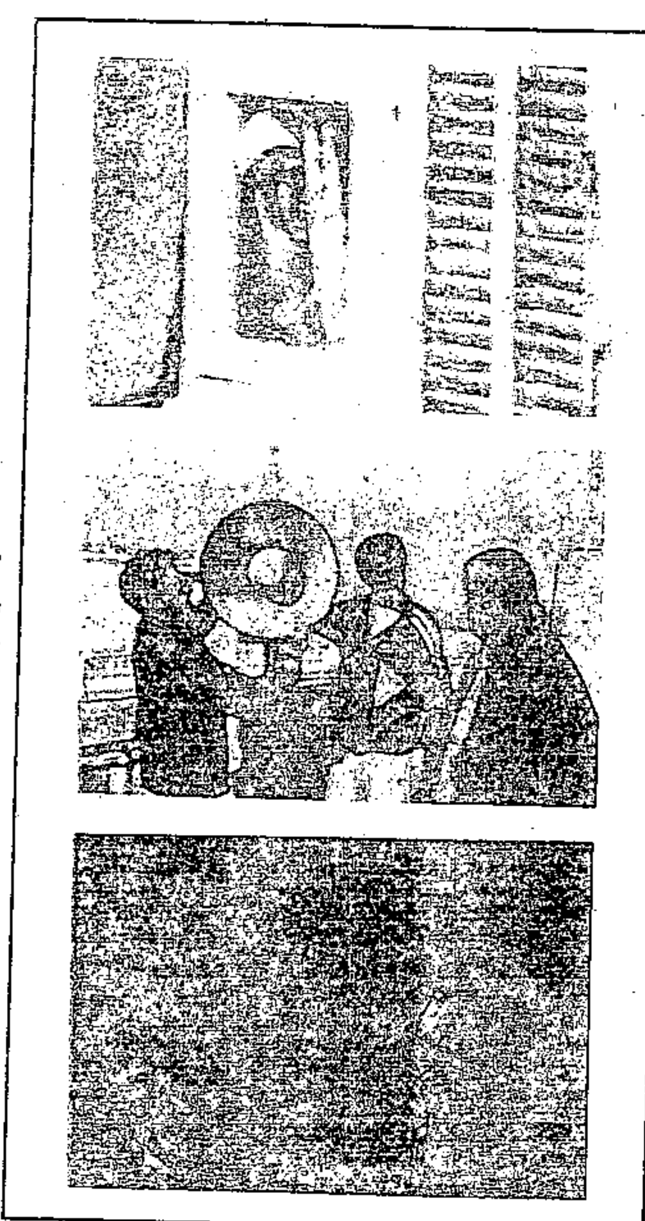
فلا نرى طوال الفيلم رمزا واحدا يشير إليها ، فلا شرطى واحد والقانون هو قانون (الجماعة).

والواقع ايضا معقد ، فالتطرف تصاحبه مشاهد احتساء البيرة والاحاديث الدينية عبر مكبر الصوت تختلط بالاحاديث عن الحب والنساء.

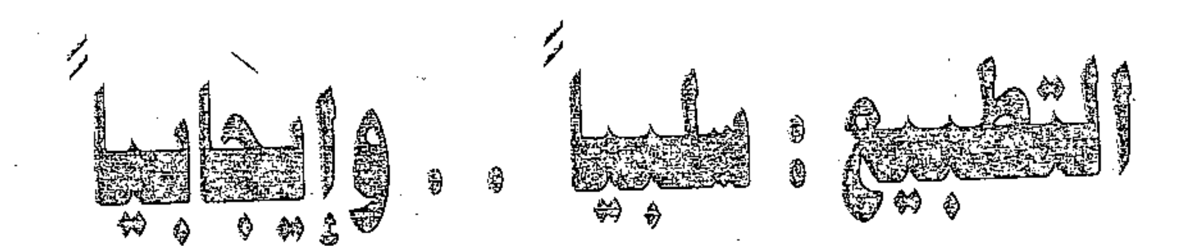
حتى افراد (المجموعة) لا نملك الا ان نتعاطف معهم «فسعيد» ، تتقاطع المشاهد التى يحتر فيها على (المهاجر) فكأن صديقه الوحيد فى سخريته ، مع مشاهد العنف تجاه اخته يامنة ، وينتهى «سعيد» مقتولا دون ان ندرى كيف ولماذا او من الذى قتله.

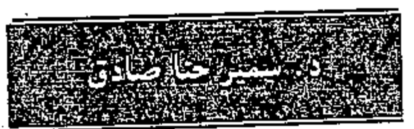
وفى بحثه عن (الموضوعية) كما يقول علواش ذاته ، فاد مرفقه فأتى باب الواد فيلما هادئا ، واضافت لغته التقريرية مزيدا من الهدوء ، فجعلت المشاهد يرى **الفيلم وكأنه يتابع اليوم صور ، دون أن تكون كل منها إضافة إلى الاخرى .** وهو ما اثر على لغة الفيلم السينمائية ، فتراجعت أدواته أمام الحوار.

ويبقى أن امتلاء صالات العرض بالمشاهدين الفرنسيين وهى ظاهرة غريبة على أفلام العالم الثالث بشكل عام دلالة على **تعطش لفهم ما يحدث فى الجزائر ، وهو ما يحسب فى نهاية الأمر لعلواش** ويجعل من الفيلم شهادة على شجاعة مخرج ويغفر له «موضوعيته».



"المجموعة" تقوم بتركيب مكبر صوت آخر





أبذل فى السنوات الأخيرة جهدا خارقا فى محاولة زرع بذور التوافق بينى وبين نظام الحكم. لقد اضعت عمرى فى «المناقرة» و«المشاجرة» مع نظم الحكم المختلفة من فاروق الى عهد الناصر الى السادات الي مبارك ولذا فقد اقنعت نفسى مؤخرا بان الخلافات بينى وبين هذه النظم هى مجرد خلافات نفسية وانه آن الأوان ان «اهمد» وأن أتوقف عن هذا «التناطح».

ولقد حققت فى هذا المجال (زرع بذور الانسجام) انجازات رائعة، ثم اكتشفت اننى لم اكن وحدى فى هذا الميدان، فاذا كانت انجازاتى سلبية، بمعنى تحقيق القبول لما هو موجود، فان صديقى د. حسن على قد حقق نجاحات ايجابية متفرقة.

وبالنسبة لى، فقد عودت نفسى أن أتقبل بهدوء مقولات السيد الوزير بأننا نعيش «أروع ايام الديمقراطية» وأننا أكثر تقدما من أكبر البلاد المتقدمة وأرقام النظام عن مدى الرخاء والعظمة التى نعيشها.

كما اعتدت ان اسرح فى سماحة ومودة وبدون غضب كلما شاهدت السيد المذيع المتأنق فى كلامه والمتألق فى نفاقه وهو يناقش فى لباقة مصطنعة محاوريه من رؤساء تحرير الصحف القومية موضحا ومؤكدا اننا نعيش امجادا تاريخية لم نعشها من قبل.

كما عودت نفسى ان ابتسم فى سعادة بلهاء كلما سمعت السيدة مذيعة التليفزيون المزوقة الشعر والجفون تدعو «اعزائى كل افراد الاسرة فى كل مكان وزمان» لكى يلتف هواة المسلسلات الاجنبية او نط الحبل أو الفرجة على السخافات حول التليفزيون «لنسعد معا (؟؟) بباقة من الورد والزهور .. الخ.

ولم اعد اتساءل عن الحكمة فى تعيين س-(من الناس) -وكل مؤهلاته هى المقدرة الفائقة على التملق الرخيص- رئيسا لمجلس ادارة صحيفة قومية فيصدر منها العديد من النشرات التى لا يقراها أحد والتى تتسبب فى خسارات مالية فادحة تغطيها الدولة، وذلك فى بلد الجبت احمد بهاء الدين ومحمد حسنين هيكل وفتحى غانم وكامل زهيرى وصلاح حافظ وصلاح الدين حافظ وسلامة أحمد سلامة ومحفوظ الانصارى ومصطفى نبيل وعادل حمودة.

كما عودت نفسى على أن أتقبل بصدر رحب خطب وبيانات السيد وزير الزراعة عن امجاد وزارته فى ميادين القطن والارز -بعد ان تنازل مؤخرا عن امجاده فى ميادين الخيار والكانتالوب والفراولة.

واصبحت اقرأ بسرور خطب السيد الدكتور فتحى سرور بعد أن نزل فى ديمقراطية لم يسبق لها مثيل من كرسى رئاسة المجلس الى صفوف الاعضاء، ليهاجم هادرا بضراوة القوانين سيئة السمعة التى سبق أن وضعها زملاؤه نزرية القوانين فى حزبه (ولعله قد بذل فيها مجهودا ضئيلا أهله لما هو فيه) وذلك بعد أن أيدها عندما صدرت وسكت عنها حتى عدلها الرئيس، ناسيا مجرد ذكر الصحف التى اغلقت والاحزاب التى اوقفت والوطنيين الذين اعتقلوا لمحاربتهم لهذه القوانين.

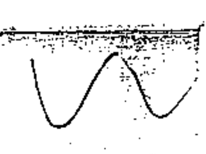
وكتمت نفسى عن التساؤل عن الحكمة فى وضع هؤلاء الناس فى مناصبهم، فالقيادة السياسية تنبئنا دائما بأنها تمسك بكافة الخيوط وتعرف كافة الاسرار ولابد ان لديها دوافع هامة (وان كنا لا نعرفها) لوضع هؤلاء الناس فى مراكزهم القيادية.

عودت نفسى على ذلك وعملت بالحكمة الامريكية (لاحظ التطبيع) التى تقول «اذا لم تجد ما تحب فلتحب ما تجده»، وهكذا تعلمت أن أحب السيدة المذيعة والسيد المذيع والسيد الوزير.. الخ

ولكن نجاحى فى مجالات التطبيع السلبى لا يقارن بامجاد صديقى د. حسن على فى مجالات التطبيع الايجابى:

فصديقى- وهو جراح كبير- قد افادنى بأنه قد تنازل حسب تعليمات الحكومة تنازلا تاما عما يطلق عليه اسم «العقد الاجتماعى» لأنه (أى العقد) قد أصبح «موضة قديمة» من ايام الحكم الشمولى علاوة على أنه لا يتفق مع عاداتنا وتقاليدنا وبذا يمثل غزواً ثقافيا.

والعقد الاجتماعى الذى كتبه جان جاك روسو (١٧١٢ -١٧٧٨) ينص على ان



يتنازل كل فرد في الدولة عن كثير من الحقوق(حق زراعة ما يشاء من أرض -حق الانتقال حينما يريد-حق الدفاع عن نفسه بالطريقة التي يراها- حق عدم دفع الضرائب .. الخ) مقابل حقوق جديدة تمنحها له حكومة تعبر عن رغبة جماعية Volonte General ولقد تقدمت واتسعت هذه الحقوق حتى أصبحت تشمل الصحة والتعليم وفرص العمل والامن والكرامة وحرية العبادة .. الخ.

لقد طبع صديقي علاقته بالدولة بالتنازل عن كافة حقوقه والاستغناء عنها.

«الحلول الذاتية يا سيد» هكذا حدثني«لابد ان نستمع الى تعليمات الدولة ، فالحلول الذاتية هي الحل. الحلول الذاتية وال «ان جي أو» ولما سألته عما هي «ان جي أو»قال: المنظمات الاهلية ، هذه هي صيحة العصر» . فسألته ولم الضرائب الفادحة اذن؟قال والعهدة عليه «لازم يعيشوا هما كمان ، ما هي دي الحلول الذاتية بتاعتهم».

عموما ، وبعيدا عن منطقه ، وأنا قد لا اتفق معه عليه ، فقد اتخذ صديقي اجراءات جذرية لتنفيذ فلسفته في التطبيع الايجابي.

فهو يوفر الامان لنفسه ولاسرته بالايجار من شركة من شركات الحراسة وعنده اسطول من السيارات لتنقلاته. وهو يربي اولاده في المدارس الخاصة ويدرسين خصوصيين ويلحقهم بالجامعة الاهلية. ولديه مولد كهربائي خاص. بل لقد وضع في منزله وهو في احد ضواحي القاهرة الصحراوية ، طلمبة وبيارة مجاري للاستغناء عن مرفق المياة ومرفق الصرف الصحي.

وسألت صديقي عن الاعلام ، فقال «دلش يا سيد مع بعض الاعلام المحلي» فقد كلف احدى الشركات بعمل برنامج كمبيوتر يحل محل التليفزيون المحلي: ولم أصدق وجود هذا البرنامج حتى رأيته بعيني:

بالضغط على حروف T.V تظهر على المونيتور (شاشة الكمبيوتر) ارقام امامها كلمات «اخبار» ، «برامج ثقافية» .. الخ جربت الرقم الخاص بالبرامج الثقافية فكان ما رأيته سحرا: ظهرت على الشاشة نقط ذهبية تجمعت على شكل كتلة كبيرة من الشعر (بفتح الشين) وظهر خلف اسفلها عينان يحيطهما الوان عديدة ثم فم مبتسم يكشف عن صفي اسنان ثم ظهر باقي الوجه والفستان الفاقع الالوان ثم يد تحمل ميكروفون.

تتحدث هذه الكتلة فاقعة الالوان فتقول وهي تبتسم

الاصل فاصل



فتحي سرور



حسنين هيكل



محمد عبد الوهاب

والعقل واصل

ولما اجرى

حقيقي حاصل

(قال صديقي ومن الممكن اعادة ترتيب هذه الكلمات أو استبدالها بأخرى ولكن المهم جدا ان ترتفع وتنخفض نبرة المذيعة وهي تقولها مع هزة خفيفة للرأس».

تختفي المذيعة من المونيتور وتسمع صوت موسيقى نشطه يصحبها دقات . كل اربع دقات تظهر نقطة في جانب من الشاشة لتكبر وهي ترقص لتصبح صورة تملأ الشاشة: **محمد عبد الوهاب، احمد شفيق، زمارة، نجيب محفوظ، طبلة، سمير رجب، سيد مكاوي، قطة، عرد .. الخ**

تبقى الصورة ثوان ثم تختفي مثلما ظهرت .

قال لي صديقي «غير مهم ما تشعر به من غثيان ودوخة من اهتزاز الصورة فهو شعور جميل مثل شعور الطفل في مدينة الملاهي».

ثم اخيرا تظهر السيدة المذيعة (السابق وصفها) ومعها انسان يبدو عليه الوقار والهيبة . وتتحدث المذيعة ويدور الحوار كالآتي:

«لوجينا يكن نتكلم يعني (وهي تنطقها «ياني») عن نظرتك المستقبلية خلال الاربعة وعشرين ساعة اللي جاية عن هذا الموضوع الهام باني يمكن تقول ايه؟

-الرجل بعد تفكير عميق: «في الواقع ده سؤال هام جدا ويبعث على التأمل العميق ، لو جينا نتكلم في هذا الموضوع لابد نجيب اوله فحسب تعليمات السيد الوزير في بيانه الاخير علينا ان نتدارس هذا الموضوع دراسة وافية شافية لأن فيه الأمن والأمان.

-شكرا، باني أحنا يمكن الا ننسى يمكن اهمية هذا الموضوع فمصر دائما شامخة مثل الاهرام.

سيداتي سادتي باني يمكن بهذا نكون ودعنا يمكن النقط فوق الحروف.

عودة للصورة الذاهبة والآتية.

وافادني صديقي بأنه عنده برامج يمكن أن تتنبع بما يطلق عليه اسم«ناشر المكتب» Desk publishing جريدة يومية تتحدث عن«خطاب تاريخي» ، «صدى الخطاب التاريخي» ، «صدى صدى الخطاب التاريخي» ... الخ ، بل زعم أنه يوضع مداخل معينة في الكمبيوتر يستطيع أن يكتب «الخطاب التاريخي » نفسه.

«وهكذا يا سيدي يمكننا الاستغناء عن الحكومة ويمكن للحكومة ان تتفرغ للاعمال الهامة . يجب على الافراد أن يحملوا جانبا اكبر من المسئولية ، الحكومة فقيرة والشعب غني».

وبهذا التطبيع السلبي والايجابي سينتهي جيلنا المناقرة حتى نعيش ما بقي لنا من عمرنا في سلام وراحة ، **فقد رفعنا الراية البيضاء أمام قصة المداوي... آسف امام الهيه عاطف والهيه والي والهيه صفوت.**

والعاقبة عندكم في المسرات

وسط الهموم التي يعانيها الناس و«الرزاز» المتساقط عليهم كالسيول، لم يتنبه أحد من المهتمين بالحريات العامة، وفي مقدمتها حرية الصحافة والعمل الحزبي ، إلى أهمية الحكم الذى اصدرته محكمة النقض، فى بداية الشهر الماضى ، بعدم جواز مساءلة رؤساء الاحزاب عما قد ترتكبه الصحف الصادرة عنها، من جرائم نشر، مع انه خبر سار ، كان يستحق ان يفقع المشتغلون بالسياسة عدداً من الزغاريد الملعلعة، لو انه جاء في ظرف غير الظرف وفي مناخ غير المناخ الذى يوئّخ كل شئ ، وجعل أى شئ ككل شئ، وساوى بين الديمقراطية وعدمها ، وبين التعددية وقلتها!

والنص على مسئولية رئيس الحزب عما تنشره صحف حزبه من مواد صحفية ، هو أحد التقاليع الديمقراطية التى ابتكرها المرحوم أنور السادات وأقحمها على قانون الاحزاب فى عام ١٩٧٩، وبعد مرور عامين على صدوره، عندما تبين له ان صحف الاحزاب لا تلتزم بأخلاق القرية ، ولا بتقاليد العيلة، ولا تؤيد كامب ديفيد، ولا تصمت على فساد الأصهار ، وغش الابناء فى الامتحانات، واكتشف ان مصادرة هذه الصحف ، والتحقيق مع محرريها أو رؤساء تحريرها ، أو تقديمهم للمحاكمة لا تكفى لردعهم، فأراد بهذا النص ، ان يهدد رؤساء الاحزاب ، وكلهم من الشخصيات العامة ذات المسئوليات الكثيرة بأن «يجرجرهم» ، إلى النيابة، وأن يضيع وقتهم فى الاجراءات القضائية المعقدة، ولوح فى وجوههم بسيف الحبس بأحكام قاضى العائلة الخصوصى المرحوم أنور أبو سحلى، أنجب تلاميذ فقيه المعمار القانونى المهندس عثمان أحمد عثمان!

وكان إقحام النص فى القانون، دليلاً على أن هذا النوع من حكام أخلاقيى القرية ، يتصور أن القانون هو كوم سباخ، يستطيع أن يضيف اليه كل ما يعن له، تطبيقا لقاعدة «ح أسبخ لهم بالقانون» ، ذلك أن قوانين المطبوعات التى عرفتها مصر، منذ عام ١٨٨٢، كانت تقوم على قاعدة مسئولية المحرر والكاتب عما يكتبه ، كفاعل أصيل اذا تبين أنه خالف القانون، بما يكتبه، وعلى مسئولية افتراضية تقع على عاتق رئيس التحرير، باعتباره الآذن بالنشر فالمسئولية هنا، ترتبط بمن يمارسون «سلطة النشر فى الصحف»، ولم يكن هناك معنى لترتيب مسئولية على رئيس الحزب عما ينشر فى صحفه، الا دفعه للتدخل فى تحريرها ، ومراجعة ما ينشر فيها بنفسه، حتى لا توقعه -بما تنشر- تحت طائلة العقوبات الواردة فى القانون، وفضلاً عن أن هذا يشغله عن مهامه، ويحوله من رئيس حزب الى رئيس تحرير، فهو يخلق ازدواجاً فى السلطة داخل الصحف الحزبية، تزيد أوضاعها تعقيدا.

ومن حسن الحظ ان هذا النص لم يطبق الا نادراً لسبب خارج عن ارادة الذين اقحموه على القانون، اذ بعد قليل من صدوره، تولى السادات بنفسه رئاسة حزب الحكومة، وبذلك أصبح النص سلاحا ذا حدين، يصلح للتسبيخ لخصومه، وللتسبيخ له هو نفسه، بحكم مسئوليته عما ينشر في الصحف التى تصدرها دار«مايو» الوطنية للصحافة وبيع الورق المدعوم فى السوق السوداء.

وفى عام ١٩٨٤ فكرت نيابة امن الدولة فى تطبيق هذا النص على الاستاذ خالد محيى الدين ، فى تحقيق كان يجرى مع«الأهالى» بتهمة القذف فى حق وزير الادارة المحلية الذي اتهمه بالمشاركة فى تزوير الانتخابات لكن النيابة عدلت عن ذلك حين نبهت الى ان تطبيق المادة على رئيس حزب التجمع يعنى تطبيقها على الرئيس مبارك بوصفه رئيساً للحزب الوطنى، ولم تستيقظ المادة الا فى هذا العام وبمناسبة التحقيقات التى كانت تجرى مع جريدة الشعب ، بتهمة القذف فى حق رئيس الوزراء ورئيس ديوان رئيس الجمهورية اذ تم التحقيق مع المهندس« ابراهيم شكرى» وتضمن قرار الاتهام فى القضية اسمه، باعتباره متضامنا مع المحرر ورئيس التحرير فى مسئولية النشر ، وكان فى نية رئيس حزب العمل ان يطعن فى دستورية هذا النص، لولا ان القضية انهيت صلحا!

وفى بداية الشهر الماضى ، حكمت محكمة النقض، ببراءة الاستاذ «**فؤاد سراج الدين**» رئيس حزب الوفد، فى القضية التي كان المرحوم موسى صبرى قد رفعها ضد جريدة الوفد بتهمة القذف في حقه ، وفى حيثيات الحكم سبخت المحكمة لهذه المادة ، وللذين وضعوا تقاويها ، وقالت انها جاءت فى صيغة عامة، يشوبها الغموض والابهام ، وانها لم تحدد ما اذا كانت مسئولية رئيس الحزب مدنية ام جنائية ، واكتفت بالحاقه برئيس التحرير في المسئولية دون ان تحدد او تفصل نوع هذه المسئولية.. وهو حكم يلغى المادة عمليا .. ويكاد يتساوى مع الحكم بعدم دستوريتها ، وكان يستحق زغرودة ديمقراطية ملعلعة لولا ان الديمقراطية أصبحت كقلتها والتعددية -فى هذا الزمن الباهت- قد اصبحت كعدمها ، لذلك نستعيض عن الزغرودة بهذا المقال.. والعاقبة عندكم في المسرات !

صلاح عيسى

